أعلام الأدب
في
عصر بني أمية

تأليف
د. محمد عبد المنعم خفاجي
الأستاذ والعميد بجامعة الأزهر

الجزء الأول

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

أعلام الأدب

في

عصر بني أمية



بسم الله الرحمن الرحيم

الكلمة الأولى

للعصر الأموى (٤١ — ١٣٢ هـ) خصائصه ومميزاته فى السياسة والاجتماع ، وفى التفكير والثقافة والأدب ، وقد شهد مظاهر عديدة من التجديد فى ألوان الأدب وفنونه ، وخاصة الشعر ، فنشأ الشعر السياسى ، كما نشأ الغزل العذرى والقصصى ، وأخذت الخطابة السياسية فى الظهور ، بتأثير تعدد الأحزاب واختلاف مناهجها السياسية ، واستحال فيه الرجز إلى فن جديد ، حيث صار يقوم مقام القصيدة فى التعبير عن شتى الأغراض ، بعد أن كان قصيرا لا يزيد على البيت والبيتين والثلاثة ، وأخذ فن الطرد يقوى وينضج ، كما أخذ أدب القصة فى النمو بتأثير القصاص والرواة والمؤدبين ، وكذلك نضج أدب الحكمة والزهد والتصوف ، وبدأ فن الرسالة الأدبية فى الظهور ، كما استحكمت الكتابة ، وبدأ تأثير الأقاليم المفتوحة يظهر فى الأدب ، فتعددت البيئات الأدبية ، ووجدت آداب عربية متأثرة بالإقليم فى مصر والشام والعراق والمغرب والأندلس وفارس .

وفى العصر الأموى ظهر أعلام خالدون فى الأدب والشعر والخطابة والكتابة وظهر إلى جوارهم العلماء والرواة والنقاد ، ممن انحدروا من سلالات عربية خالصة ومن أبناء الموالى ، وممن اختلطت دماؤهم بتأثير عروبة الآباء وحدهم أو الأمهات وحدهن .

ونحن فى هذا الكتاب : نترجم للمشهورين من الكتاب والرواة والأدباء ، وللأعلام من الشعراء على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم الفنية ، ترجمات وافية ، تجمع بين الدراسة والنقد والتحليل والتاريخ والاستعراض لأدبهم ولخصائص هذا الأدب .

وهذا الكتاب حلقة من سلسلة كتب أصدرتها عن الأدب العربى منذ العصر الجاهلى إلى العصر الحديث[1]

---

(١) من هذه الكتب : الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى ، والحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام ، والشعراء الجاهليون ، وموقف النقاد من الشعر الجاهلى ، وأشعار الشعراء الجاهليين وهى : أعلام الشعر الجاهلى ، وأعلام الأدب العربى ، والأدب

وليس أشق على الباحث من الكتابة عن أدباء نجهل كل شيء عنهم ، ولا نعرف عن حياتهم وأدبهم إلا القليل النادر . ولا تزال البحوث الأدبية عن أدب العصور القديمة حتى اليوم قليلة أو نادرة ، ولا زلنا فى حاجة إلى العديد من المهتمين بالدراسات الأدبية ، لينهضوا بعبء البحث فى المصادر الكثيرة، التى تضم بين دفتيها ألوانا من أدب هذه العصور .

وإن الأدب العربى الذى خدم الفكر والثقافة واللغة والقومية العربية خلال أجيال طويلة ، لمن الوفاء له ألا نحجم عن بذل أية تضحية فى سبيل ازدهار دراساته وبحوثه .

ونحن ندعو الله أن يسدد الخطا ، ويهدى إلى سواء السبيل ، ويلهمنا الخير والصواب والتوفيق . . ؟ المؤلف

العربى بين الجاهلية والاسلام ، والأدب العربى فى ظلال الامويين والعباسيين .
ومنذ قليل أخرجت كتابا ضخما بعنوان « الحياة الأدبية فى العصر العباسى » .

أشهر الشعراء فى العصر الأموى

شعراء الغزل والحب والجمال

ليلى الأخيلية الشاعرة

٢٠ — ٨٠ هـ

تمهيد :

عاشت ليلى فى القرن الأول الهجرى (٢٠ - ٨٠ هـ)، حيث الدولة الإسلامية الجديدة تكافح لنشر نفوذها الروحى والسياسى فى سائر أنحاء بلاد العالم المعروفة آنذاك ؛ وشاهدت الخصومات السياسية المشتعلة التى ثارت بين الأحزاب والجماعات والعصبيات حول الملك والخلافة أو العقيدة والمبادىء، وانتصار بنى أمية السياسى وعملهم الجاد على استقرار الخلافة فى أيديهم .

وصحب هذا النشاط السياسى الضخم نشاط عقلى واسع المدى ، فقد أخذت مكة والمدينة ودمشق والفسطاط والبصرة والكوفة تبحث وتدرس وتعمل على نشر الثقافة والمعرفة ، وأخذ بنو أمية يمكنون لمجد العروبة والشرق والاسلام ، ويؤثلون للحضارة الإسلامية فى دمشق وسواها مجدها الخالد التليد ، ويرفعون للعلم والثقافة صروحا سامقة كانت منارة الإنسانية ، وشعلتها المقدسة التى تبددظلمات الحيـــاة البشرية فى ذلك العهد السحيق ؛ واشتركت فى ذلك جميع العناصر والأشخاص من مختلف الطبقات والأجناس والأديان ، فكان ذلك الكفاح الفكرى والثقافى دعامة من دعائم صرح هذه النهضة العظيمة ، وأساسا من أسس هذه المدنية القديمة الخالدة، التى يعتز بها الشرق فى حاضره المتوثب، واستمر الكفاح حتى آتى أكله فى عصر الدولة العباسية ؛ بل كان الميلاد الجديد للحضارة الاسلامية الباهرة .

وكان الشباب يعيشون فى نجد وفيما يحيط بنجد من بواد واسعة مترامية الأطراف ، عيشة فيها فراغ كثير ، أمضوه فى تمثيل أعمال البطولة العربية ، وفى هذا الحب العذرى الذى يمتاز بروعته وقداسته والوفاء له واستعذاب العذاب والتضحية فى سبيله ، وأمضوه فى إنشاد الشعر الذى يمثل قصص البطولة والحب فى حياتهم الهادئة .

ولقد كان للمرأة العربية فى البادية منزلة كبيرة ، فهى تسهم فى الكثير من ألوان النشاط الاجتماعى والأدبى إسهاما واضحا ، هى جمال الصحراء وروعتها ، ومغذية العواطف وموقظة المشاعر، والمشاركة فى الأدب والشعر والبلاغة ، والتى تحتمل أعباء الحياة وتقوم بها: فتاة وزوجا وأما ، كما يحتملها ويقوم بها الرجال .

حياة ليلى الأولى

وليلى هى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية الأخيل فارس الحدار بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة العامرى .

من بيت كبير له شهرة فى البطولة والشرف وفى الشعر والأدب ؛ يبتدىء بعبد الله والد ليلى وكان شاعرا وسيدا فى قومه، ثم يصعد إلى عقيل رئيس العقيليين، ثم إلى عامر زعيم العامريين ، وينتهى بقيس الأب الأول للقيسيين .

وتصور ليلى بطولة قومها وشجاعتهم وكرمهم فى قصيدة لها ، تقول فيها :

نحن الأخايل لايزال غلامنا — حتى يدب على العصا — مذكورا
تبكى السيوف إذا فقدن أكفنا جزعا ، وتعلمنا الرفاق بحورا

وكان قوم ليلى يعيشون فى البادية بنجد مما يلى المدينة ، فى وسط أحياء قبائل قيس وفروعها الكبيرة الضخمة ، من النميريين والعبسيين والعقيلين وسواهم من القبائل التى لعبت دورا خطيرا فى حياة العرب قبل الاسلام وبعد الاسلام .

وكانت الحياة فى البادية إبان ذلك العهد فى طور الاستقرار النسبى ؛ كانت القبائل العربية لاتزال على عاداتها الأولى ، من الرحلة فى قلب البادية ، وتغيير مواطن إقامتها حسب اختلاف فصول السنة ، طلبا للماء والعشب فى المكان القريب منها، إلا أن القبائل الكبيرة كانت أكثر استقرارا وطمأنينة على حياتها ، لما كانت تتمتع به من الجاه والنفوذ ، وعناية الخليفة ورعايته، وبره بها وبأبنائها، وقضائه لحاجاتها ، ومساعدته لها أدبيا وماديا ، لتكون ساعدا له ، ويدا من أياديه على أعدائه وخصومه .

وكذلك عاش قوم ليلى ، فى أرض البادية ، وأرجائها القفار ، ينعمون بآثار العيش الهادىء ، ويفخرون بذكريات مجدهم الخالد ، ويعتزون بروح البطولة والشرف والعزة التى ورثوها عن الآباء والأجداد ، ونمتها فى نفوسهم أرض الصحراء والحياة فيها .

وفى نحو عام ٢٠ ﻫ أو بعده بقليل ولدت ليلى فى نجد موطن قومها بالبادية ، والمصادر التى بين أيدينا لاتتحدث عن شىء من ذلك ، ولا مما يتصل بحياة ليلى ونشأتها ، ولكننا نعلم أن لليلى شعراً فى رثاء عثمان بن عفان الخليفة المقتول عام ٣٥ ، فليس ببعيد إذا أن تكون ليلى وهى ممن سار شعرها وروى حينئذ ، ليس ببعيدأن تكون يومئذ فى سن الخامسة عشرة ، وأن يكون ميلادها نحو عام ٢٠ ﻫ ، أى فى خلافة الفاروق عمر بن الخطاب .

وفى هذه الفترة العظيمة الخالدة ، وفى وسط البادية وأرجائها الفيح القفار ، وفى موطن قومها بنجد ، نشأت ليلى الأخيلية ، واستقبلت الحياة . شاهدت ليلى كثيرا من مظاهر شرف آبائها وقومها ، فملأها ذلك ثقة واعتزازا بنفسها ، ثم خالطت هذه البلاغات العربية ، المتدفقة على ألسنة الشعراء ،وفى حديث المتحدثين، وسمر السامرين ، وفى كلمات البلغاء وخطب الخطباء ، فتأثرت بها روحها ، وتدفق بها طبعها ، وصقلت عليها ملكاتها ، ونشأت بليغة اللسان ، قوية البيان ، مطبوعة بفطرتها الشاعرة وبنشأتها البليغة وبأثر الوراثة فى نفسها على نظم الشعر،وأصبحت بعد قليل لسان قومها الذى يصولون به على الأعداء ، ويعتزون به فى مجال الشرف والفخر والحمد جميعا . نعم ورثت ليلى أباها وقومها فى الشعر ، واستمدت هذه البلاغة من نشأتها بالبادية ميدان الملكات ومجال الفصاحات وموطن البلاغة العربية المتدفقة .

وكانت ليلى فوق ذلك كله عليها سمات من نضارة الشباب ، وروعة الجمال ، ورأى توبة الخفاجى ليلى الأخيليـــة وكان قومه حلفاء لقومها ، فهام بها وشهرها فى شعره ، وحال قومها دون زواجه بليلى ، وتزوجت سوار بن أوفى القشيرى ، وتزوج توبة ، ومع ذلك ظلت صلات الحب العذرى قائمة بينهما ، وفى عام ٥٧ ﻫ قتل توبة فرثته ليلى أحر رثاء، وأشادت به فى مجالس معاوية ومروان وعبد الملك والحجاج إشادة منقطعة النظير ، وظلت على وفائها له طول حياتها .

وكانت نضارة الشباب وفتنة الجمال بالغة منتهاها فى ليلى ، وكان زوجها رجلا غيورا بكل معنى هذه الكلمة ، حجبها عن الناس ، وعن المجتمع فى البادية ، حتى عن قومه وأهله ، فاذا رحل رحل بها منفردا عن الناس ، وإذا نزل نزل بها بعيدا عنهم ، وحرم على نفسه أن يأتى معه بضيف فى منزل ليلى ، وقيد حياتها بقيود شديدة ، احتملتها ليلى فى جلد وقوة احتمال .

خرج أعرابى ينشد إبلا ضالة ، ففاجأه الليل وظلمة الصحراء وهو فى بلاد بعيدة عن بلاده ، فنظر فاذا بيت قريب منـــه ، فدنا نحوه ، ونزل حيث ينزل الضيف ، ثم أبصر سيدة رائعة الجمال وعدة صبيان يدورون حول الخباء ، ولم يكلمه منهم أحد ، فلما كان بعد هدأة من الليل سمع صوت إبل قادمة نحوه ،وسمع فيها صوت رجل جاء بها فأناخها حول البيت ، ثم دخل الخباء ، وقال لزوجته : ماهذا الشبح النائم على مقربة منك ؟ قالت : هو ضيف نزل علينا حين لمغيب الشمس ولم أكلمه ، فقال لها : كذبت ماهو إلا صديق من أصدقائك ، ونهض يضربها ، وهى تناشده ، وهو يقول لهـا : والله لا أترك ضربك حتى يأتى ضيفك هذا فيغيثك من يدى ، فلما عيل صبرها استغاثت بالضيف ، فهب مسرعا ، وهرول بهراوته نحوها حتى أتاها وزوجها يضربها ، فرفع العصا وضرب بها رب البيت ، ثم أدركته السيدة ، فقالت : ياعبد الله مالك ولنا ؟ نح عنا نفسك ، فانصرف الضيف ، وركب راحلته ، وأدلج ليلته كلها ، وقد ظن أنه قتـــل الرجل ، وهو لايدرى من الحى الذى نزل ضيفا عليه بعد ، حتى نزل على أخبية عربية فى جوف البادية ، ورأى فتاة ترعى شويهات لهـا ، فسألها عن الحى الذى كان فيه بالليل فضحكت وقالت إنك تسألنى عن شىء أنت عالم به ، فقال : والله ما أعرفهم ولا يعرفوننى بعد ، فقالت : ذاك الخباء خباء ليلى الأخيلية ، وذاك الرجل هو زوجها ، وكل مارأيت وشاهدت وسمعت فهو من غيرته الشديدة عليها ، فزوجها رجل غيور ، ينأى بها عن الناس ، ويحجبها عن ضيوفه وأصدقائه ، ويمنعها من أن تضيف إنسانا ، فكيف نزلت بها ياهذا ؟ قال الرجل : إنما نظرت الخباء فقصدت نحوه ، ولم أقربه ولم أكلمه أو يكلمنى أحد فيه ، حتى كان ماقصصته عليك وما بلغك وما أصبح الناس يتحدثون به فى هذه الأحياء .

مراثى ليلى فى توبة :

١ — رثت ليلى توبة برائية طويلة مشوبة بالطبع والبلاغة(١) ، منها :

فأقسمت أبكى بعد توبة هالكا ... وأحفل من نالت صروف المقادر

أى لا أبكى بعده ميتا ، ولا أحفل بمن يموت :

فتى ليس تبنى بيتها (أم عاصم) ... على مثله إحدى الليالى الغوابر

وكنت إذا مولاك خاف ظلامة ... دعاك ولم يعدل سواك بناصر

(١) مذكورة بطولها فى كتابى « توبة شاعر البطولة » .

والقصيدة طويلة تزيد على الأربعين بيتا ، وهى فى كتب الأدب فى روايات يكمل بعضها بعضا .

٢ — ورثت ليلى توبة أيضا بمرثية ثانية مشوبة بالطبع والبلاغة والابداع ، تقول فيها :

أيا عين بكى توبة بن حمير ... بسح كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة ... بماء شئون العبرة المتحدر

ومنها بعد أن وصفت أخلاقه وبطولته :

فيا توب للهيجا ، ويا توب للندى ... ويا توب للمستنبح المتنور

تريد الضيف الطارق بالليل البهيم .

ألا رب مكروب أجبت، ونائل ... بذلت، ومعروف لديك ومنكر

وهى رائية طويلة موزعة فى كتب الأدب .

٣ — ثم يشتد هلع ليلى وحزنها ، فتسرى عن نفسها هذه الآلام بما تنشده من حكمة الحياة وشأن المقادير فى تقلبها ودورانها . تقول من مرثية ثالثة فى رثاء توبة :

لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... إذا لم تصبه فى الحياة المعاير
وما أحد حى وإن عاش سالما ... بأخلد ممن غيبته المقابر
ومن كان مما يحدث الدهر جازعا ... فلا بد يوما أن يرى وهو صابر
وكل شباب أو جديد إلى البلى ... وكل امرىء يوما إلى الله صائر
وكل أليفى ألفة لتفرق ... شتاتا ، وإن ضنا وطال التعاشر
فلا يبعدنك الله حيا وميتا ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر
فآليت لا أنفك أبكيك مادعت ... على فنن ورقاء أو طار طائر

ولليلى فى توبة كثير من المراثى الحارة التى تنم عن حزن عميق ، ووفاء كريم ، وشعور بشخصيته وبطولته وأخلاقه ،

ليلى ومعاوية:

وقال بعض الرواة: بينامعاوية يسير إذرأى راكبا فقال لبعض شرطه : ائتنى به وإياك أن تروعه، فأتاه فقال : أجب أمير المؤمنين . فقال : إياه أردت . فلما دنا الراكب حسر لثامه فإذا ليلى الأخيلية ، فأنشأت تقول :

معاوى لم أكد آتيك تهوى ... برحلى نحو ساحتك الركاب
تجوب الأرض نحوك ما تأنى ... إذا ما الأكم قنعها السراب(١)
وكنت المرتجى، وبك استعاذت ... لتنعشها إذا بخل السحاب

فقال : ماحاجتك ؟ قالت : ليس مثلى يطلب إلى مثلك حاجة فتخير ، أنت أعلى عينا ؛ فأعطاها خمسين من الابل . ثم قال : أخبرينى عن مضر . قالت : فاخر بمضر وحارب بقيس وكاثر بتميم وناظر بأسد .

فقـال : ويحك يا ليلى ! أ كما يقول الناس كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ليس كل الناس يقول حقا ، الناس شجرة بغى يحسدون النعم حيث كانت وعلى من كانت .. كان — يا أمير المؤمنين — سبط البنان ، حديد اللسان ، شجى الأقران ، كريم المخبر ، عفيف المئزر ، جميل المنظر . وكان كما قلت ولم أبعد عن الحق فيه :

بعيد المدى لا يبلغ القرم غوره ... ألد ملد يغلب الحق باطله (٢)

ثم قالت :

معاذ النهى قد كان والله توبة ... جوادا على العلات جما نوافله (٣)
أغر خفاجيا يرى البخل سبة ... تحالف كفاه النـدى وأنامله
عفيفا بعيد الهم صلبا قناته ... جميلا محياه قليلا غوائله (٤)
وكان إذا ما الضيف أرغى بعيره ... لديه أتاه نيله وفواضـله
وقد علم الجدب الذى كان ساريا ... على الضيف والجيران أنك قاتله
وأنك رحب الباع يا توب بالقرى ... إذا ما لئيم القوم ضاقت منازله
يبيت قرير العين من كان جاره ... ويضحى بخير ضـيفه ومنازله

فقال لها معاوية : ويحك يا ليلى ! لقد جزت بتوبة قدره . فقالت : يا أمير المؤمنين والله لو رأيته وخبرته لعلمت أنى مقصرة فى نعته، لا أبلغ كنه ماهو له أهل، فقال لها معاوية : فى أى سن كان توبة ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين :

أتته المنايا حـين تم تمامه ... وأقصر عنه كل قرن يناضله

---

(١) الأكم واحده أكمة وسكنت الكاف للوزن . قنعها : غطاها .
(٢) القرم : السيد . الألد : الشديد الخصومة . الملد : مبالغة فى الألد .
(٣) على العلات : أى على كل حال . النوافل : العطايا .
(٤) الغوائل : الدواهى .

وصار كليث الغاب يحمى عرينه ... فترضى به أشباله وحلائله
عطوف حليم حين يطلب حلمه ... وسم زعاف لاتصاب مقاتله

فأمر لها بجائزة وقال : أى ما قلت فيه أشعر ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ماقلت شيئا إلا والذى فيه من خصال الخير أكثر . ولقد أجدت حيث أقول :

جزى الله خيرا والجزاء بكفه ... فتى من عقيل ساد غير مكلف
فتى كانت الدنيا تهون بأسرها ... عليه فلم ينفك جم التصرف
ينال عليات الأمور بهونة ... إذاهى أعيت كل خرق مسوف(١)

ليلى ومروان :

شاهدت ليلى أحداث الحياة العامة التى كانت تمثل على مسرح التاريخ الاسلامى فى تلك الحقبة الحافلة ، وبكت معاوية حين طواه الموت ، وعاصرت يزيد بعده ، وعاشت حتى رأت مروان بن الحكم يعتلى عرش الخلافة فى دمشق (٦٤ — ٦٥ ھ) وكان من قبل واليا على المدينة ، وكان يعرف ليلى وتعرفه ، فرحلت إلى بلاطه ، ودخلت عليه ، فحيته وحياها ، ثم قال : ويحك يا ليلى بالغت فى وصف توبة ، قالت : أصلح الله الأمير ، والله ما قلت إلا حقا ، ولقد قصرت : وما رأيت رجلا كان أربط على الموت جأشا ، ولاأقل إبحاشا ، يحتدم حين يرى باب الحرب ، ويحمى الوطيس بالطعن والضرب ، كان والله كما قلت :

فتى لم يزل يزداد خيرا لدن مشى ... إلى أن علاه الشيب فوق المسابح
تراه إذا ما الموت حل بورده ... ضروبا على أقرانه بالصفائح
شجاع لدى الهيجاء ثبت مشايح ... إذا انحاز عن أقرانه كل سابح
فعـاش حميـــدا لا ذميا فعـاله ... وصولا لقرباه يرى غير كالح

فقال لها مروان : كيف يكون توبة على ما وصفت ، قالت : لقد كان كما قال عمه مسلم :

فلله قوم غادروا ابن حمير ... قتيلا صريعا للسيوف البواتر

---

(١) الهونة : التؤدة . الخرق . الفتى الحسن الكريم السجايا . المسوف : من يؤجل الأمور .

لقد غادروا عزما وحزما ونائلا   وصبرا على اليوم العبوس القماطر

ليلى والحجاج:

١ — وفى نحو عام ٧٨ هـ ذهبت ليلى إلى واسط وتوجهت إلى قصر الحجاج أمير العراق من قبل خلفاء بنى أمية ، واستأذنت ، فأذن لها .

قال مولى من الموالى (١) ، كنت أدخل مع عنبسة (٢) بن سعيد بن العاص إذا دخل على الحجاج ، فدخل يوما ، فدخلت إليهما ، وليس عند الحجاج أحد إلا عنبسة ، فأقعدنى ، فجىء الحجاج بطبق فيه رطب ، فأخذ الخادم منه شيئا ، فجاءنى به ، ثم جىء بطبق آخر ، حتى كثرت الأطباق ، وجعل لا يأتون بشىء إلا جاءنى منه بشىء ، حتى ظننت أن مابين يدى أكثر مما عندهما .

ثم جاء الحاجب ، فقال: امرأة بالباب ، فقال له الحجاج : أدخلها ، فدخلت ، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه ، حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض ، فجاءت حتى قعدت بين يديه ، فنظرت فإذا امرأة قد أسنت ، حسنة الخلق ، ومعها جاريتان لها ، وإذا هى ليلى الأخيلية .

فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبت له ، فقال لها : ياليلى ، ماأتى بك ؟ فقالت: إخلاف النجوم(٣) ، وقلة الغيوم ، وكلب(٤) البرد، وشدة الجهد ، وكنت لنا بعد الله الرفد(٥) .

فقال لها : صفى لنا الفجاج . فقالت : الفجاج مغبرة ، والأرض مقشعرة ، والمبرك(٦) معتل، وذو العيال مختل، والهالك للقل(٧)، والناس مسنتون(٨)، رحمة الله يرجون ، وأصابتنا سنون مجحفة(٩) مبلطة(١٠)، لم تدع لنا هبعا(١١) ولا ربعا(١٢

---

(١) الأمالى ص ٨٦ جـ ١ ، زهر الآداب ص ٧٦ جـ ٤ ، المصارع ص ١٨٥ ، الأغانى ص ٧٨ جـ ١٠ ، الفوات ص ١٧٦ جـ ٢ ، المحاسن والأضداد ص ٢٤٦ ، السمط ص ٢٨٠ جـ ١ ، أشعار النساء ص ٢٧ جـ ٣ .

(٢) من المقربين إلى الحجاج وله أخبار تروى فى البخل .

(٣) أى لم تجد بمطرها (٤) أى شدة (٥) هو المعونة والعطية (٦) هو مكان برك الأبل وأرادت منه الأبل (٧) أى من أجل القلة (٨) مقحطون (٩) أى ظالمة مهلكة (١٠) أى ملزقة بالبلاط تريد مهلكة (١١) هو ما نتج فى الصيف (١٢) ما نتج فى الربيع

ولا عافطة (١) ولا نافطة (٢) ، أذهبت الاموال ، ومزقت الرجال ، وأهلكت العيال .

ثم قالت : إنى قلت فى الأمير قولا ، قال هاتى ، فأنشأت تقول :

أحجاج لايفلل سلاحك إنها الـ منايا بكف الله حيث تراهـا
أحجاج لاتعط العصاة مناهم ولا الله يعطى للعصاة مناها
إذا هبط الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بهـا غـلام إذا هز القناة سقاها
سقاها فرواها بشرب سجاله دماء رجال حيث مال حشاها
إذا سمع الحجاج رز(٣) كتيبة أعد لهـا قبل النزول قراها
أعد لهـا مسمومة فارسية بأيدى رجال يحلبون صراها(٤)
فما ولد الأبكار والعون (٥) مثله ببحر ولا أرض يجف ثراها

فلما قالت هذا البيت ، قال الحجاج : قاتلها الله ! والله ماأصاب صفتى شاعر مذ دخلت العراق غيرها .

ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد ، فقـال : والله إنى لأعد للأمر عدته ، عسى ألا يكون أبدا ، ثم التفت إليها . فقال : حسبك !

قالت : إنى قد قلت أكثر من هذا ! قال : حسبك ، ويحك ! حسبك !

ثم قال : ياغلام ، اذهب إلى فلان ، فقل له : اقطع لسانها ، فذهب بها، فقال : يقول لك الأمير : اقطع لسانها !

فأمر بإحضار الحجام ، فالتفتت إليه فقالت : ثكلتك أمك ! أما سمعت ماقال ؟ إنما أمرك أن تقطع لسانى بالصلة ، فبعث إليه يستثبته ، فاستشاط الحجاج غضبا ، وهم بقطع لسانه وقال : ارددها ، فلما دخلت عليه قالت : كاد والله يقطع مقولى ، ثم أنشأت تقول:

حجاج أنت الذى مافوقه أحـد إلا الخليفة والمستغفر الصمد
حجاج أنت شهاب الحرب إن لقحت(٦) وأنت للناس نور فى الدجا يقد

---

(١) هى الضأن (٢) هى الماعز (٣) هو الصوت تسمعه من بعيد
(٤) الصرى : البقية (٥) جمع عوان : من كان لها زوج
(٦) أصله من لقحت الابل فى حملت . والحرب إذا عظمت تتولد منها عظائم الأمور (راجع الخزانة ٢٦ج٤٢١)

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها الأمير . إلا أنا لم نر قط أفصح لسانا ، ولا أحسن محاورة ، ولا أملح وجها ، ولا أرصن شعرا منها .

فقال : هذه ليلى الأخيلية ، التى مات توبة الخفاجى من حبها، ثم التفت إليها، فقال أنشدينا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة .

قالت : نعم أيها الأمير ، هو الذى يقول :

وهل تبكين ليلى إذا مت قبلها ... وقام على قبرى النساء النوائح ؟
كما لو أصاب الموت ليلى بكيتها ... وجاد لها دمع من العين سافح
وأغبط من ليلى بما لا أناله ... بلى ! كل ماقرت به العين طائح
ولو أن ليلى الأخيلية سلمت ... على ، ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا ... إليها صدى من جانب القبر صائح

فقال : زيدينا من شعره يا ليلى ، فقالت : هو الذى يقول :

حمامة بطن الواديين ترنمى ... سقاك من الغر الغوادى (١) مطيرها
أبينى لنا ، لازال ريشك ناعما ... ولا زلت فى خضراء غض نضيرها
وكنت إذا ما زرت ليلى تبرقعت ... فقد رابنى منها الغداة سفورها
وقد رابنى منها صدود رأيته ... وإعراضها عن حاجتى وبسورها (٢)
وأشرف بالقور (٣) اليفاع لعلنى ... أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها
يقول رجال : لا يضيرك نأيها ... بلى ! كل ما شف النفوس يضيرها (٤)
بلى ! قد يضير العين أن تكثر البكا ... ويمنع منها نومها وسرورها
وقد زعمت ليلى بأنى فاجر ... لنفسى تقاها ، أو عليها فجورها

فقال الحجاج : يا ليلى : ما الذى رابه من سفورك ؟ فقالت : أيها الأمير ، كان يلم بى كثيرا ، فأرسل إلى يوما : إنى آتيك ، وفطن الحى . فأرصدوا له ، فلما أتانى سفرت عن وجهى ، فعلم أن ذلك لشر ، فلم يزد على التسليم والرجوع .

فقال : لله درك ، فهل رأيت منه شيئا تكرهينه ؟ فقالت : لا والذى

---

(١) هى السحابة تنشأ غدوة .

(٢) بسورها : عبوسها .

(٣) القور : جمع قارة . وهى الأرض ذات الحجارة السوداء . واليفاع التل .

(٤) شفه : هزله .

أسأله أن يصلحك ، غير أنه قال مرة قولا ظننت أنه قد خضع فيه لبعض الأمر ، فأنشأت أقول :

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها　　فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه　　وأنت لأخرى صاحب وخليل

فلا والله الذى أسأله أن يصلحك ما رأيت منه شيئا ، حتى فرق الموت بينى وبينه ، قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث أن خرج فى غزاة له ، فأوصى ابن عم له إذا أتيت الحاضر من بنى عباذة ، فناد بأعلى صوتك :

عفا الله عنها ، هل أبيتن ليلة　　من الدهر لا يسرى إلى خيالها ؟

وأنا أقول :

وعنه عفا ربى وأحسن حاله　　فعزت علينا حاجة لا ينالها

قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث أن مات ، فأتانا نعيه ، فقال : أنشدينا بعض مراثيك فيه ، فأنشدت :

لتبك العذارى من خفاجة توبة(١)　　بماء شئون العبرة المتحدر

قال لها : فأنشدينا ، فأنشدته :

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ　　قلائص يفحصن الحصى بالكراكر (٢)

فلما فرغت من القصيدة ، قال محصن الفقعسى — وكان من جلساء الحجاج — : من الذى تقول هذه هذا فيه ؟ فو الله إنى لأظنها كاذبة ! فنظرت إليه ، ثم ردت عليه ردا شديدا ، فقال الحجاج : هذا وأبيك الجواب ، وقد كنت عنه غنيا .

ثم قال لها : سلى يا ليل تعطى ، قالت : أعط فمثلك أعطى فأحسن ، قال : لك عشرون ، قالت زد فمثلك زاد فأجمل ، قال لك أربعون ، قالت زد فمثلك زاد فأكمل ، قال لك ثمانون ، قالت زد ، فمثلك زاد فتمم ، قال لك مائة ، واعلمى أنها غنم ، قالت معاذ الله أيها الأمير ! أنت أجود جودا ، وأمجد مجدا ، وأورى زندا ، من أن تجعلها غنما ، قال . فما هى ؟ ويحك يا ليلى ! قالت مائة من الإبل برعاتها فأمر لها بها .

ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قالت : تدفع إلى النابغة الجعدى ، قال قد فعلت ،

---

(١) يروى : نسوة على أنها تبيين وارتفاعه بفعل مضمر أى تبكيه .

(٢) الكركرة : رحى زور البعير أو صدر كل ذى خف ، وتفعل الإبل ذلك فى شدة الحر يطلبن برد الماء لينانه .

وقد كانت تهجوه ويهجوها ، فبلغ النابغة ذلك ، فخرج هاربا عائذا بعبد الملك . فاتبعته إلى الشام ، فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة .

ليلى وعبد الملك :

ودخل عبد الملك (٦٥ - ٨٦هـ) على زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فرأى عندها امرأة بدوية أنكرها ، فقال لها من أنت ؟ قالت : أنا الوالهة الحرى ليلى الأخيلية ، قال أنت التى تقولين فى توبة ماتقولين ، قالت : نعم ياأمير المؤمنين ، قال : فما أبقيت لنا ؟ قالت : الذى أبقاه الله لك ، قال وماهو؟ قالت ! نسبا قرشيا ، ومجدا عبقريا ، وجمالك خليفة ووليا ، ومنحك نعمة الحيـــاة ، ووهبك زوجا مطاعة ، فقالت عاتكة : ياأمير المؤمنين إنها قد استشفعت بى إليك فى منهل ماء فى البادية ، يسقى قومها ، وتحميه لها ، ولست ابنة يزيد إن قضيت لها حاجة ، لتقديمها عربيا جلفاً على أمير المؤمنين ، فوثبت ليلى ونهضت قائمة ، واندفعت تقول :

ستحملنى ورحلى ذات رحل ... عليهـا بنت آباء كرام
إذا تركت سواد الشام منها ... وغاق دونها باب اللئام
فليس بعـــائد أبداً إليهم ... ذوو الحاجات فى غلس الظلام
أقلت : خليفة ؟ فسواه أحرى ... بإمرته ، وأولى بالشـــام
لئـــام الملك حين تعد قيس ... ذوو الأخطار والهمم الجسام

لله أنت ياليلى من جريئة على الملوك ، شجاعة حين ترين ذلا أو إهانة ، ولقد أرادت عاتكة أن تتعالى عليك فى قصرها ، فزدت عليها تيها ، ووضعت من شأنها ومن شأن زوجها الخليفة أمامهـــا ، وكأنك أنت زوجة خليفة أو بنت خليفة المسلمين ، بل لقد فخرت بقومك على الخليفة ، ووصفته بما لا يستطيع أن يتكلم به إنسان .

وأخيرا توفيت ليلى الأخيلية عام ٨٠ هـ بقومس (١) كما يقال أو بالبادية على الأصح .

شخصيـة ليلى :

عاشت ليلى بين مجد قومها وحسب عشيرتها ، ثم أحبها توبة وأحبته ، فوفت لعهد حبه وفاء ، وياله من وفاء ، ثم تزوجت «سوارا» ، وعاشت معه فى ظلال الزوجية الكريمة ..

(١) صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

عاشت ليلى وهى تزداد على الايام كهولة وشيخوخة ، ولكنها تزداد تجربة للحياة وخبرة بها وفهما لها ، وتزداد مجدا فى عشيرتها وفى بيئتها ، وفى قصور الولاة والامراء والخلفاء ، وجمعت إلى ذلك الشعر والأدب والفصاحة والبلاغة ، حتى صارت الشخصية البارزة فى حياة الصحراء فى القرن الأول ، بل صارت لايضارعها فى مكانها الضخم فى المجتمع البدوى امرأة ، لقد صارت ليلى حياة البادية ونشيد الصحراء . فقد كانت شخصية ليلى فى شبابها الناضر وكهولتها الرائعة شخصية قوية ، أحدثت أثرا واضحا فى الحياة .

عاشت الخنساء قبلها شاعرة وأما ، أما ليلى فكانت فوق ذلك بطلة فى كل ناحية من نواحى الحياة ، وفى كل لون من ألوان النشاط الاجتماعى فيها ، فلها جولاتها فى الأدب ، وفى حياة قومها ومجتمعها ، وفى كل ما كان يغمر جو البادية من آلام وآمال .

وأظهر خصائص شخصية ليلى هى هذا الروح الكريم ، بما يشتمل عليه من حب وحنان وعاطفة طاهرة وشعور نبيل ووجدان حى ، ومن إيثار وخير ورحمة وبر بالناس .

أما حنانها وحبها فهما مضرب الأمثال ، أحبت توبة فوفت له ولحبه أروع وفاء ، وأحبت قومها ، فضحت بعواطفها وسعادتها وحياتها فى سبيل كرامتهم وتقاليدهم الموروثة ، ومنزلتهم الأدبية بين أحياء العرب جميعا . ثم ناضلت عنهم خصومهم ، ونطقت بحاجاتهم وأمانيهم عند الولاة وفى قصور الخلفاء ، وهى فى حبها لقومها تسمو بهذا الحب وترتفع به حتى تعم به قبائل قيس كافة ، وتجعله للقيسيين جميعا ، يتجلى ذلك فى مظهره الواضح فى وفادتها على الحجاج ، حدثها وحدثته ، وسألها فأنشدته ، فلما انتهيا من الحديث والحوار ، قال لها الحجاج: أى نسائى تحبين ياليلى أن تنزلى فى ضيافتها ، وتؤثرين ان تكونى فى بيتها ؟ قالت ومن نساؤك أيها الأمير ؟ قال : أم الجلاس الأموية ، وهند بنت أسماء الفزارية ، وهند بنت المهلب القيسية ، قالت ليلى : القيسية أحب إلى ايها الأمير ، قال الحجاج أنت ومن تؤثرين ، فكانت ضيفا على هند مدة إقامتها فى واسط مدينة الحجاج وعاصمة ملكه الواسع وإمارته الضخمة واستأذنت ليلى على الحجاج بمدينته «واسط» فأذن لها ، فدخلت ثم قعدت بين يديه وهى مسنة حسنة الخلق ، من أجمل النساء جمالا ، طويلة القامة ، دعجاء العينين ، حسنة المشية ، جميلة المحيا ، ومعها جاريتان لها

فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبت له ، فقال لها . ياليلى ما أتى بك ؟ قالت :السلام على الأمير والقضاء لحقه والتعرض لمعروفه . قال وكيف خلفت قومك ؟ قالت . تركتهم فى خصب وأمن ودعة ، أما الخصب فى الأموال والكلأ ، وأما الأمن فقد أمنهم الله عز وجل بك ، وأما الدعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم ، ثم أنشدته شعرها ، فقال الحجاج : لله درك ماأشعرها ، ثم جاء حاجبه فسمع شعر ليلى فقال : أيها الأمير هذه الشاعرة قد وجب حقها ، قال : ما أغناها عن شفاعتك ، ياغلام اعطها خمسمائة درهم واكسها خمسة أثواب ، وخذ بيدها فأدخلها على أبنة عمها هند ـ وكانت زوجة للحجاج ـ فقل لها : حلى ليلى بأغلى الحلى، فقالت : أصلح الله الأمير أضر بنا عاملك على الصدقات ، فأخذ خيار المال ، فخربت بلادنا ، وانكسرت قلوبنا ، قال اكتبوا لها إلى الحكم بن أيوب فليعطها خمسة جمال ، واكتبوا إلى والى اليمامة بعزل عامل الصدقات الذى اشتكت منه ليلى ؟ وخرجت ليلى فوصلها حاجب الحجاج بأربعمائة درهم ، ووصلتها هند بثلاثمائة ، ووصلها محمد بن الحجاج بوصيفتين ، وسارت وقد قضيت حاجاتها جميعا.

والثقة بالنفس والاعتزاز بالشخصية ، والسمو بها إلى حد بعيد ، كانت سمة غالبة على ليلى وأخلاقها .

لم تسمح لأحد أن يهين كرامتها، حتى لقد عنفت عبد الملك الخليفة الأموى العظيم. وعنفت زوجه عاتكة أمامه ، وجابهت سواه من الخلفاء والولاة وكبار الشخصيات بما لم يكن يجابههم به أى إنسان .

وبينما معاوية الخليفة يسير فى ضواحى دمشق الهادئة ، إذ رأى فارسا ملثما راكبا على جواد كريم ، فقال لبعض حرسه وجنوده ائتنى بهذا الفارس وإياك أن تروعه ، فأتاه ، فقال ، أجب أمير المؤمنين ، فقال الفارس : وإياه أردت ، فلما دنا الفارس حسر لثامه فإذا ليلى الأخيلية ، فسلمت عليه وحيته ، فبالغ فى الاحتفاء بها ، ثم قال ، ماحاجتك ياليلى ، فردت عليه : ليس مثلى يطلب إلى مثلك حاجة ، فأعطاها خمسين من الابل .

كلمة إباء وكرامة ، واعتداد بالنفس عرفت به ليلى ، وخرجت ليلى من لدن معاوية وهى تقول فيه من قصيدة :

وكنت المرتجى ، وبك استعانت   لتنعشها إذا بخل السحاب

وقد سبق ذكر تعنيفها لأحد جلساء الحجاج حين قال لها : ما أظنك إلا كاذبة فيما

تصفين به توبة ، حتى لقد قال له الحجاج : ما كان أغناك عن هذا الجواب .. ودخلت ليلى على عبد الملك وقد أسنت فقال لها : ما الذى أحبه منك توبة يا ليلى ، ؟ قالت : ما أحبه الناس منك حين ولوك الخلافة ، فأغرق عبد الملك فى الضحك .

وهكذا كانت جريئة شجاعة صادقة لاتهاب ولاتخاف ولا تتلعثم ، وكان يدفعها إلى هذا الاعتزاز البعيد بشخصيتها مجدها وحسبها ومكانتها ، وأدبها وشعرها ، وفصاحتها وجمالها وسحرها وفتنتها .

وكانت ليلى واسعة الخبرة بالحياة والناس ، بما اكتسبت فى حياتها فى البادية وفى رحلاتها ، وجوبها البلاد والقفار ، من تجارب ، وأفادت من عظات ودروس ، مما أنضج شخصيتها ، وسما بمكانتها فى مجتمعها إلى الذروة ، سألها معاوية فى وفادتها عليه عن قبائل مضر ، فقالت : فاخر بمضر وحارب بقيس وكاثر بتميم وناظر بأسد ، فأعجب معاوية بكلامها أى إعجاب .

وكانت نشأتها ، وثقافتها الادبية الواسعة الملمة بأيام العرب وأخبارها وانسابها وأشعارها ، وشاعريتها القوية ، ووفادتها على الولاة والخلفاء ، كان ذلك كله مما أمد ليلى بخبرتها الواسعة ، ومما زادها تجربة فى الحياة ، وجعلها فى نضوج عقلى وفكرى واسع .

وليلى مع ما قاسته : من آلام الحياة ، وأحداث العيش ، ومحن الأيام ، ومن فشلها فى حبها ، وإخفاقها فى إدراك سعادتها الروحية . كانت مع ذلك كله مرحة فى الحياة ، تضحك فى وجهها العابس ، وتحلق فى جوها المكفهر بجناح من البشر والأمل والرجاء .

فهى مع ما كانت تشعر به فى قرارة نفسها من شقاء ، لم تزهد فى الحياة ، ولم تعبس فى وجه الأيام ، ولكنها كانت دائما مبتسمة ضاحكة ، فوفدت على الخلفاء الأمويين ، وعلى ولاة وأمراء الأقاليم ، وتمتعت بمباهج الحياة ونعيمها .

لم تكن كالخنساء ، ولم تعش عيشة الخنساء ، متبتلة فى حزنها وعبوسها وشقائها ، زاهدة فى الحياة وما فيها ، ولكنها اقتحمت الميدان ، وخاضت المعركة ، معركة الحياة ، بقلب جرىء وبطولة نادرة .

وليلى الزوجة هى ليلى المخلصة لشرفها وكرامة زوجها ، والمحافظة على شرفه المقدس .

لم تسمح لتوبة أن يقبل يدها لأنها كما قالت ، « لنا صاحب لاينبغى أن نخونه »...
وسمعت الناس يتناشدون شعرا لتوبة يصف فيه دخوله عليها خباء زوجها ، وحرم الزوجية المقدس ، فارتقبته حتى علمت بموعد قدومه لزيارتها ، فأخفت فى المكان الذى التقيا فيه ثلاثة أشخاص ، فلما حضر قالت : يا توبة أنت الذى تقول هذا ، أعلى سبيل الحقيقة تقول ؟ قال : والله ياليلى ماقلته إلا على سبيل الاستطراد والخيال وكما يقول الشعراء ، قالت : فانصرف موفورا ، وقالت لهؤلاء الرجال : هل سمعتم ما قال توبة ؟ قالوا : ما قال إلا خيرا ، وما نظنه أراد يا ليلى منك شرا قط .

والأمومة وعواطفها وحنانها وحسن قيامها بواجبات الطفولة والأبناء واضحة ملموسة فى ليلى وشخصيتها الاجتماعية .

لما وفدت ليلى على الحجاج ومعها ولدها ـ كما فى العقد الفريد ـ أعجب بما رأى من شبابه ، فسألها عنه وعن كيفية تربيتها له ، فقالت له ليلى : إنى أيها الأمير لم أحمل به فى آثار الحيض ولم أضعه منكسا ، ولا أرضعته لبنا فاسدا ، ولا أنمته مستوحشا باكيا .. وذلك يدل على عناية ليلى بأبنائها . ورعايتها لهم منتهى الرعاية ، وإحاطتهم بكل ألوان العناية ، وحسن علمها بواجبات الطفولة ووسائل تربية الأطفال ، حتى ينشأوا نشأة قوية ، ويكونوا رجالا بارزين ، وشبانا أقوياء نابهين .

وفاة ليلى :

كانت ليلى وزوجها قادمين من سفر بعيد ، وهما على راوحلهما ، وليلى تطوف بها الذكريات ، وتتمثل فى خيالها أطياف أيامها الماضية الجميلة ، ومآسى حبها الروحى الحى ، ومصرع توبة فى أرض الصحراء . والقوم يتحدثون ويتسامرون ويضحكون ويمرحون .. ليلى فى وجوم يشبه وجوم البادية ، واغرورقت عيناها بالدموع ، ثم صعدت وليلى النظر فى أرض البادية ، وإذا هى تبصر وترى ، ويالهول ما ترى ، تبصر هذه الأكمة العالية فى أرض البادية التى دفن فيها توبة .. هنا قبر توبة كما كان ، وكما رأته ليلى حينما زارته مع صديقاتها للمرة الأولى بعد مصرعه ..

هنا توبة الذى يقول فى ليلاه :

ولو أن ليلى فى السماء لأصعدت — بطرفى إلى ليلى العيون الكواشح
ولو أن ليلى الأخيلية سلمت — على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا — إليها صدى من جانب القبر صائح

وبكت ليلى بكل عواطفها ومشاعرها ووجداناتها ، وحق لها أن تبكى ، أليس هذا قبر توبة الرابض فى أرض الصحراء ، والذى جمع فيه كل معانى المجد والحياة والشرف والبطولة والاباء والحب والوفاء ، والموكب يسير ، والابل بالحداء تكاد تطير ، وليلى وحدها تبكى ، وظلت تبكى منذ أن تراءى لها قبر توبة فى هالة من خالد الذكريات ، فصاحت بالقوم : قفوا قليلا لأسلم على توبة وأقف على قبره للوداع لحظات أو بعض اللحظات ، فصاح زوجها : سيرى يا ليلى ، سيرى فقد دهمنا الظلام ، وانزعى من قلبك هذه الأحلام والأوهام ، فبادرته ليلى : لن يكون ذلك والله ، ولا أبرح حتى أسلم على توبة . وأخذت تصعد بجملها فى الأكمة ، وسوار زوجها يمنعها ، وهى تأبى كل الإباء ، وصعدت حتى دنت من القبر ، وهى على جملها المضنى من الكلال والاعياء ، وأخذت تنادى : السلام عليك يا توبة ، ثم اغرورقت عيناها بالدموع ، وخفق قلبها واضطرب صدرها وثارت عواطفها ، وسبحت روحها فى آفاق هذا المكان ، الذى تتجمع فيه أطياف البقاء وأشباح الفناء ، ثم التفتت إلى القوم تناديهم : يا قوم والله ما عرفت لتوبة كذبة قط قبل هذا ، سلمت فلم يرد السلام وهو الذى يقول : « ولو أن ليلى الاخيلية سلمت الخ » ، فما بال توبة لم يرد على السلام .

وبجانب القبر « بومة » كامنة فى جوانبه ، أطارها ضرب جمل ليلى برجليه فى الأكمة من الإعياء ، وزفرات ليلى المتصعدة من صدرها الوفى الطاهر ، فطارت فى وجه الجمل ، فنفر وذعر ، وجرى فى الأكمة : فرمى بليلى على رأسها ، فقضت نحبها وماتت لساعتها ، فأخذها القوم من فوق الرمال جثة هامدة ، ثم حفروا لها فى الأكمة بجانب قبر توبة ، حفرة صغيرة ، وواروا فيها جسد ليلى فى التراب .. ومضت ليلى ، كما مضى توبة : صريعة الحب ، وشهيدة الوفاء ، وبطلة خالدة من أبطال الصحراء ، وكانت وفاتها عام ٨٠ هـ .

ليلى ومنزلتها الأدبية

مجدها الأدبى :

بلغت ليلى فى الأدب منزلة كبيرة ، ونالت من المجد الأدبى مالم ينله فى عصرها كثير من شعراء البادية وفصحائها ، فهى شاعرة تبذ الشعراء وتغلبهم فى ميدان البلاغات ، وتأخذ دونهم قصب السبق يوم الرهان ، وشعرها الباقى والمفقود منه مظهر شاعريتها

وهى راجزة تغلب الرجال فى الرجز ، وتباريهم فى ميدانه ، وهى محدثة لبقة ، ومحاورة بليغة ، وخطيبة فصيحة ، كما يتجلى ذلك من كلامها فى مجالس الولاة والأمراء والخلفاء ، وحسبك إعجاب الحجاج ببلاغتها ، وتقديره لفصاحتها وشعرها وروعة حديثها ، فهو تقدير ينم عن مكانة ليلى الأدبية : أو ليس الحجاج هو الخطيب المؤثر ، والبليغ الساحر ، والعربى الفصيح ، الذى يسحره البيان ، وتشده البلاغة ، ويملك عليه عواطفه ومشاعره بلاغة القول ، وجودة التعبير . . حقا لقد كان مجد ليلى الأدبى فى عصرها وبعد عصرها واضحا ملموسا ، اعترف به الشعراء ، وأقر به النقاد ، وسارت بذكره أسفار الأدب وكتب النقد ، مما سنفصله .

ثقافتها الأدبية :

وثقافة ليلى الأدبية استمدتها من بيئتها نفسها ، فقد عاشت فى البادية موطن البلاغة والشعر ، وسمعت من أفواه الأدباء والشعراء والبلغاء ، وعاشرتهم واتصلت بهم ، مما قوى ملكاتها ، وصقل طبعها ، وقوم ذوقها : فنشأت أديبة مفطورة على الأدب والشعر والبيان . وكانت فصيحة شاعرة مقدمة حافظة لأنساب العرب وأيامهم وأشعارهم . وكانت بليغة اللسان ساحرة البيان ، تملك زمام الإجادة فى كل فن ومذهب .

ليلى الخطيبة :

وكانت ليلى خطيبة مؤثرة ، يقدمها قومها فى حاجاتهم عند الولاة والخلفاء ، فتنطق السداد ، ويمدها الالهام والفطرة والطبع بفيض من البلاغة ، تصور لك الاشياء تصويرا بارعا ، وتؤثر فى نفسك تأثيرا قويا ، وتدعك مؤمنا برأيها وفكرتها ، وخطب ليلى ومحاضراتها وأحاديثها وسمرها عند الامراء وفى قصور الخلفاء ، تنم عن روح مطبوعة على البيان والخطابة والبلاغة .

ولا عجب فى ذلك فالبادية بما فيها من بلاغات ، وليلى بما فطرت عليه من شجاعة وجرأة وصراحة وقوة وصدق ، وما كانت فيه من حسب ومجد وقوة شخصية ، وما اتسمت به من جمال وسحر ، كل ذلك كان يبعث فى ليلى روح الخطابة ويمدها ببلاغاتها . . وقد ربى الاسلام روح الشجاعة والقوة فى المرأة العربية ، لذلك نجدها تقف مواقف كريمة يتدفق من لسانها السحر والبيان ، ويروعك منها فى خطبها جهارة الرأى وصدق اليقين والحماسة العالية لما تعتقد من فكرة ، وكانت النساء اللواتى يتشيعن لعلى يدخلن على معاوية وهو على سرير ملكه ، والجند المدججون بالسلاح

من حوله ، فيعنفنه ويواجهنه بالقول الجارح والحجة الدامغة ،فإذا اتفق لإحداهن أن تطلب حاجة فإنما تطلبها فى عزة وكبرياء وأنفة دونها عزة الملك وشمم العظماء . . هكذا كانت ليلى جريئة الجنان بليغة اللسان ساحرة البيان ، مؤثرة فى خطابتها وحجتها ، كما رأيتها فى بلاط معاوية ومجلس مروان وأمام عبد الملك وبين يدى الحجاج .

شاعرية ليلى ومظاهرها :

ولقد كانت ليلى شاعرة مجيدة ساحرة . بل كانت شاعرة البادية ، ومصدر الالهام فى الصحراء ، تتجلى هذه الشاعرية القوية البارزة ، فى نسيبها المرح ، وفى مراثيها الخالدة لتوبة ، وأوصافها لبطولته وشجاعته ، وفى مدائحها للخلفاء والأمراء مما مر الكثير منه والاشارة إلى مصادره . .كما تتجلى فى أهاجيها للقبائل والشعراء ، وفى فخرها بنفسها وقومها وعشيرتها ، مما دونت أسفار الأدب بعضه ، وفقد تاريخنا الأدبى باقيه . . وهى التى تقول تفتخر بقومها :

نحن الأخايل لا يزال غلامنا ... حتى يدب على العصا مذكورا
تبكى السيوف إذا فقدن أكفنا ... جزعا وتعلمنا الرفاق بحورا

إلى آخر هذه الأبيات وقد سبق ذكرها . . ولها تمدح بعض أبطال قومها العامريين من قصيدة طويلة :

لاتغزون الدهر آل مطرف ... لا ظالما أبدا ولا مظلوما
قوم رباط الخيل وسط بيوتهم ... وأسنة زرق تخال نجوما
ومخرق عنه القميص تخاله ... وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا رفع اللواء رأيته ... تحت اللواء على الخميس زعيما

إلى غير ذلك من الآثار القليلة الباقية من شعرها . .

بواعث شاعريتها :

ورثت ليلى الشعر عن أسرتها الشاعرة ، ونمى فى نفسها روح الشاعرية ، جو البادية الشاعر ، وهذا السمو الروحى الذى يشيع فى آفاق الصحراء ، خلقا وعواطف ومشاعر ووجدانات كريمة مهذبة . . ثم صقلت هذه الشاعرية بلاغة البادية وملكات الناشئين فيها القوية وما طبعوا عليه من فصاحة وبيان . . ثم كان حبها الخالد لتوبة ، ووفاؤها له مما فجر ينابيع الشاعرية فى صدرها وأوحى إليها بدائع الأناشيد وساحر المقطوعات وبليغ القصائد ، ثم كانت عواطفها القوية ، واعتزازها البالغ بشخصيتها ،

وشعورها بالعظمة، من بواعث الشعر فى صدرها، وكانت حاجات البادية وحاجات المعيشة الملحة فيها سببا من أسباب قوة شاعريتها وكذلك هذه الخصومات الأدبية بين ليلى والشعراء كانت عاملا كبير الأثر فى شاعريتها وحياتها الفنية والأدبية جميعا، ومصرع توبة الدامى ومقتله الأليم، أثار الذكريات الهادئة الكامنة فى قلب ليلى وهيج روح الشاعرية فى طبعها ونفسها وملكاتها.. وهكذا كانت شاعرية ليلى متعددة البواعث والأسباب.

خصائص شاعريتها :

وخصائص شاعرية ليلى تبدو واضحة فى هذه العاطفة القوية المتأججة، فى هذا الصدق وتلك السذاجة البريئة فى التعبير والأداء، وفى هذا الاسلوب القوى المتين، وهذه الالفاظ التى تسلس أحيانا وتسير فى تيار الحوشية والغرابة أحيانا أخرى.. كما تبدو فى إصابتها لما تنشده من أغراض وأهداف، وفى نظرتها البعيدة وتحليلها الدقيق للاشخاص الذين تتناولهم فى شعرها، حتى لقد قال الحجاج: والله ماأصاب صفتى شاعر منذ دخلت العراق سواها، كما تمتاز بقوة التأثير وبالجزالة والروعة، وببدوية المعانى والاسلوب، وشعرها فى أغراضه يجمع بين الغزل والمدح والهجاء والرثاء والفخر والحكمة

النسيب فى شعر ليلى وتوبة :

والنسيب فى شعر ليلى قليل جدا، وهو فى شعر توبة كثير، ونجد بعض نماذج منه من شعر ليلى فى كتاب « شاعرات العرب ».

ولقد كان غزل توبة غزلا روحيا، فيه هيام بالحب للحب، وتقديس للجمال لنفس الجمال، وفيه تصوف روحى، وإيثار للتضحية فى سبيل هذا الحب والوفاء له، لقد كان حب توبة لليلى حبا عذريا بريئا لا إثم فيه ولا دنس ولا متعة من متع الجسد والشيطان:

على دماء البدن إن كان زوجها   يرى لى ذنبا غير أنى أزورها
وأنى إذا مازرتها قلت يا اسلمى   فهل كان فى قول اسلمى ما يضيرها

وغزله وصف فيه توبة محبوبته وجمالها وهيامه بها، أما نسيب ليلى فى توبة فقد مضت نماذج منه فيما أنشدته ليلى أمام الخلفاء من شعر لها فى توبة يكاد يكون إلى المدح أقرب. ويشبه بعض الأدباء ليلى بسافو شاعرة الاغريق فى الزمن القديم منذ خمسة وعشرين قرنا.

ولكن سافو تمتاز بهذا الغزل الصارخ الذى لا تعرفه البدويات الخفرات ، فشتان بين ثورة العاطفة الجامحة الملتهبة ونشدان اللذة فى الحب كما ترى فى شعر سافو وبين هذا الغزل العذرى الذى كانت تغنى به ليلى فتغنى به معها الصحراء .

وإن كانت منزلة سافو فى عصرها ومكانة ليلى فى البادية العربية يكادان يرتفعان إلى مستوى واحد وينزلان منزلة واحدة ..ومن الغريب أن شعر ليلى وتوبة ينبعان من منبع واحد ، ويسيران فى جدول واحد ، ويتشابهان فى كثير من خصائص الشعر ومميزاته ، وفى كثير من بواعثه وأسبابه ، وذلك لاتحاد النشأة والبيئة والعواطف وتأثرهما بمؤثرات واحدة فى الأدب والحياة ، فكان شعرهما قريبا من بعض فى الروح والمعانى ، والأساليب والجزالة والسذاجة والوضوح والعاطفة القوية والهيام الروحى فى الحب والوفاء له ، إلى غير ذلك من مظاهر هذا التشابه الغريب .

الرثاء فى شعر ليلى :

وقد قصرته ليلى على رثاء توبة ، تعداد فضائله ومظاهر بطولته ونبله ، وتصوير مصرعه والتنديد بقاتليه ، وذكر مجده فى نفسه وأدبه وحسبه ، وفداحة المصاب فيه ، وتوشيه أحيانا بلون من الحكمة تعزى بها نفسها فيه :

ومن كان مما يحدث الدهر جازعا   فلا بد يوماً أن يرى وهو صابر
وكل شباب أو جديد إلى البلى   وكل امرىء يوماً إلى الله صائر
وكل قرينى ألفة لتفرق   شتاتاً ، وإن ضنا وطال التعاشر

ويمتاز رثاء ليلى بطوله والتهاب مافيه من عاطفة ، وبقوته وجزالته ، وأثر الحزن والوفاء فى نفس ناظمته ، وقد مضى عرض موجز لأهم قصائد ليلى فى الرثاء ، ويغنينا ذلك عن تحليل جميع أغراض ليلى الشعرية فى هذا المقام . وشعر ليلى تجده كله مجموعاً فى كتابى « توبة شاعر البطولة » طبع دار الأنوار ١٩٤٩ ، وفى كتاب شاعرات العرب بعض منه .

ولتوبة (١) فى ليلى :

أرى الناس من ليلاك سقيا وقربها   حياً كحيا الغيث الذى أنت ناظره
ولو سألت للناس يوما بوجهها   سحاب الثريا لاستهلت مواطره
ومن يبق مالا عدة وصنانة   فلا الشح يبقيه ولا الدهر وافره
ومن يك ذا عود صليب يعده   ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

---

(١) ٦/٨ المؤتلف

مكانة ليلى فى الشعر :

ولليلى شعر كثير موزع بين كتب الأدب والتاريخ: كالأغانى والأمالى والحماسة وشاعرات العرب والعقد الفريد واختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور (مخطوط) ، وسواها من شتى مصادر الأدب العربى . وفى الكتاب لسيبويه شواهد كثيرة من شعر ليلى الأخيلية .

وكانت ليلى من النساء المتقدمات فى الشعر من شعراء الاسلام ، كما يقول صاحب الأغانى .

وهى من أشعر النساء لايقدر عليها إلا الخنساء كما يقول ابن قتيبة فى « الشعر والشعراء » ، وكانت فصيحة جميلة شاعرة مقدمة حافظة لأنساب العرب وأيامها وأشعارها واشتهرت بحب توبة الخفاجى وكان توبة مبرزا فى قومه سخيا فصيحا مشهورا بمكارم الأخلاق وله فيها قصائد غرر ولها فيه مراث كثيرة كما يقول صاحب كتاب شاعرات العرب ، وكانت ليلى والخنساء بائنتين فى أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول ورب امرأة تتقدم فى صناعة وقلما يكون ذلك ، كما يقول المبرد (٢٧٩ جـ ٢ الكامل طبعة التجارية) ، وكان الاصمعى يقدم ليلى الأخيلية ، كما يقول الحصرى (٧٠ د ٧٦ جـ٤ زهر الآداب) . وتوفيت سنة ٨٠هـ ... وجدها كعب ، وسميت الأخيلية بقولها وقيل بقول جدها كعب :

نحن الأخايل مايزال غلامنا حتى يدب على العصا ـ مذكورا

إلى آخر هذه الأبيات» (١) . وكانت ليلى راجزة أيضا(٢) قال أبو زيد(٣) : ليلى أكثر تصرفا وأغزر بحرا واقوى افظا . والخنساء أذهب غورا فى الرثاء . »

وقد ذاعت شهرة ليلى الادبية ومنزلتها فى الشعر ، وارتفعت مكانتها فيه ، ولا عجب فى ذلك فقد احتلت ليلى مكانها الادبى الممتاز بين خصومات أدبية متعددة، وبعد أن غلبت جميع منافسيها من الشعراء فى البادية ، غلبت النابغة الجعدى الشاعر وسواه من الشعراء ؛ واحتكم إليها الشعراء فى خصوماتهم الفنية، وأقروا بحكمها ، واعترف بمنزلتها فى الشعر الامراء والخلفاء وهم أئمة البلاغة والبيان ، كما اعترف بها النقاد ، مما سنفصل القول فيه .

---

(١) ٣٤٣ معجم الشعراء (٢) ٩٧ المؤلف (٣) ٧٠د٧٦ جـ ٤ زهر الآداب . وأبو زيد هو أبو زيد الأنصارى م ٢١٥ هـ

ليلى يحتكم إليها الشعراء :

ولم تكن ليلى شاعرة فحسب ، بل كانت تشعر وتنقد ، وتعمل ذوقها وطبعها في تهذيبه والتأنق فيه ، وعرف الشعراء ذوقها في الشعر ، فاحتكموا إليها ، يرضون بحكومتها الادبية فيما شجر بينهم من خلاف،اجتمع حميد بن ثور الشاعر،ومزاحم العقيلى ، والعجير السلولى ، والعباس الكندى ، وأوس الهجيمى ؛ وكلهم من شعراء البادية ؛ فمرت بهم قطاة ، فأجمعوا على وصفها ، ونظم كل منهم قصيدة في هذا الفن ؛ ثم اختلفوا في أيهم أبلغ كلاما وأحسن وصفا ، فاحتكموا إلى ليلى ، وأنشدها كل منهم ماقال ، ففضلت السلولى عليهم جميعا لاجادته، وقالت في ذلك:

ألا كل ماقال الرواة وأنشدوا بها غير ماقال السلولى بهرج

ليلى تناضل النابغة الجعدى :

ومن العجيب أن تشترك ليلى في الخصومات الأدبية التي كانت تثور بين شعراء البادية ، وأن تنتصر في هذا المجال على فحول الشعراء انتصارا كبيرا حافلا،أليست هي التي انتصرت على النابغة الجعدى الشاعر وأفحمته وغلبته في ميدان القول والبيان ؟ فقد « هاجت النابغة وغلبته في الهجاء » ، وتفصيل ذلك أن بني وائل القيسيين قتلوا رجلا من بني جعدة القيسيين ـ أيضا ـ قوم النابغة الجعدى الشاعر النابه البليغ ، فطالب بنو جعدة بدمهم من الوائليين ، فلاذ الوائليون بعقال بن خويلد العقيلى واستجاروا به فأجارهم ونافح عنهم ، وصار من المتعذر على الجعديين أن ينالوا من خصومهم بعد ذلك منالا ، ثار الجعديون ، وثار شاعرهم النابغة ، فنطق بما يجيش في صدره وصدر قومه من حزن وألم وبكاء ورثاء ، وإشفاق على عقال أن يقوده طغيانه إلى مصير أمثاله من الطغاة ، ولكن « عقالا » رد في كبرياء على النابغة فأفحمه وأسكته ، ولم يغن النابغة وشعره شيئا ووقف العقيليون إلى جانب عقال ، يؤازرونه في خصومته للجعديين ، وهب شعراؤهم ينتصرون لجدهم الذى حاول النابغة أن يشوهه ، وكان من هؤلاء الشعراء الذين ردوا على النابغة سوار بن أوفى القشيرى زوج ليلى ، نظم سوار قصيدة من قصائده يهجو فيها النابغة وقومه وأخواله ، فرد عليه النابغة بقصيدة هجا فيها سوارا وقوم سوار من القشيريين والعقيليين ، فرد عليه سوار وتفاقم بين الشاعرين الهجاء .

وكان لابد لليلى أن تتقدم الصفوف في ميدان هذه الخصومة ، فدخلت بين سوار والنابغة تناضل النابغة بشعرها الساحر ، وقصائدها البليغة ، وتدفعه عن سوار

وقوم سوار جميعا ، أنشدت ليلى قصيدتها:

وما كنت لو فارقت جل عشيرتى   لأذكر مجدا بائدا قد تشهلا

فأجابها النابغة بقصيدته :

ألا حييا ليلى وقولا لها هلا   فقد ركبت أمراً أغر محجلا

فردت عليه ليلى بقصيدتها :

* أنابغ لم تنبغ ولم تك أولا *

وتطاير شرر الهجاء بين ليلى والنابغة ، فأقامت ليلى تهاجيه حتى أفحمته إفحاما ، ولم يستطع أن يجاريها فى ميدان الشعر والبيان .

واجتمع الجعديون على أن يرفعوا أمرهم إلى أمير المدينة أو إلى الخليفة الأموى بدمشق ، ليأخذ لهم بحقهم من ليلى التى شتمت أعراضهم ، ورمتهم بآبدة من لسانها ، ووصمتهم بوصمة الخزى والعار بين أحياء العرب ، وسلبتهم مآثرهم ومآثر قومهم التليدة ، وشوهت ذكريات مجدهم طول الأحقاب .

وبلغ الأمر ليلى فتهكمت بهم تهكما مريرا فى قصيدتها التى تقول فيها :

أتانى من الأنباء أن عشيرة   (بشوران) يزجون المطى المذللا

يروح ويغدو وفدهم بصحيفة   ليستجلدوا لى ، ساء ذلك معملا

فخشى القوم شرها وسكتوا عنها .

وظلت ليلى تناضل النابغة ، حتى وفدت على الحجاج ، فسألته أن يدفع إليها النابغة ، فأجابها الحجاج إلى طلبها ، فخرج النابغة من البادية عائذا بعبد الملك بن مروان بالشام ، فتبعته ليلى بكتاب الحجاج ، فخاف النابغة أن تسحر ليلى عبد الملك ببلاغتها ، فيمضى كلمة الحجاج ، فهرب إلى خراسان . فخرجت ليلى إلى خراسان ومعها كتاب الحجاج ، فتوفى الجعدى وهو فى الطريق نحو عام ٨٠ هـ .

إعجاب الناس بشعرها .

وكان لشعر ليلى رنة من الطرب والسرور فى نفس ممدوحيها من الأمراء والوزراء . ورواه الناس فى البادية ، ورردده علماء الأدب ونقاده ، وأثنى عليه الأدباء والشعراء ثناء كبيرا .. وحسبك أن الحجاج استنشدها شعرها ، وأنصت له وأعجب به ، والحجاج رابع ثلاثة كان لهم فى الأدب والبلاغة والبيان القدح المعلى . ولما أنشدته ليلى قصيدتها التى تقول فيها :

إذا هبط الحجاج أرضا مريضة   تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العياء الذى بها غلام إذا هز القناة سقاها

قال لها الحجاج : لا تقولى غلام ، وقولى همام ، وهكذا أراد الحجاج ألا يسير شعر ليلى فيه إلا بعد أن يمثله فى قوته وبطشه وبعد همته ورفعته ، فنقدها هذا النقد الجميل ، ولكن ليلى لم تكن تريد هذا ، هى لا تريد أن تسرف فى مدحه والاشادة به ، لأنها لا تعرف الإسراف ، ولا تؤثر غير الصدق ، ولا ترهب أحدا ، ولأنها معتزة بنفسها وشخصيتها قبل كل شىء ، لاتريد ليلى أن تقول « همام » ، ولكنها نطقت بكلمة « غلام » ، لانها لاتريد غيرها ولا تبغى سواها .

بين ليلى والخنساء :

ورثت ليلى المجد الادبى الذى نالته الخنساء قبلها ، والخنساء فى حسبها وفى عشيرتها من بنى الشريد السلمى من القيسيين، وفى جمالها وشاعريتها وشخصيتها ، كانت من أظهر شاعرات البادية فى أول عهد البادية فى الاسلام .

وعدت زعيمة النساء الشاعرات لقوة شعرها وصدق شعورها، مع جمال أسلوبها وسلامة طبعها وقوة ملكاتها.. حضرت سوق عكاظ ، وأنشدت فيه النابغة الذبيانى الذى كان الحكم بين الشعراء ، فقال لها : ياتماضر لولا أن الاعشى أنشدنى لقلت إنك أشعر هؤلاء الشعراء ثم احتلت بعد ذلك مكانها المختار فى الشعر ، حتى كان جرير إذا سئل : من أشعر الشعراء ، يقول : أنا لولا الخنساء ، وفضلها معاوية على الاخطل ، وكان بشار يقول فيها : لم تقل سيدة الشعر إلا ظهر ضعفها فيه ، فقيل له وكذلك الخنساء ، فقال : تلك غلبت الفحول . وهكذا كان مجد الخنساء ، وذهبت شهرتها البعيدة فى الرثاء بعد نكبتها بقتل أخويها صخر ومعاوية ، إلى أن توفيت بالبادية عام ٤٦ هـ ... وورثت ليلى الاخيلية مكانة الخنساء ومجدها فى الشعر وذهبت ليلى والخنساء مثلين سائرين فى الشعر وجودته ، وفى صفاء الطبع وقوة الملكة وبلاغة الاسلوب وقوة العاطفة ، وامتازتا بالاجادة فى الرثاء .

كانت الخنساء ترثى أخويها صخرا ومعاوية ، ومازالت كذلك فى الاسلام، فأقبل أبناء عمها بها إلى عمر وهى كهلة مسنة ، فقالوا يا أمير المؤمنين هذه هى الخنساء قد قرحت أجفانها من البكاء فى الجاهلية والاسلام ، فلو نهيتها لرجونا لها الخير فى مؤتنف حياتها ، فقال لها عمر : يا تماضر اتقى الله وأيقنى بالموت ، قالت يا أمير المؤمنين أبكى أبى ، ومن مثل أبى ؟ ، وأبكى أخوى صخرا ومعاوية خيرى أبناء مضر ، ومن مثل صخر ومعاوية بين الناس؟ ، وإنى بعد لموقنة بالفناء ، ولكنه بكاء يتم عن وفاء ،

ويؤدى حق الرثاء ، لاعز الآباء ، ولأخوى فخرى البادية .. وكذلك كانت ليلى ترثى توبة فنهاها زوجها وقومها وإخوتها عن الاسترسال فى البكاء ، فأبت أن تنسى عهد توبة طول حياتها .. وهكذا كانت ليلى والخنساء .. وليلى على أى حال تكمل هذا المجد الادبى الذى بنته الخنساء لسيدات الصحراء ، لقد كان فى البادية كثير من النساء الشاعرات فى عهد الخنساء وفى عهد ليلى ، كجمل الضبابية ، وأم موسى الكلابية ، وريطة بنت العباس السلمى ، وبكارة الهلالية ، وليلى العامرية ، وأم الاسود الكلابية ، وجمل السلمية والخنساء بنت التيحان ، ومن قبلهن ليلى العفيفة صاحبة البراق، التى تقول فيه بعد أن اغتصبها ملك فارس من أبيها :

ليت للبراق عينا فترى ما ألاقى من بلاء وضنا

حقا كانت البادية حافلة بالكثير من هؤلاء الشاعرات .

ومع ذلك ، ومع كثرة هؤلاء الشاعرات فى البادية وفى الحياه فيها فى القرن الاول ، فان الخنساء وليلى هما زعيمتا هذه النهضة الأدبية التى اهتزت بها أرجاء البادية فى ذلك الحين.. وأثر ليلى فى هذه النهضة الأدبية التى كللت هامة المرأة العربية بالفخار أثر واضح ، قد لا يشبهه إلا أثر الخنساء التى غرست بذور هذه النهضة الأدبية النسوية فى البادية . . فلقد «كانت ليلى من النساء المتقدمات فى الشعر من شعراء الاسلام» ، بل هى «من أشعر النساء ولا يقدم عليها الا الخنساء» ، «وكانت ليلى والخنساء متميزتين فى أشعارهما متقدمين لأكثر الفحول ، ورب امرأة تتقدم فى صناعة ، وقلما يكون ذلك» كما يقول بعض النقاد ، وكان الأصمعى العالم الناقد المعروف يقدم ليلى الأخيلية ، وقال أبو زيد العالم المشهور : ليلى أكثر تصرفا وأغزر بحرا وأقوى لفظا ، والخنساء أذهب عمودا فى الرثاء.. وإن كان بعض النقاد يقدم الخنساء ، ونحن لا نرى الخنساء وليلى إلا جنديين فى ميدان الأدب والنضال فى سبيله سجلت لهما الأيام أعظم الانتصارات .

إننا لا نذهب إلى ما يذهب إليه هؤلاء وأولئك النقاد ، ولكننا نقول : إن مجد الخنساء الأدبى لا يضارعه إلا مجد ليلى ، ومجد ليلى لا يضارعه إلا مجد الخنساء .

الأدب النسوى فى البادية

وأخيرا فهذا الأدب النسوى الذى ملأ البادية فى القرن الأول ، هو الذى ملأها إلهاما صادقا ، وعواطف كريمة ، وأشاع فيها حياة الكرم والطموح معا ، ونفخ فى شبابها روح الجد والمجد ، وحفزهم إلى إظهار بطولتهم فى شتى نواحى الحياة

وعلى الأخص فى ميدان الفتح والجهاد ، وهو الذى أنقذ البادية من الخصومات والعداوات ، وملأها أمنا وطمأنينة، وأشاع فى أرجائها هذا المظهر والسمو الروحى والطموح والاعتدال والثقة بالنفس إلى حد بعيد .. ومع ذلك فهذا النشاط الأدبى الذى أسهمت المرأة فيه فى البادية دليل على النشاط البعيد فى شتى نواحى الحياة .. لقد رأينا ليلى لا تقصر شعرها على عواطفها وآمالها وآلامها ونعيمها وشقائها ، ولا تقيده بحدود البيت والأسرة أو الأنوثة والأمومة أو الأطفال الذين تداعبهم ويداعبونها وتنشئهم ليكونوا رجال المستقبل وابطال الغد ، ولكنها أسهمت بشعرها فى جميع ميادين الحياة الاجتماعية فى البادية ، نطقت بحجة قومها أمام الأمراء ، وطالبت بحقوقهم عند الخلفاء ، واستجلبت رضى الولاة على حيها وعشيرتها ، ثم ناضلت عن قومها وهجت خصومهم من القبائل ومن الشعراء.. وكذلك كان غير ليلى من الشاعرات اللواتى عاصرنها وعشن مثلها فى البادية ، فقد أسهمن فى الحياة بنصيب كبير ، وكن الجنود المجهولة فى ميدان الحياة الاسلامية الحافل بكل جديد.. على أن هذا الأدب النسوى كان يدور فى الكثير حول الحب الروحى ، والغزل العذرى العنيف، ذلك أن الحياة الاسلامية الجديدة وكثرة ترف الأشراف فى الحجاز ، ورقة مزاج أهل البادية بتأثير الحياة الروحية الجديدة ، وهذا التمازج الابدى الوثيق بين البادية والحياة الروحية الصافية ، كل ذلك مما بعث هذا اللون المختار من ألوان الأدب فى الشعر فى صورته السحرة فظهر الغزل فى الحجاز على أنه فن يقصد لنفسه ، يصور فيه الشاعر هواه وصبواته وحبه، واختلفت مذاهب الشعراء الحجازيين فى هذا الفن باختلاف حياتهم وبيئاتهم ، فأما أهل البادية منهم فكان غزلهم عذريا عفيفا لا حرج فيه ولا إثم ، إنما هو الحب الصادق ، والهوى الطاهر ، يهيمن على قلب الشاعر ونفسه ، فيملك عليه أمره ، ويسمو به إلى طور من أطوار الحب هو الهيام الصوفى بالجمال الالهى الكريم فى الأرض ، الذى يشبه هيام الصوفيين بالجمال الاسمى فى السماء ، أو هيام الفلاسفة بالجمال المقدس فى الخير والحق والمعرفة ، وعلى أى حال فإن هذه العاطفة تدفع الشاعر دفعا رائعا إلى التعبير عنها ووصفها فى شعر رائع يمثل هذه المعانى الروحية فى الحب ، ويصور نواحى الجمال الروحى فى صلة المرأة بالرجل وزعماء هؤلاء الغزليين من أهل البادية توبة ، وجميل بثينة ، وقيس مجنون ليلى العامرية .

وأما أهل المدن وشعراؤها فى الحجاز كمكة والمدينة والطائف فكانوا فى ثروة

ضخمة وترف واسع ولهو كثير . ووصفوا فى غزلهم هذه الحياة التى يحيونها ، والعيش الذى يعيشون فيه ، أحبوا الجمال لا للجمال ، ولا لنزعات صوفية روحية ، ولكن لمآرب النفس وشهواتها ، فصوروا فى شعرهم حياتهم ولهوهم وعواطفهم التى تنشد اللذة والمتعة فى الحب والعطش المادى إلى الجمال ، وزعيم هؤلاء عمر بن أبى ربيعة ؟ ويشابهه الأحوص ونصيب وسواهما ، من الشعراء ... والنزعة الأولى هى التى كانت ممثلة فى شعر جميل والمجنون وسواهما .

جميـــــل بثينة

المتوفى عام ٨١ هـ

هو جميل بن عبد الله بن معمر من عذرة وصاحب بثينة .

كان جميل شاعرا نشأ فى قومه بنى ربيعة بوادى القرى بين المدينة ومكة، وأحب بثينة وهى ابنة عمه وكان قد علقها صغيرا فاشتهر حبهما ، ووصل خبره إلى أبيها . فامتنع عن زواجها له فصار جميل يشبب بها وينظم القصائد فى وصفها ووصف حبه لها .

وكان ذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان فاستعدى أهلها الوالى ، لكى يكف جميل عن التشبيب ببثينة . وبلغ ذلك جميلا ففر إلى الشام ونزل عند أحد وجوه بنى عذرة وكان يعرف خبره ويرحمه . ومما يحكى أن هذا الرجل احتال على جميل لكى ينسيه حبه ، فزين سبع بنات فكن يتصدين له متبرجات ويعاودن ذلك حتى يعلق إحداهن ، ففطن جميل للحيلة وصد عنهن ، وقال فى ذلك :

حلفت لكيما تعلميني صادقا ... وللصدق خير فى الأمور وأنجح

لتكليم يوم واحد من بثينة ... ورؤيتها عندى ألذ وأملح

وكان جميل وبثينة يلتقيان فى الخلاء . روى صاحب الأغانى : « أن بثينة لما أخبرت أن جميلا قد نسب بها حلفت بالله لا يأتيها على خلاء إلا خرجت إليه لا تتوارى منه . فكان يأتيها فى غفلات الرجال فيتحدث إليها . وقد أكثر فيها من نظم القصائد التى كانت تنال إعجاب الناس والشعراء والنقاد ، فمن ذلك قوله :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بوادى القرى إنى إذن لسعيد

وهل ألقين فردا بثينة مرة ... تجود لنا من ودها ونجود

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل ... إلى اليوم ينمى حبها ويزيد

وأفنيت عمري بانتظاري وعدها ... وأبليت فيها الدهر وهو جديد
فلا أنا مردود بما جئت طالبا ... ولا حبها فيما يبيد يبيد
وما أنس م الأشياء لاأنس قولها ... وقد قربت نضوى : أمصر تريد ؟
ولا قولها : لولا العيون التى ترى ... لزرتك فاعذرنى فدتك جدود
خليلى ما ألقى من الوجد قاتلى ... ودمعى بما قلت الغداة شهيد
يقولون : جاهد ياجميل بغزوة ... وأى جهاد غيرهن أريد ؟
لكل حديث بينهن بشاشة ... وكل قتيل عندهن شهيد

روى الأغانى : لقى جميل بثينة بعد تهاجر كان بينهما طالت مدته ، فتعاتبا طويلا ، فقالت له : ويحك ياجميل أتزعم أنك تهوانى وأنت الذى تقول :

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى ... وفى الغر من أنيابها بالقوادح

فأطرق طويلا يبكى، ثم قال : بل أنا القائل :

ألا ليتنى أعمى أصم تقودنى ... بثينة لايخفى على كلامها

فقالت له : ويحك ! ماحملك على هذه المنى أو ليس فى سعة العافية ما كفانا جميعا .

وسعت أمة لبثينة بها إلى أبيها وأخيها ، وقالت لهما إن جميلا عندها الليلة . فأتياه مشتملين على سيفين ، فرأياه جالسا حجزة منها يحدثها ويشكو إليها بثه . ثم قال لها : يابثينة أرأيت ودى إياك وشغفى بك ألا تجزينه ؟ فقالت : بماذا ؟ قال : بما يكون بين المتحابين ، فقالت له : ياجميل أهذا تبغى ؟ والله لقد كنت عندى بعيدا منه ، ولئن عاودت تعريضا بريبة لا رأيت وجهى أبدا . فضحك وقال : والله ماقلت لك هذا إلا لأعلم ماعندك فيه ، ولو علمت أنك تجيبينى إليه لعلمت أنك تحبين غيرى ، ولو رأيت منك مساعدة عليه لضربتك بسيفى هذا ما استمسك فى يدى، ولو أطاعتنى نفسى لهجرتك هجرة الأبد ، أو ما سمعت قولى:

وإنى لأرضى من بثينة بالذى ... لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلى ، وبأن لا أستطيع ، وبالمنى ، ... وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى، وبالحول تنقضى ... أواخره لا نلتقى وأوائله

فقال أبوها لأخيها : قم بنا فما ينبغى لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها، فانصرفا وتركاها .

وتزوجت بثينة من آخر غير جميل ، ولكنها بقيت تحفظ عهده ، ويزورها خفية

فى بيت زوجها إلى أن علم زوجها، بذلك فشكاه للوالى، فأهدر دمه إذا عاود ، فانقطع جميل عن الزيارة .

روى بعضهم أنه لما منع جميل من زيارة بثينة ضاقت به الدنيا، فكان يصعد بالليل على ربوة عالية يتنسم منها الريح من نحو حى بثينة ، ويقول :

أيا ريح الشمال أما ترينى أهيم وأننى بادى النحول
هبى لى نسمة من ريح بثن ومنى بالمهبوب إلى جميل
وقولى يا بثينة حسب نفسى قليلك أو أقل من القليل

فإذا بدأ وضح الصبح انصرف ، وكانت بثينة تقول لجوار من الحى عندها : ويحكن ! إنى لأسمع أنين جميل . فيقلن لها : اتقى الله فهذا شىء يخيله لك الشيطان لاحقيقة له .

وروى أن جميلا جاء إلى بثينة ليلة، وقد أخذ ثياب راع لبعض الحى فوجد عندها ضيفانا لها ، فانتبذ ناحية . فسألته : من أنت ؟ فقال: مسكين. فجلس وحده وعشت ضيفانها وعشته وحــده ، ثم جلست هى وجارية لها واضطجع القوم منتحين . فقال جميل :

هل البائس المقرور دان فمصطل من النار أو معطى لحافا فلابس ؟

فقالت لجاريتها : صوت جميل والله اذهى فانظرى . فرجعت إليها وقالت : هو والله جميل، فشهقت شهقة سمعها القوم فأقبلوا يجرون، وقالوا : مالك ؟ فطرحت بردا لها من حبرة فى النار، وقالت احترق بردى ، فرجع القوم ، وأرسلت جاريتها إلى جميل لجاءتها به ، لحبسته عندها ثلاث ليال ، ثم سلم عليها وخرج .

ولما أهدر أهل بثينة دم جميل وأباح لهم السلطان قتله اعذروا إلى أهله ، وكانت منازلهم متجاورة . فمشت مشيخة الحى إلى أبيه وكان يلقب صباحا وكان ذا مال وفضل وقدر فى أهله، فشكوه إليه وناشدوه الله والرحم وسألوه كف ابنه عما يتعرض له ويفضحهم به فى فتاتهم، فوعدهم كفه ومنعه ما استطاع ثم انصرفوا . فدعا به وقال له : يا بنى حتى متى أنت عمه فى ضلالك لاتأنف من أن تتعلق بذات بعل يخلو بها وأنت عنها بمعزل، ثم تقوم إليك فتغرك بخداعها وتريك الصفاء والمودة ، وهى مضمرة لبعلها ما تضمره الحرة لمن ملكها فيكون قولها لك تعليلا وغرورا . فإذا انصرفت عنها عادت إلى بعلها على حالتها المبذولة، إن هذا لذل وضيم، ماأعرف أخيب سهما وأضيع عمرا منك . فأنشدك الله إلا كففت وتأملت أمرك فإنك تعلم أن ماقلته

حق ، ولو كان إليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها . ولكن هذا أمر قد فات واستبد به من قدرله ، وفي النساء عوض . فقال له جميل : الرأى ما رأيت والقول كما قلت ؛ فهل رأيت قبلى أحدا قدر أن يدفع عن قلبه هواه ، أو ملك أن يسلى نفسه ، أو استطاع أن يدفع ما قضى عليه ، والله لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبي، أو أزيل شخصها عن عيني، لفعلت ، ولكن لاسبيل إلى ذلك، وإنما هو بلاء بليت به، لحين قد أتيح لى ، وأنا أمتنع من طروق هذا الحى والالمام بهم ولو مت كمدا ، وهذا جهدى ومبلغ ما أقدر عليه ، وقام وهو يبكى، فبكى أبوه ومن حضر .

وجميل من الشعراء الذين يمتازون بصدق اللهجة والاحساس، فكان نسيبه يعبر عن عاطفة صادقة حلوة ، ومن أجمل ما نظم جميل حين صدت عنه بثينة قوله :

فيا قلب دع ذكرى بثينة إنها ... وإن كنت تهواها تضن وتبخل
وقد أيأست من نيلها وتجهمت ... ولليأس إن لم يقدر النيل أمثل
وإلا فسلها نائلا قبل بينها ... وأبخل بها مسئولة حين تسأل
وكيف ترجى وصلها بعد بعدها ... وقد جذ حبل الوصل ممن تؤمل
وإن التى أحببت قد حيل دونها ... فكن حازما والحازم المتحول
ففى اليأس ما يسلى وفى الناس خلة ... وفى الارض عمن لا يؤاتيك معزل
بدا كلف منى بها فتشاغلت ... وما لا يرى من غائب الوجد أفضل

وكان جميل شاعرا فصيحا مقدما جامعا للرواية والشعر . .

ومن أوائل ما نظمه فى بثينة قوله :

وأول ما قاد المودة بيننا ... بوادى بغيض يا بثين سباب
وقلت لها قولا فجاءت بمثله ... لكل كلام يا بثين جواب

وروى أن توبة بن الحمير الخفاجي صاحب ليلى الاخيلية مر ببنى عذرة فرأته بثينة فجعلت تنظر إليه وجميل حاضر،فثارت الغيرة فى قلب جميل، فقال لتوبة من أنت قال أنا توبة بن الحمير، قال هل لك فى الصراع قال ذلك إليك ، فاعطته بثينة ملاءة حمراء فاتزر بها ثم صارعه فصرعه جميل ، ثم قال هل لك فى النضال قال نعم فناضله فنضله جميل . ثم قال هل لك فى السباق قال نعم فسابقه فسبقه جميل ، فقال له توبة: «يا هذا إنما تفعل ذلك بريح هذه الجالسة ،ولكن اهبط بنا الوادى »، فهبط فصرعه توبة ونضله وسبقه . .

وما زال يجتمع بها سرا عن أهلها فألحوا بالشكوى إلى العامل ، ففر إلى اليمن

حتى عزل العامل، وانتجع أهل بثينة الشام فرحل جميل إليهم فترصدوه وشكوه إلى عشيرته، فعنفه أهله وهددوه فانقطع عنها، وأخيرا لجأ إلى مصر وعاملها عبد العزيز ابن مروان فاحسن وفادته، ومرض هناك ومات، وكان طويل القامة عريض ما بين المنكبين جميل الخلقة حسن البشرة . ومن قوله فيها :

وإنى لأرضى من بثينة بالذى	لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلى وبان لا أستطيع وبالمنى	وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى	أواخره لا نلتقى وأوائله

ومن قوله أبيات ينسبونها إلى مجنون ليلى :

وما زلتم يا بثن حتى لو اننى	من الشوق أستبكى الحمام بكى ليا
إذا خدرت رجلى وقيل شفاؤها	دعاء حبيب كنت أنت دعائيا
وما زادنى النأى المفرق بعدكم	سلوا ولا طول التلاقى تقاليا
ولا زادنى الواشون إلا صبابة	ولا كثرة الناهين إلا تماديا
لقد خفت أن ألقى المنية بغتة	وفى النفس حاجات إليك كما هيا

ومن بديع قوله فى النسيب :

لها فى سواد القلب بالحب منعة	هى الموت أو كادت على الموت تشرف
وما ذكرتك النفس يا بثن مرة	من الدهر إلا كادت النفس تتلف
وما استطرفت نفسى حديثا لخلة	أسر به إلا حديثك أطرف

وأكثر شعره فيها، وله أبيات فى الفخر بليغة منها :

يحب الغوانى البيض ظل لوائنا	إذا ما أتانا الصارخ المتلهف
نسير أمام الناس والناس خلفنا	فإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
وكنا إذا ما معشر نصبوا لنا	ومرت جوارى طيرهم وتعيفوا
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة	بما سوف نوفيها إذا الناس طففوا

ودخلت بثينة (١) وعزة عند عبد الملك بن مروان ، فانصرف إلى عزة ، وقال أنت عزة كثير ؟ قالت : لست لكثير بعزة ! لكننى أم بكر ، قال : أتروين قول كثير :

وقد زعمت أنى تغيرت بعدها ومن ذا الذى ياعز لايتغير ؟

قالت : لست أروى هذا ، ولكننى أروى قوله :

---

(١) المستطرف ص٦٩ ج١ . الأمالى ص ٤٨ ج١ ، عصر المأمون ص١٢٦ ج٢ .

كأنى أنادى أو أكلم صخرة   من الصم لو تمشى بها العصم(١) زلت

ثم انحرف إلى بثينة فقال : أنت بثينة جميل ؟ قالت نعم يا أمير المؤمنين ! قال ما الذى رأى فيك جميل حتى لهج بذكرك من بين نساء العالمين ؟ قالت : الذى رأى الناس فيك لجعلوك خليفتهم ، فضحك حتى بدا له ضرس أسود لم ير قبل ذلك ، وفضل بثينة على عزة فى الجائزة .

وأمرهما أن يدخلا على عاتكة (٢) ، فدخلتا عليها ، فقالت لعزة : أخبرينى عن قول كثير :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه   وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان دينه ؟ وما كنت وعدته ؟ قالت : كنت وعدته صلة ثم تأثمت (٣) منها .

ولجميل دالية مشهورة فى صاحبته بثينة يقول جميل منها :

ألا ليت أيام الصفاء جديد   ودهرا تولى يا بثين يعود
فنغنى كما كنا نكون وأنتم   صديق وإذ ما تبذلين زهيد(٤)
وما أنس م الأشياء لا أنس قولها   وقد قربت نضوى : أمصر تريد(٥)
ولا قولها : لولا العيون التى ترى   أتيتك ، فاعذرنى فدتك جدود(٦)
خليلى ما أخفى من الوجد ظاهر   ودمعى بما أخفى الغداة شهيد(٧)
ألا قد أرى والله أن رب عبرة   إذا الدار شطت بيننا ستزيد(٧)

---

(١) الأعصم من الوعول : مافى ذراعيه أو فى أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر

(٢) عاتكة : امرأة عبد الملك .

(٣) تأثم : تحرج .

(٤) نغنى : نقيم . نكون : نوجد . ما تبذلين : أى ما تنيلين من الوصل .

(٥) م الأشياء : من الأشياء . النضو المهزول من الحيوان : يريد ناقته ، يقول مهما أنس من شىء فلست أنسى قولها لى وقد قربت ناقتى أتريد مصر .

(٦) الجدود جمع جد بالفتح : وهو أبو الآب تدعو له بالسلامة وتفتديه بالأهل .

(٧) الوجد : الحب الشديد . الغداة : ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(٨) العبرة : الدمعة أو الحزن من غير بكاء . شطت : بعدت ، أى سيكثر بكائى إذا افترقنا . ستزيد خبر عبرة ، والجملة خبر أن المخففة :

إذا قلت : مابى يا بثينة قاتلى ... من الحب! قالت: ثابت ويزيد (١)
وإن قلت : ردى بعض عقلى أعش به ... مع الناس ، قالت: ذاك منك بعيد
فلا أنا مردود بما جئت طالبا ... ولا حبها فيما يبيد يبيد (٢)
جزتك الجوازى يابثين ملامة ... إذا ماخليل بان وهو حميد ! (٣)
وقلت لها : بينى وبينك فاعلمى ... من الله ميثاق له وعهود
وقد كان حبيكم طريفا وتالدا ... وما الحب إلا طارف وتليد (٤)
وإن عروض الوصل بينى وبينها ... وإن سهلته بالمنى لصعود (٥)
فأفنيت عيشى بانتظارى نوالها ... وأبليت ذاك الدهر وهو جديد
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بوادى القرى إنى إذا لسعيد (٦)
وهل أهبطن أرضا تظل رياحها ... لها بالثنايا القاويات وئيد (٧)
وهل ألقين سعدى من الدهر مرة ... ومارث من حبل الصفاء جديد؟ (٨)
وقد تلتقى الأهواء من بعد يأسة ... وقد تطلب الحاجات وهى بعيد
وهل أزجرن حرفا علاة شملة ... بخرق تباريها سواهم سود؟ (٩)
على ظهر مرهوب كأن نشوزه ... إذا جاز هلاك الطريق رقود (١٠)

---

(١) أى إذا قلت لها إن الحب سيقتلنى قالت : إنه باق، وسيزيد أيضا .

(٢) أى فلم أنل ماطلبت من بعض عقلى ولا الحب يفنى لأستريح.

(٣) الجوازى : جمع جازية وهى المكافئة ، والبيت فى الأصل جملة دعائية .

(٤) الطريف . الجديد ، وضده التليد .

(٥) العروض : الطريق فى عرض الجبل . صعود: مرتفع .

(٦) وادى القرى : بالحجاز شمالى المدينة . ليت شعرى : أى ليتنى أعرف جواب هذا الاستفهام المذكور بعد . يتمنى المبيت بهذا الوادى حيث كان يقيم الأحبة.

(٧) الثنايا جمع ثنية : وهى طريق فى الجبل أو الجبل نفسه. القاويات الخاليات. وئيد : صوت شديد .

(٨) رث : بلى . ما مبتدأ خبره جديد .

(٩) أزجر الناقة : أصيح بها لتسرع . الحرف : الناقة الضامرة أو العظيمة . . العلاة : الناقة الطويلة . والشملة : السريعة . الخرق : القفر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . تباريها : تسابقها . . سواهم : جمع ساهمة وهى الناقة الضامرة . .

(١٠) مرهوب : طريق مخوف ، نشوز جمع نشز . المكان المرتفع : رقود : نيام. هلاك الطريق : الذين ضلوه . رقود خبر كأن .

سبتنى بعينى جؤذر وسط ربرب ... وصدر كفاثور اللجين وجيد (١)
فمن يعط فى الدنيا قرينا كمثلها ... فذلك فى عيش الحياة رشيد (٢)
يموت الهوى منى إذا مالقيتها ... ويحيا إذا فارقتها فيعود
يقولون : جاهد يا جميل بغزوة ... وأى جهاد غيرهن أريد ؟
لكل حديث بينهن بشاشة ... وكل قتيل بينهن شهيد (٣)
ومن كان فى حبى بثينة يمترى ... فبرقاء ذى ضال على شهيد (٤)
ألم تعلمى يا أم ذى الودع أننى ... أضاحك ذكراكم وأنت صلود (٥)

قيس العامرى مجنون ليلى

المتوفى عام ٨٠ ه

شاعر غزل مجيد مشهور ، ذاع ذكره فى الصحراء العربية، وردد الرواة والمغنون والنقاد والأدباء أناشيده فى محبوبته ليلى .

ووضع القصاص كثيرا من القصص الطريفة حول هذا الشاعر المتيم العاشق المسكين . وألف أخيرا أمير الشعراء أحمد شوقى روايته مجنون ليلى، يمثل فيها حياة هذا الشاعر النادر المثال.. وقد وقف بعض النقاد من المجنون موقف الشك ، ونفوا وجوده التاريخى كطه حسين . ولكن وجود الشاعر فى غنى عن البرهان .

وقد اختلف الرواة فى اسم هذا العاشق المتيم فقال بعضهم إن اسمه مهدى وقال آخرون قيس، وهذا هو الصحيح ، فهو قيس بن الملوح العامرى، ويستدلون على ذلك بإجماع

---

(١) سبتنى : أسرتنى . الجؤذر : ولد البقرة الوحشية . الربرب : القطيع من بقر الوحش . الفاثور : الطست والجفنة . اللجين : الفضة . الجيد : العنق وهو بالرفع على أنه مبتدأ خبره (لها) محذوف (٢) القرين: الصاحب ، والزوج . رشيد: موفق.

(٣) بشاشة : سرور وبهجة .

(٤) يمترى ، يشك . البرقاء : أرض غليظة ذات حجارة ورمل وطين ، أو كل شىء فيه سواد وبياض . وبرقاء ذى ضال إحدى برق بلاد العرب ، يتخذ من مواقفه فيها شاهدا على حبه الشديد .

(٥) ذو الودع : طفلها يعلق عليه الودع وقاية وهو محار صغير أبيض معروف. صلود : بخيلة :

معظم الرواة على هذا الاسم، وبشعر ليلى القائل :

ألا ليت شعرى والخطوب كثيرة متى رحل قيس مستقل فراجع

شب قيس فى قبيلة بنى عامر، وعاشر ليلى منذ نعومة أظفاره، فكان ينشأ والحب معه ينمو إلى أن أصبح ذاك الصب المستهام الذى أحب ليلى ولم يود غيرها حبيباً يصطفيه فى هذه الحياة.

ترافق العشيران وساقا الإبل إلى المراعى الخضراء، فصفا لهاوهما صغيران جو الحياة، ولم يكتو قلب قيس يومئذ بنار الشوق واللهفة، لأنه كان يمتع طرفه كل يوم بمحاسنها، غير أن بهجة عيشه لم تطل، لحرم لما راهق حلو معشرها، وشكا حسرته ووجده بهذين البيتين :

وعلقتها عذراء ذات ذوائب ولم يبد للاتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم ياليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

ويزعم بعض الرواة أن الحب نشأ بينهما على غير هذه الحال، قالوا : فى يوم من الأيام أقبل قيس ممتطيا ناقة كريمة وعليه حلتان من حلل الملوك، ومر بامرأة من قومه عندها جماعة من النساء وبينهن ليلى وهى بين أترابها كالبدر بين الكواكب وكالزهرة الندية بين الأزهار، فدعونه فنزل عن مطيته وجاذبهن أهداب الحديث، وأمر عبده فعقر لهن ناقته وقد فتن لبه جمالها وعذب حديثها، وبينما هو معهن على هذه الحال أقبل فتى يسوق معزى له، واسمه منازل، فأعرضت ليلى عن قيس وحادثت منازلا، فاستاء وخرج غاضبا.

لقد أجمع الرواة على حب قيس لليلى، وأما هى فيقال أيضا إنها أحبته وإنها بادلته الوجد وأظهرت له الغرام فى عدة مواقف، وإنها كانت يوما تشكو لواعج هيامها وتبدى من شواهد الهوى مايبدى، لجاء الحى فتى فقالت لقيس : انصرف، فامتقع لونه فنظرت إليه وهى تصعد الزفرات فأنشدت :

كلانا مظهر للناس بغضاً وكل عند صاحبه مكين

تبلغنا العيون بما أردنا وفى القلبين ثم هوى دفين

وقال رجل من عشيرة قيس لقيس: أريد الالمام بحى ليلى فهل تودعنى شيئاً إليها؟ فقال : قف بحيث تسمعك وأنشد:

الله يعلم أن النفس هالكة باليأس منك ولكنى أعنيها

منيتك النفس حتى قد أضر بها واستيقنت خلفا مما أمنيها

وساعة معك ألهوها وإن قصرت   أشهى إلى من الدنيا وما فيها

ومضى الفتى يترقب الفرصة، وأنشدها الأبيات فبكت وقالت بلغه السلام وأنشده :

نفسى فداؤك لو نفسى ملكت فلا   ما كان غيرك يجزيها ويرضيها
صبراً على ماقضاه الله فيك على   مرارة فى اصطبارى عنك أخفيها

ومن الأبيات التى نظمها قيس تغزلا بليلى وغناها المغنون قوله :

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر   مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب
ألا إنما غادرت ياأم مالك   صدى أينما تذهب به الريح يذهب

وزوجت ليلى محمدا العقيلى الذى قدم لأبيها عشر نياق مع راعيها ، مع أن قيسا قدم له خمسين ناقة حمراء.

ويقال إن قيسا مر بزوج ليلى وهو يصطلى فقال :

بربك هل ضممت إليك ليلى   قبيل الصبح أو قبلت فاها
وهل رفت عليك قرون ليلى   رفيف الأقحوانة فى نداها

وهبت الصبا يوما ـ والصبا ريح العشاق ورسول الأشواق ـ فهاجت فى نفس قيس نزوة الوجد، فأنشد :

أيا جبلى نعمان بالله خليا   سبيل الصبا يخلص إلى نسيمها
فإن الصبا ريح إذا ماتنفست   على نفس محزون تجلت همومها

عاش هذا الفتى شقيا محبا ومع ذاك الشقاء كان يشعر أحيانا بالأمل، وفى البيتين التاليين صورة لحسرته ورجائه:

إنى أرى رجعات الحب تقتلنى   وكان فى بدئها ما كان يكفينى
ألقى من اليأس تارات فتقتلنى   وللرجاء بشاشات فتحيينى

وكان معاذ وبشر بن المفضل المطربين يغنيان البيتين التاليين لقيس :

طمعت بليلى أن ترق وإنما   تقطع أعناق الرجال المطامع
ودانيت ليلى فى خلاء ولم يكن   شهود عدول عند ليلى مقانع

وشكا قسوة عذاله وخصومه فأنشد :

وبى من هوى ليلى الذى لو أبثه   جماعة أعدائى بكت لى عيونها
أرى النفس عن ليلى أبت أن تطيعنى   فقد جن من وجدى بليلى جفونها

وكان المطرب عريب ينشد من أشعار قيس مايلى ..

ألا أيها البيت الذى لاأزوره   وإن حله شخص إلى حبيب

هجرتك إشفاقا وزرتك خائفا وفيك على الدهر منك رقيب
سأستعطف الأيام فيك لعلها بيوم سرور فى هواك تثيب

ويقول المجنون :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليلى غيرها فكانما أطار بليلى طائراً كان فى صدرى

وغنى سريح المطرب الشهير الأبيات التى رواها المبرد لمجنون ليلى وهى

وأحبس عنك النفس والنفس حية بذكراك والممشى إليك قريب
مخافة أن يسعى الوشاة بظنة وأحرسكم أن يستريب مريب

ومن شعره أيضا :

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا سوى أن يقولوا إننى لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة إلى وإن لم تصف منك الخلائق

ومن رقيق غزله قوله :

جرى السيل فاستبكانى السيل إذ جرى وفاضت له من مقلتى غروب
وما ذاك إلا حين أيقنت أنه يكون بواد أنت فيه قريب
فلا خير فى الدنيا إذا أنت لم تزر حبيباً ولم يطرب إليك حبيب

وينسب بعضهم إلى قيس الأبيات التى كان يغنيها عبثر وهى :

بكت عينى اليمنى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى على كبدى من خشية أن تصدعا
وليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا
معى كل غر قد عصى عاذلاته بوصل الغوانى من لدن أن ترعرعا
إذا راح يمشى فى الرداءين أسرعت إليه العيون الناظرات تطلعا

والصحيح أن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما هى لابن الدمينة . . وناجى بحزنه وحرقته حمام الأيك بالشعر ، فقال :

ألا ياحمام الأيك مالك باكيا أفارقت إلفاً أم جفاك حبيب
دعاك الهوى والشوق لما ترنمت هتوف الضحى بين الغصون طروب
تجاوب ورقا قد أذن لصوتها فكل لكل مسعد ومجيب

ومن لطيف شعره قوله :

تمر الصبا ليلا بسا كن ذى الغضى ويصدع قلبى أن يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث كان حبيبها

ويروون لقيس قصائد منها قصيدة بائية مطلعها :

فوالله ثم الله إنى لدائب أفكر ماذنبى إليها وأعجب

وهذه القصيدة قلقة التركيب لاتلوح فى تضاعيف صدورها وأعجازها مسحة من جمال الشعر . وقصيدة رائية أولها :

ألا ماالليلى لاترى عند مضجعى بليل ولا يجرى بذلك طائر

وقصيدة يائية نذكر منها الأبيات التالية :

وأجهشت للتوباد حين رأيته وكبر للرحمن حين رآنى
وأذرفت دمع العين لما عرفته ونادى بأعلى صوته فدعانى
فقلت له قد كان حولك جيرة وعهدى بذاك الحى منذ زمان
فقال مضوا واستودعونى بلادهم ومن ذا الذى يبقى على الحدثان ؟

والتوباد اسم جبل كان يسوق قيس إليه الإبل مع ليلى ، ولقد أشار شوقى إلى هذا الجبل فى روايته .

وأحسن مانظمه قيس اذا استثنيت المقاطع قصيدة عينية نذكر أحسن أبياتها

طربت وشاقتك الحمول (١) الدوافع غداة دعا بالبين أسفع نازع

الى أن يقول :

وقد يتناءى الالف من بعد إلفه ويصدع ما بين الخليطين صادع
تحمل من وادى الاراك فأومضت لهن بأطراف العيون المدامع
فلما استوت تحت الخدور وقدجرى عبير ومسك بالعرانين رادع (٢)
أشرن بأن حثوا الجمال فقد بدا من الصيف يوم لافح الحر مانع (٣)
فقلت لأصحابى ودمعى مسبل وقد صدع الشمل المشتت صادع
أليلى بابواب الخدور تعرضت لعينى أم قرن من الشمس طالع ؟

وينسبون اليه بيتين وجدا على خرقة بعد موته وقصد بهما أبا ليلى :

ألا أيها الشيخ الذى ما بنا يرضى شقيت ولاهنيت من عيشك الغض
شقيت كما اشقيتنى وتركتنى أهيم مع الهلاك لا أطعم الغمضا

---

(١) الحمول اصلا الهوادج ثم استعملت للابل (٢) قميص رادع فيه أثر الطيب
(٣) طويل .

ولا ندرى إذا كانا حقيقة من نظم قيس أم لا، لانهما لا يجاريان فى فصاحة الديباجة تلك المقاطيع الشعرية التى جرى فيها ماء الطبع صافيا ، وبدا رونق الأدب زاهيا .
تجرع هذا الشاعر بغرامه كأس الحسرة واللوعة حتى الثمالة، فهام على وجهه شريداً بائساً، إلى أن مس عقله لوثة ، ثم اشتدت عليه وطأة الآلام فقضى شهيد الغرام .

وقال قيس بن الملوح العامرى :

ألا ياحمامى بطن ودان هجتما ... على الهــوى لما تغنيتما ليا
فأبكيتمانى وسط أهلى ولم أكن ... أبالى دموع العين لوكنت خاليا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا ... علينا فقد أضحى هوانا يمانيا
نسائلكم هــل سال نعمان بعدنا ... وحب إلينا بطن نعــمان واديا
أعــد الليالى ليلة بعد ليــلة ... وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
أرانى إذا صليت يممت نحوها ... بوجهى وإن كان المصلى ورائيا
وما بى إشراك ولكن حبها ... كعود الشجا أعيا الطبيب المداويا
إذ ما طواك الدهر ياأم مالك ... فشأن المنايا القاضيات وشانيا
تمر الليالى والشهور وتنقضى ... وحبك ما يزداد إلا تماديا
خليلى إن دارت على أم مالك ... صروف الليالى فابغيا لى ناعيا
ولا تتركانى لا لخير معجل ... ولا لبقاء تنظران بقائيا
خليلى لا والله لا أملك الذى ... قضى الله فى ليلى ولا ماقضى ليا
قضاها لغيرى وابتلانى بحبها ... فهلا بشىء غير ليلى ابتلانيا !!
أمضروبة ليلى على أن أزورها ... ومتخذ ذنبا لها أن ترانيا
ولو كان واش باليمامة داره ... ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وإنى لأخشى أن أموت فجاءة ... وفى النفس حاجات اليك كما هيا
وإنى ليثنينى لقاؤك كلما ... لقيتك يوما أن أبثك مابيا
وقالوا به داء عياء أصابه ... وقد علمت نفسى مكان دوائيا

عمر بن أبي ربيعة المخزومى
٢٣ — ٩٣ ﻫ

عمر زعيم الشعر الغزلى القصصى فى الأدب العربى ، فليس له شبيه فى هذا الفن الرائع ، وتلك الأحاديث الممتعة الجميلة ، التى يحدثك بها عن نفسه وعن محبوباته ، وعن عواطفه وأحلامه .

حياته :

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة القرشى المخزومى ، وكانت أسرة ابن أبى ربيعة من أغنى أسر قريش وأوسعها تجارة وأعزها جانبا وشرفا ، وولد عمر بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب ، فنشأ بالمدينة مترفا ، يؤثر رغد العيش والدعابة والهزل والصبوة على الجد والتوقر والعمل للسلطان .

وقال الشعر من صغره على سبيل اللهو والغزل ، اذ كان فى غنى عن التكسب وأعجب به الشبان والقيان ، وأغراه ذلك على الاسترسال فى نظمه . واختط له فى شعره طريقة ابتكرها ، فوصف النساء : المعروفات من نساء قومه المحصنات ، ومن نساء الأشراف ، وتحدث عنهن كاذبا أو صادقا يذكرهن فى لبسهن ومداعبتهن وتلاومهن وملاقاته لهن ، عند قدومهن الى مكة محرمات ، وعند طوافهن بالبيت الحرام ، ويصف زيارته لهن فى منازلهن أو دعوته إليهن ليسمعن شعره . ونظم ذلك فى أكثر قصائده المطولة وفى مقطعاته على أسلوب قصصى غالبا رقيق اللفظ دمث المعانى ، له موقع فى القلب ومخالطة للنفس ، فاستهوى بشعره أهل الصبوة من الفتيان والفتيات ، واستطار شره حتى شبب بنساء الأشراف والخلفاء .

ويروى عنه أنه حلف بأغلظ الأيمان لم يأت منكرا فى حياته وكان يقيم بالمدينة أحيانا ، وأكثر ما كانت إقامته فى كبره بمكة . ولما تقدمت به السن أقلع عن صبوته وتاب عن تشبيبه .. حتى مات سنة ٩٣ ﻫ .

وأبو الخطاب شاعر مشهور حتى إن العرب كانت تقر لقريش فى كل شىء عليها إلا فى الشعر فانها كانت لا تقر لها به حتى كان عمر بن أبى ربيعة ، فأقرت لها بالشعر أيضاً ولم تنازعها شيئاً ، وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة . ومن طريف اخباره أن أبا الاسود الدؤلى حج هو وامرأته وكانت جميلة ، فبينما هى تطوف بالبيت اذ عرض لها عمر بن أبى ربيعة ، فأتت أبا الأسود فأخبرته فأتاه أبو الأسود

فقال له لست أعود ياعم لكلامها بعد هذا اليوم ، ثم عاودفكلمها فاتت ، ابا الأسود فأخبرته لجاء فقال له :

أنت الفتى وابن الفتى واخو الفتى وسيدنا لولا خلائق أربع
نكول عن الجلى وقرب من الخنا وبخل عن الجوى وانك تبع

ثم خرجت وخرج معها ابو الاسود مشتملا على سيف فلما رآه عمر أعرض عنها فتمثل ابو الاسود بقول جرير :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقى صولة المستأسد الضارى

والتقى جميل بعمر فقال له ياجميل : قم بنا نذهب الى زيارة بثينة قال قد اهدر لهم السلطان دمى إن وجدونى عندها ،وهاتيك أبياتها فاذهب اليها فأتاها عمر حتى وقف على ابياتها فقال ياجارية انا عمر ابن ابى ربيعة فأعلمى بثينة مكانى فأعلمتها فخرجت له فى مباذلها وقالت والله ياعمر لا اكون من نسائك الاتى يزعمن ان قد قتلهن الوجد بك ، فانكسر عمر ، وقال لها قول جميل

وهما قالتا لو أن جميلا عرض اليوم نظرة فرآنا
بينما ذاك منهما واتانى اعمل النص سيرة زفيانا(١)
نظرت نحو تربها ثم قالت قد اتانا وما علمنا منانا

فقالت انه استملى منك فما أفلح فخجل من قولها وانصرف ، وكان عمر يعارض جميلا فى شعره فالتقيا مرة بالابطح فأنشد جميل قصيدته التى يقول فيها :

لقدفرح الواشون أن صرمت حبلى بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
يقولون مهلا يا جميل واننى لأقسم مالى عن بثينة عن مهل

حتى اتى على آخرها ثم قال لعمر يا ابا الخطاب هل قلت فى هذا الروى شيئاً قال نعم فأنشده قوله :

فلما توافقنا عرفت الذى بها كمثل الذى حذوك النعل بالنعل
فقالت وأرخت جانب الستر إنما معى فتحدث غير ذى رقبة أهلى
فقلت لها ما بى لهم من ترقب ولكن سرى ليس يحمله مثلى

فقال جميل هيهات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالى ، والله ما خاطب النساء مخاطبتك أحد ، وقام مشمرا

وحكى الزبير بن بكار عن عمه مصعب أنه قال راق عمر بن أبى ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأسر وحسن الوصف ودقة المعنى

---

(١) زفيانا : سريعة

وصواب المصدر والقصد للحاجة واستنطاق الربع، وقاس الهوى فأربى وعصى وأخلى وجنى الحديث وضرب ظهره لبطنه وأذل صعبه وقنع بالرجاء من الوفاء وكان بعد هذا كله فصيحاً

فمن سهولة شعره وشدة أسره قوله :

فلما تفاوضنا الحديث وأسفرت ... وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما عرفنني ... وقلن امرؤ باغ أكل واوضعا

ومن دقة معناه وصواب مصدره قوله :

عوجا نحى الطلل المحولا ... والربع من أسماء والمنزلا
بجانب البوباة لم يعده ... تقادم العهد بأن يؤهلا

ومن قصده للحاجة قوله :

أيها المنكح الثريا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يمانى

ومن استنطاقه الربع قوله :

سائلا الربع بالبلى وقولا ... هجت شوقا لنا الغداة طويلا
اين حلوك إذ انت محفو ... ف بهم آهل اراك جميلا
قال ساروا بأجمع فأستقلوا ... وبكرهى لو استطعت سبيلا

شعر عمر بن أبى ربيعة

وشعر عمر ابن أبى ربيعة صورة بليغة لحياة هذا الشاعر الغزلى ولحياة الشعراء الغزلين المترفين ،الذين لم يصدقوا الهوى ، وتغزلوا بالجمال فى شتى مشاهده ومظاهره

ولا بأس بأن أعرض عليك أولا نماذج لشعر هذا العبقرى العظيم ، وأبدأ برائيته المشهورة البعيدة فى مذاهب البلاغة ، والضاربة بسهم كبير فى الفصاحة والروعة والعذوبة والبيان .

ونماذج شعر عمر كثيرة ، وديوانه مطبوع ، ويحتوى على أكثر شعره ، وهو معرض لبلاغة الشعراء الغزلين . وفيه الكثير من قصائد عمر فى فن الغزل القصصى

قال عمر بن ابي ربيعة :

أمن آل نعم أنت غاد فبكر — غــداة غد أم رائح فمهجر
بحاجة نفس لم تقل فى جوابها — فتبلغ عـذرا والمقالة تعـذر
تهيم الى نعم فلا الشمل جامع — ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافع — ولا نأيها يسلى ولا أنت تصبر
وأخرى أتت من دون نعم ومثلها — نهى ذا النهى لو ترعوى أو تفكر
إذا زرت نعما لم يزل ذو قرابة — لهـا كلما لاقيتها يتنمر(١)
عزيز عليه أن ألم ببيتها — يسر لى الشحناء والبغض مظهر
ألكنى إليها بالسلام فإنه — يشهر إلمـامى بها وينكـر
بآية ما قالت غــداة لقيتها — بمدفع أكـنان : أهذا المشهر
قفى فانظرى أسماء هل تعرفينه — أهذا المغيرى الذى كان يذكر (٢)
أهذا الذى أطريت نعتاً فلم أكن — وعيشك أنساه إلى يوم أقبر
فقالت : نعم لاشك غير لونه — سرى الليل يحيى نصه والتهجر
لئن كان إياه لقد حال بعدنا — عن العهد والانسان قد يتغير
رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت — فيضحى وأما بالعشى فيخصر
أخا سفر جواب أرض تقاذفت — به فلوات فهو أشعث أغبر(٣)
قليل على ظهر المطية ظله — سوى مانفى عنه الرداء المحبر(٤)
وأعجبها من عيشها ظل غرفة — وريان ملتف الحدائق أخضر
ووال كفاها كل شىء يهمها — فليست لشىء آخر الليل تسهر

---

(١) يتنمر يقال نمر وجهه أذا أغبره والضمير لذى القرابة

(٢) ألكنى أى كن رسولى وتحمل رسالتى إليها . والمشهر الذى شهر أمره . قفى : أمر من الوقوف ، والآمرة هى نعم محبوبة الشاعر ، وأسماء صاحبة نعم ، وأسماء منادى بحرف النداء المحذوف . وتعرفينه : الهاء ضمير الشاعر . والمغيرى نسبة الى جده المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

(٣) جواب : من جاب يجوب إذا خرق وقطع . وتقاذفت من التقاذف وهو الترامى . (٤) قليل الخ : يريد أن يصف نفسه بأنه ضئيل الجسم نحيله ، بحيث لايكاد يرى له ظل وخيال إلا ما أوراه رداؤه المحبر .

وليلة ذى دوران جشمتنى السرى … وقد يجشم الهول المحب المغرر(١)

فبت رقيباً للرفاق على شفا … أحاذر منهم من يطوف وأنظر(٢)

إليهم متى يستمكن النوم منهم … ولى مجلس لولا اللبانة أوعر

وباتت قلوصى بالعراء ورحلها … لطارق ليل أو لمن جاء معور (٣)

وبت أناجى النفس أين خباؤها … وكيف لما آتى من الأمر مصدر(٤)

فدل عليها القلب ريا عرفتها … لها وهوى النفس الذى كاد يظهر

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت … مصابيح شبت بالعشاء وأنؤر(٥)

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه … وروح رعيان ونوم سمر(٦)

وخفض عنى الصوت أقبلت مشية الحـ … ـباب وشخصى خيفة القوم أزور(٧)

فحييت إذ فاجأتها فتولهت … وكادت بمكنون التحية تجهر(٨)

وقالت وعضت بالبنان فضحتنى … وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

أريتك إذ هنا عليك ألم تخف … رقيباً وحولى من عدوك حضر

فوالله ما أدرى أتعجيل حاجة … سرت بك أم قد نام من كنت تحذر؟

فقلت لها بل قادنى الشوق والهوى … إليك وما عين من الناس تنظر

---

(١) ذو دوران : اسم موضع

(٢) على شفا أى على حفرة من نار ، يكنى بذلك عن تمكن الغيظ منه بسبب الرفاق الذين يرقبهم .

(٣) أو لمن جاء معور : أى لمن حل فى مكان معور مخوف يخاف فيه القطع . والعراء ممدود ما اتسع من فضاء الأرض .

(٤) وكيف لما آتى الخ : أى كيف الخلوص من هذا الأمر .

(٥) شبت أى أوقدت يقال شببت النار والحرب أى أوقدتهما (٦) قمير إنما صغره لأنه ناقص عن التمام وهذا يكون فى أول الشهر وفى آخره لأن النقصان فيهما واحد. رعيان يريد جمع الراعى ومثله راكب وركبان . والسمر جمع السامر وهم الجماعة يتحدثون ليلا . (٧) اقبلت مشية الحباب أى أنه كان يمشى ببطء . وشخصى أزور أى متجاف يقال تزاور فلان إذا ذهب فى شق (٨) فتولهت أى فتحيرت وذهب عقلها من شدة الوجد

فقالت وقد لانت وأفرخ روعها ... كلاك بحفظ ربك المتكبر
فأنت أبا الخطاب غير منازع ... على أمير ما مكثت مؤمر
فبت قرير العين أعطيت حاجتى ... أقبل فاهاً فى الخلاء فأكثر
فيالك من ليـل تقاصر طوله ... وما كان ليلى قبل ذلك يقصر
ويا لك من ملهى هناك ومجلس ... لنا لم يكدره علينا مكدر
يمج ذكى المسك منها مفلج ... رقيق الحواشى ذو غروب مؤشر(١)
يرف إذا يفتر عنه كأنه ... حصى برد أو أقحوان منور(٢)
وترنو بعينيها إلى كما رنا ... إلى ربرب وسط الخميلة جؤذر(٣)
فلما تقضى الليل إلا أقله ... وكادت توالى نجمه تتغور(٤)
أشارت بان الحى قد حان منهم ... هبوب ولـكن موعد لك عزور(٥)
فما راعنى إلا مناد برحلة ... وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تثور منهم ... وأيقاظهم قالت أشركيف تأمر(٦)
فقلت أباديهم فاما أفوتهم ... وإما ينال السيف ثأراً فيثار(٧)
فقالت أتحقيقا لما قال كاشح ... علينا وتصديقاً لما كان يؤثر(٨)

---

(١) ذو غروب كل شىء حده وإنما يعنى الأسنان . مؤشر يعنى له أشر وهو تشرير الأسنان أى التحزيز الذى فيها يكون خلقة ومستعملا والجمع أشور . مفلج أى ثغر مفلج إذا كان فى أسنانه تفرق . يرف أى يبرق ويتلألأ والضمير للسن .

(٢) يفتر عنه أى يتبسم عنه والضمير للثغر . والأقحوان نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض وأصفر يشبه به الثغر .

(٣) الجؤذر ولد البقرة الوحشية والجمع جآذر . والخميلة كل موضع كثر فيه الشجر، يقول إن هذه المحبوبة تديم النظر إلى كما ينظر الجؤذر إلى الربرب وسط الخميلة .

(٤) التوالى التوابع . وتتغور تغور فتذهب وهو مأخوذ من الغور .

(٥) قد حان منهم هبوب أى انتباه وتيقظ يقال هب من نومه يهب . وعزور موضع بعينه .

(٦) قد تثور منهم أى هاج منهم . ايقاظهم جمع يقظ

(٧) أباديهم أى أظهر لهم الشر فى بادىء الأمر ، فيثار أى يدرك ثأره والثأر الذى طلب الدم وقيل الدم نفسه .

(٨) أتحقيقا أى قالت له أتفعل هذا تحقيقا. لما كان يؤثر أى لما كان يروى من الشر والتهمة عن هذا الكاشح المبغض

فان كان مالابد منه فغيره ... من الأمر أدنى للخفاء وأستر(١)

أنص على أختى بدء حديثنا ... ومالى من أن تعلما متأخر

لعلهما أن تبغيا لك مخرجا ... وأن ترحبا سربا بما كنت أحصر(٢)

فقامت كئيبا ليس فى وجهها دم ... من الحزن تذرى عبرة تتحدر

فقامت إليها حرتان عليهما ... كسا آن من خز دمقس وأخضر(٣)

فقالت لأختيها أعينـــا على فتى ... أتى زائرا والأمر للأمر يقدر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا ... أقلى عليك اللوم فالخطب أيسر

فقالت لها الصغرى سأعطيه مطرفى ... ودرعى وهذا البرد إن كان يحذر(٤)

يقوم فيمشى بيننا متنكرا ... فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر

فكان مجنى دون من كنت أتقى ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر (٥)

فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى ... أما تتقى الأعداء والليل مقمر

وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا ... أما تستحى أو ترعوى أو تفكر (٦)

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا ... لكى تحسبوا أن الهوى حيث ينظر

فآخر عهد لى بها حين أعرضت ... ولاح لها خـــد نقى ومحجر

سوى أننى قد قلت يا نعم قولة ... لها والعتاق الأرحبيات تزجر (٧)

هنيئا لأهل العامرية نشرها الـ ... لذيذ ورياها الذى أتذكر

---

(١) تقول له: إن كان ولا بد مما عزمت عليه فاعرض عنه ولنفكر فى أمر آخر تسلم لنا عاقبته . (٢) بدء حديثنا يريد أول حديثنا . الرحب السعة يقال انه لواسع السرب أى واسع الصدر بطيء الغضب ، أى تنشرح صدورهما ويؤمن غضبهما على . وقوله بما كنت أحصر أى أضيق به ذرعا (٣) حرتان يريد بهما أختيها والحرة نقيض الأمة (٤) إن كان يحذر أى يخاف ويخشى الرقباء .

(٥) مجنى : المجن الترس، ويجمع على مجان اسم كان وخبرها قوله ثلاث شخوص. كاعبان : تثنية كاعب الجارية حين يبدو ثديها ، والمعصر الجارية أول ما أدركت وحاضت يقال قد أعصرت كأنها دخلت عصر شبابها وبلغته وقال الشاعر ثلاث شخوص لأنه كنى بها عن النساء ثم بين ذلك بقوله كاعبان ومعصر .

(٦) السادر الذى لا يهتم ولا يبالى بما صنع (٧) والعتاق الأرحبيات النجائب من الطير، والزجر لها التيمن بسنوحها والتشاؤم ببروحها .

فقمت إلى عنس تخون نيها ... سرى الليل حتى لحمها متحسر
وحبسى على الحاجات حتى كأنها ... بقية لوح أو شجار مؤسر (١)
وماء بموماة قليـــل أنيسه ... بسابس لم يحدث به الصيف محضر (٢)
به مبتنى للعنـكبوت كأنه ... على طرف الأرجاء خام منشر
وردت وما أدرى أما بعد موردى من الليل أو ما قد مضى منه أكثر
فقمت إلى مغلاة أرض كأنها ... إذا التفتت مجنونة حين تنظر
تنازعنى حرصا على الماء رأسها ... ومن دون ما تهوى قليب معور
محاولة للماء لولا زمامها ... وجذبى لها كادت مرارا تكسر (٣)
فلما رأيت الضر منها وأننى ... ببلدة أرض ليس فيها معصر
قصرت لها من جانب الحوض منشأ ... جديدا كقاب الشبر أو هو أصغر (٤)

---

(١) فقمت إلى عنس هى البازل الصلبة من النوق وجمعها عناس . وقوله تخون سرى الليل نيها أى نقص ادلاج الليل نيها والنى السمن أى نقص شحمها ولحمها . حتى لحمها متحسر : حتى هنا حرف ابتداء ، وتحسر لحم البعير أن يكون للبعير سمنة حتى كثر شحمه وسمك سنامه فاذا ركب أياما فذهب رهل لحمه واشتد به ما تزيم منه فى مواضعه . وقوله وحبسى على الحاجات يريد بذلك أن الضرورة هى التى ألجأته إلى هذه العنس الضعيفة . كأنها بقية لوح الخ : وصف للعنس . والشجار مركب أصغر من الهودج مكشوف الرأس . ومؤسر مشدود بالأسار وهو السير .

(٢) بموماة هى الفلاة . وبسابس صفة لموماة أى قفر . قليل أنيسه الضمير للماء أى قليل وراده . وقوله لم يحدث به: الضمير: للماء ، محضر: المحضر عند العرب المرجع إلى أعداد المياه وعرب البادية فانما يحضرون الماء لعدة شهور القيظ لحاجة النعم إلى الورد غبا ورفها . وقوله به الضمير للماء كأنه الضمير للعنكبوت ، خام منشر والخام جمع خامة السنبلة . والارجاء النواحى .

(٣) مغلاة أرض أى قمت إلى ناقة مغلاة أرض أى تغلو فى سيرها على الأرض بخفة قوائمها . تكسر أى تفتر . ليس فيها : الضمير للبلدة ، معصر يريد به المطر ، قال تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ، فالمعصرات السحائب تعتصر بالمطر

(٤) قصرت لها منشأ جديدا من جانب الحوض : يريد أنه قصرها على محل مخصوص تشرب منه . كقاب الشبر أى كقدر الشبر

إذا شرعت فيـــه فليس لملتق ... مشافرها منه قدر الكف مسأر (١)
ولا دلو إلا القعب كان رشاءه ... إلى الماء نسع والجديل المضفر (٢)
فساقت وما عافت وما رد شربها ... عن الري مطروق من الماء أكدر

وأنشد عمر هذه القصيدة لعبد الله بن عباس بحضرة نافع بن الأزرق ، فلما أتم عمر قصيدته على مسمع ابن عباس قال له ابن الأزرق، لله أنت يا ابن عباس أنضرب إليك أكباد الابل نسألك عن الدين فتعرض ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفهاً فتسمعه ؟ فقال : تالله ما سمعت سفهاً فقال ابن الأزرق أما أنشدك :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ... فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال ما هكذا قال إنما قال فيضحى وأما بالعشى فيخصر ، قال :

أو تحفظ الذى قال؟ قال والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه ولو شئت أن أردها لرددتها ، قال فارددها فانشده إياها .

وقال عمر بن أبى ربيعة :

قال لى صاحبي ليعلم ما بى : ... أتحب القتول أخت الرباب ؟(٣)
قلت: وجدى بها كوجدك بالعذ ... ب إذا ما منعت طعم الشراب (٤)
من رسولى إلى الثريا بأنى ضـ ... ـقت ذرعا بهجرها؟ والكتاب (٥)
أزهقت أم نوفل إذ دعتها ... مهجتى ، ما لقاتلى من متاب (٦)
حين قالت لها : أجيبى ! فقالت: ... من دعانى؟ قالت: أبو الخطاب (٧)

---

(١) إذا شرعت الخ يقول إذا شربت من الحوض فلا يظهر منه شيء ولو بمقدار الكف فهو قدر شفتيها . (٢) القعب هو القدح الضخم الغليظ الجافى. والنسع سير يضفر على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال .

(٣) القتول : القاتلة . الرباب اسم امرأة . (٤) كوجدك بالعذاب الخ : أى كشوقك إلى الماء العذب حين تعطش جدا . (٥) الثريا بنت على : إحدى صواحبات الشاعر . ضقت ذرعا بهجرها : لا أحتمله. والكتاب القرآن يقسم به .

(٦) أزهقت : أهلكت . مهجتى : روحى . أم نوفل رسول عمر إلى الثريا ، والمتاب التوبة ، يريد أن قاتله لا يرى قتله ذنبا يستغفر أو يتوب منه. (٧) أبو الخطاب: كنية الشاعر .

أبرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب أتراب(١)
وهى مكنونة تحير منها فى أديم الخدين ماء الشباب(٢)
دمية عند راهب ذى اجتهاد صوروها فى جانب المحراب(٣)
ثم قالوا : تحبها ؟ قلت بهرا ! عدد النجم والحصى والتراب(٤)
حين شب القتول والجيد منها حسن لون يرف كالزرياب(٥)
أذكرتنى من بهجة الشمس لما طلعت من دجنة وسحاب(٦)
فارجحنت فى حسن خلق عميم تتهادى فى مشيها كالحباب(٧)
غصبتني بجاجة المسك عقلى فسلوها ماذا أحل اغتصابى(٨)
قلدوها من القرنفل والدر سخاباً واها له من سخاب (٩)

وقال عمر بن أبى ربيعة :

ألم تسأل الأطلال والمتربعا ببطن حليات دوارس بلقعا(١٠)
إلى الشرى من وادى المغمس بدلت معالمه وبلا ونكباء زعزعا(١١)

---

(١) المهاة : البقرة الوحشية . تهادى : تمشى متمايلة . الكواعب جمع كاعب : وهى الفتاة الناهدة الثدى . أتراب : جمع ترب ، وهو من ولد معك ، ومن فى سنك . (٢) مكنونة : مصونة مستورة . تحير : اجتمع وتردد . أديم الخدين : بياضهما أو صفحتهما . ماء الشباب : رونقه وبهجته .

(٣) الدمية : الصورة من العاج أو الرخام . الراهب : المنقطع للعبادة . المحراب : القبلة أو صدر البيت . (٤) بهرا : حبا قويا .

(٥) شب : زاد فى الحسن . يرف : يلمع . الزرياب : الذهب .

(٦) البهجة : الحسن . الدجنة : الظلمة . (٧) ارجحنت : مالت واهتزت : عميم : تام . الحباب : الحية . تتهادى : تتمايل . (٨) بجاجة المسك : ينتشر منها أريجه . (٩) السخاب : قلادة من قرنفل وغيره ، القرنفل : من النبات الطيب الرائحة ، واها له : عجبا من حسنه على جيدها . (١٠) الأطلال جمع طلل وهو الشاخص من آثار الديار ؛ المتربع : مكان إقامة الربيع ، بطن حليات : موضع يظهر أنه قرب مكة ؛ دوارس جمع دارس : أى زائل ، بلقعا : قفرا ؛ دوارس بلقعا حالان من الأطلال والمتربع . (١١) الشرى : النخيل ، المغمس : موضع بطريق الطائف . معالمه : معاهده جمع معلم . الوبل : المطر الشديد : النكباء : ريح انحرفت عن مهب الرياح : زعزعا : شديدة .

فيخلن أو يخبرن بالعلم بعد ما نكأن فؤادا كان قدما مفجعا (١)
بهند وأتراب لهند إذ الهوى جميع وإذ لم نخش أن يتصدعا (٢)
وإذ نحن مثل الماء كان مزاجه كاصفق الساقى الرحيق المشعشعا (٣)
وإذ لا نطيع العاذلين ولا نرى لواش لدينا يطلب الصرم مطمعا (٤)
تنوعتن حتى عاود القلب سقمه وحتى تذكرت الحديث المودعا (٥)
فقلت لمطريهن بالحسن : إنما ضررت، فهل تسطيع نفعا فتنفعا؟ (٦)
وأشريت فاستشرى وإن كان قد صحا فؤاد بأمثال المها كان موزعا (٧)
وهيجت قلبا كان قد ودع الصبا وأشياعه، فاشفع عسى أن تشفعا (٨)
لئن كان ما حدثت حقا فما أرى كمثل الألى أطريت فى الناس أربعا (٩)
فقال: تعال انظر . فقلت: وكيف بى أخاف مقاما أن يشيع فيشنعا ؟ (١٠)
فقال : اكتفل ، ثم التثم، فأت باغيا فسلم ، ولا تكثر بأن تتورعا (١١)
فإنى سأخفى العين عنك فلا ترى مخافة أن يفشو الحديث فيسمعا

---

(١) نكأ الجرح : قشره قبل برئه مفجعا : موجعا بهند وأترابها (٢) جميع مجتمع . يتصدع : يتفرق (٣) مزاجه : ما يمزج به : صفق : حول الشراب ممزوجا من إناء إلى آخر ليصفو : الرحيق : الخمر أو أفضلها : المشعشع : الممزوج : (٤) العاذلون جمع عاذل وهو اللائم ، الواشى : النمام . الصرم : القطيعة (٥) تنوعتن : تووصفن : أى أن كلا وصفت لصاحبتها ما تراه فيها من المحاسن : سقم القلب : مرضه من الحب. المودع : الماضى . .

(٦) المطرى : المادح المبالغ . ضررت : بإذكاء الغرام فى نفسى . النفع هنا : صلته بهن . (٧) أشريت فؤادى : حركته إلى الهوى فتحرك . صحا : ترك الباطل . موزعا : مولعا . (٨) الصبا : جهلة الفتوة . الأشياع : جمع شيعة بالكسر وهى الفرقة ، تشفع : تقبل شفاعتك فيصلنى . (٩) أربع نسوة : أى لا أجد فى الناس أربع نسوة كاللواتى وصفت جمالا .

(١٠) مقاما : إقامة معهن . يشنع : يقبح .

(١١) اكتفل : استتر بالكفل وهو فى الأصل كساء يدار حول سنام البعير . التثم : اتخذ اللثام : وهو ما كان على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاب . باغيا : طالبا . تتورع : تتحشم .

فأقبلت أهوى مثل ما قال صاحبي لموعده أزجي قعودا موقعا (١)
فلما تواقفنا : وسلمت أشرقت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا (٢)
تبالهن بالعرفان لما عرفنني وقلن :امرؤ باغ أكل وأوضعا (٣)
وقربن أسـباب الهوى لمتيم بقيس ذراعا كلما قسن إصبعا (٤)
فلما تنازعنا الأحاديث قلن لى : أخفت علينا أن نغر ونخدعا ؟ (٥)
فبا لأمس أرسلنا بذلك خالدا إليك ، وبينا له الشأن أجمعا (٦)
فما جئتنا إلا على وفق موعـد على ملأ منا خرجنا له معا (٧)

وقال أبو الحارث مولى هشام بن الوليد بن المغيرة شهدت عمر بن أبي ربيعة وجميل بن عبد الله بن معمر العذرى وقد اجتمعا بالأبطح ، فأنشد جميل قصيدته التى يقول فيها :

لقد فرح الواشون ان صرمت حبلى بثينة أو ابدت لنا جانب البخل
يقولون مهلا يا جميل وإننى لأقسم مالى عن بثينة من مهل

حتى أتى على آخرها، ثم قال لعمر: ياأبا الخطاب هل قلت فى هذا الروى شيئا ؟ قال نعم فأنشده قوله :

جرى ناصح بالود بينى وبينها فقربنى يوم الحصاب إلى قتلى
فطارت بحد من فؤادى ونازعت قرينتها حبل الصفاء إلى حبلى (٨)

---

(١) أهوى : أسرع . أزجى : أسوق ، القعود من الابل : ما يقتعده الراعى فى كل حاجة . الموقع : الذى ظهرت به آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه .

(٢) توافقنا : تقابلنا . زهاها الحسن : استخفها الجمال . أن تتقنع : عن أن تلبس القناع فأسفرت معجبة بجمالها .

(٣) تبالهن : ادعين البله ، وهو الغفلة . العرفان : المعرفة . باغ: طالب . أكل أعيا وتعب . أوضع : حمل ناقته على السير السريع .

(٤) المتيم : الذى دلهه الحب . (٥) تنازعنا : تبادلنا .

(٦) الشأن أجمعا : الأمر جميعه اى رسمنا له الخطة .

(٧) الوفق : المطابقة . الملأ : الجماعة .

(٨) ونازعت حبل الصفاء أى واصلت مأخوذ من قولهم هذه الأرض تنازع أرض كذا أى تتصل بها

فما أنس ملأشياء لا أنس موقفى ... وموقفها يوماً بقارعة النخل(١)
فلما توافقنا عرفت الذى بها كمثل ... الذى بى حذوك النعل بالنعل (٢)
فعاجت بأمثال الظباء نواعم إلى ... موقف بين الحجون إلى النخل (٣)
فقالت لأتراب لها شبه الدمى ... أطلن التمنى والوقوف على شغلى
وقالت لهن ارجعن شيئاً لعلنا ... نعاتب هذا أو يراجع فى وصل
فقلن لها هذا عشاء وأهلنا ... قريب ألما تسأمى مركب البغل
فقالت فما شئتن قلن لها انزلى فلـ ... لأرض خير من وقوف على رحل
وقمن إليها كالدمى فاكتنفنها ... وكل يفدى بالمودة والأهل
نجوم درارى تكنفن صورة من الـ ... بدر وافت غير هوج ولا نكل(٤)
فسلمت واستأنست خيفة أن يرى ... عدو مكانى أو يرى كاشح فعلى
فقالت وارخت جانب السجف إنما ... معى فتحدث غير ذى رقبة أهلى(٥)
فقلت لها ما بى لهم من ترقب ... ولكن سرى ليس يحمله مثلى
فلما اقتصرنا دونهن حديثنا ... وهن طبيبات بحاجة ذى التبل
عرفن الذى تهوى فقلن لها ائذنى ... نطف ساعة فى طيب ليل وفى سهل
فقالت فلا تلبثن قلن تحدثى ... أتيناك وانسبن انسياب مها الرمل
فقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما ... فعلن الذى يفعلن فى ذاك من أجلى

---

(١) فما أنس الخ ما شرطية جازمة وأنس فعل الشرط والجواب قوله لا أنس

(٢) حذوك النعل بالنعل ضربه مثلا أى لما توافقنا علمت أن مابى من الوجد كالذى بها كما تقطع أحد النعلين على قدر الأخرى والتقدير القطع أى تعملون مثل أعمالهم كما تقطع النعل على مثال

(٣) الحجون موضع بمكة ناحية من البيت ، قال الأعشى :

فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا ... ولا لك حق الشرب فى ماء زمزم

(٤) نجوم درارى خبر لمبتدأ محذوف أى هن نجوم درارى مضيئة . تكنفن صورة هى المحبوبة ، وافت أى أتت ، وأوفت بالوعد الضمير للمحبوبة . غير هوج ولا نكل أى غير حمق ولا ضعفاء صفة ثانية لقوله نجوم (٥) تقول له تحدث معى الآن ولا تخف لأنه لم يكن رقيب علينا هنا غير أهلى، فقال لها ما لهم بى من ترقب الخ

وباتت تمج السمك فى فى غادة ... بعيدة مهوى القرط صامتة الحجل(١)
تقلب عينى ظبية ترتعى الخلا ... وتحنو على رخص الشوى أغيد طفل(٢)
وتفتر عن كالأقحوان بروضة ... جلته الصبا والمستهل من الوبل(٣)
أهيم بها فى كل ممسى ومصبح ... وأكثر دعواها إذا خدرت رجلى(٤)

فقال جميل هيهات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالى والله ما خاطب النساء مخاطبتك أحد وقام مشمرا ، وقال عمر :

أشر يا ابن عمى فى سلامة ماترى ... لنا وتبديها لتسلبنى عقلى (٥)
على حين لاح الشيب واستنكر الصبا ... وراجعنى حلمى وأقصرت عن جهلى
وآلت كما آل المجرب بعدما ... صحوت ومل العاذلات من العذل (٦)
وأبديت عصيانا لهن سبيننى ... وألقين من يأس على غاربى حبلى(٧)
وأقبلن يمشين الهوينا عشية ... يقتلن من يرمين بالحدق النجل(٨)
غرائب من حيين شتى لقيننى ... على حالة ماخاف من مثلها مثلى(٩)
فسلمن تسليما ضعيفا وأعين ... نحاذرها من أهلهن ومن أهلى

---

(١) غادة بعيدة مهوى القرط أى حسنة السالفة وهى العنق ،والقرط الشنف. صامتة الحجل يقال جارية صمرت الخلخالين إذا كانت غليظة السافين لايسمع لخلخالها صوت لغموضه فى رجلها (٢) وتحنو على رخص الشوى أى تعطف على قوائمها الرخصة الناعمة اللينة . أغيد طفل صفة الظبية والظبى الأغيد هو الوسنان المائل العنق (٣) والمستهل من الوبل أى من المطر الشديد الوقع (٤) إذا خدرت رجلى أى إذا خدرت رجلى أكثر من ذكر المحبوبة فتنبسط كما كانت ، وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما أنه خدرت رجله فقيل له مالرجلك قال اجتمع عصبها، قيل اذكر أحب الناس إليك قال يامحمد فبسطها (٥) وتبديها أى إقامتها بالبادية (٦)وآلت كما آل المجرب،الايالةالسياسة يقال آل الملك رعيته يؤلها أولا وإيالا ساسهم وأحسن سياستهم وولى عليهم يريد بذلك أن المحبوبة شغلته بعد ما صحا من نشوة الحب بدهائها وسياستها كما يدبر ويسوس الأمور مجربها (٧) وألقين الخ أى أنه لما تظاهر لهم بالمخالفة عن طاعتهم القين حبله على غاربه لما يئسن من الحديث معه

(٨) من يرمين . العائد محذوف أى من يرمينه ويصبنه بالحدق النجل الواسعة .

(٩) غرائب أى هن غرائب من حيين الخ

وقلن لو أن الله شاء لقيتنا ... على غير هذا من مقام ومن شغل
إذا لبثنك الحديث ولاشتفت ... نفوس ولكن المقام على رجل (١)
وقلن متى بعد العشية نلتقي ... لميعادنا هيهات هيهات للوصل

وقال محرز بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه قال: سمعت بديحا يقول: حجت فاطمة بنت محمد بن الأشعث الكندية، فراسلها عمر بن أبي ربيعة ووعدها أن يتلقاها مساء الغد، وجعل الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد ان لم يمكنه أن يرسل رسولا يعلمها بمسيره إلى المكان الذي وعدها، قال بديح فلم أشعر به إلا متلثما، فقال لي: يا بديح ائت بنت محمد بن الأشعث فاخبرها أني قد جئت لموعدها، فأبيت أن أذهب، وقلت مثلي لا يعين على مثل هذا فغيب بغلته عني ثم جاءني فقال لي: قد أضللت بغلتي فانشدها لي في زقاق الحاج فنشدتها فخرجت على فاطمة بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية فأتته لموعده وذلك قوله

وآية ذلك أن تسمعي ... إذا جئتكم ناشداً ينشد

في قصيدته التي يقول فيها:

تشط غدا دار جيراننا ... وللدار بعد غد أبعد
إذا سلكت غمر ذي كندة ... مع الركب قصد لها الفرقد
وحث الحداة بها عيرها ... سراعا إذا ما ونت تطرد (٢)
هنالك إما تعزى الفؤاد ... وإما على إثرهم يكمد (٣)
فلست ببدع لئن دارها ... نأت فالعزاء إذا أجلد
صرمت وواصلت حتى علمـ ... ـت أين المصادر والأورد
وجربت من ذاك حتى عرفـ ... ـت ما أتوقى وما أحمد
دعاني من بعد شيب القذا ... ل رئم له عنق أغيد (٤)

---

(١) الرجل الخوف والفزع من فوت الشيء، يقال أنا من أمري على رجل أي على خوف من فوته، يريد أنهن لم يكن عندهن الوقت الكافي لمحادثته خوف فوت الرحيل

(٢) غمر ذي كندة موضع وراء وجرة بينه وبين مكة مسيرة يومين. ونت أي كلت وأعيت الضمير للعير. وتطرد تساق (٣) يقول أن أمر الفراق قد تحتم وما علي إلا أن أسلي الفؤاد بالصبر وإما أموت كمدا (٤) ما أتوقى أي ما أتوقى به وأتحفظ. وما أحمد أي وما أفعل عليه. شيب القذال القذال جماع مؤخر الرأس من الانسان أي أمالني إلى الصبا بعد الكبر رئم له الخ.

وعين تصابى وتدعو الفتى ... لما تركه للفتى أرشد
فتلك التى شيعتها الفتاة ... إلى الخدر قلبى بها مقصد
تقول وقد جد من بينها ... غداة غد عاجل موفد(١)
ألست مشيعنا ليــــــلة ... تقضى اللبانة أو تعهد
فقلت بلى قل عندى لكم ... كلال المطى إذا تجهد
فعودى إليها فقولى لها ... مساء غد لكم موعد
وآية ذلك أن تسمعى ... إذا جئتكم ناشداً ينشد
فرحنا سراعا وراح الهوى ... إليها دليلا بنا يقصد
فلما دنونا لجرس النباخ ... إذا الضوء والحى لم يرقدوا
نأينا عن الحى حتى إذا ... تودع من دارها الموقد
وناموا بعثنا لنا ناشدا ... وفى الحى بغية من ينشد(٢)
فقامت فقلت بدت صورة ... من الشمس شيعها الأسعد(٣)
فجاءت تهادى على رقبة ... من الخوف أحشاؤها ترعد
وكفت سوابق من عبرة ... على الخد جال بها الإثمد(٤)
تقول وتظهر وجداً بنا ... ووجدى وإن أظهرت أوجد
لما شــــــقانى تعلقتكم ... وقد كان لى عندكم مقعد
عراقية وتهامى الهوى ... يغور بمكة أو ينجد

قال بديح فلما رأيتها مقبلة عرفت أنه قد خدعنى بنشدى البغلة، فقلت له: ياعمر لقد صدقت التى قالت لك :

---

(١) قلبى بها مقصد أى مطعون بسهم من لحاظها ، وقد جد من بينها عاجل موفد أى وفد وأسرع ببينها وفراقها ركب عاجل موفد مسرع . (٢) فلما دنونا لجرس النباح : أى فلما اقتربنا من حركة وصوت نباح الكلاب . لم يرقدوا، رقد تأتى بمعنى سكن يقال رقد الحرسكن وهو بهذا المعنى يرجع إلى الضوء، أى إذا الضياء والنور لم يسكن ، يريد أنه لم يطفأ وتكون بمعنى نام ويرجع إلى الحى . الموقد موضع النار وهو المستوقد. ويريد بوداعه إطفاءه . بغية من ينشد: أى حاجة من ينشد يريد بها المحبوبة . (٣) الأسعد : كوكب نير (٤) جال بها الأثمد أى سال بها والضمير للعبرة . والاثمد الكحل .

أهذا سحرك النسوا ن قد خبرتنى الخبرا

قد سحرتنى وأنا رجل فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن وما آمنك بعدها ولو دخلت الطواف ظننت أنك دخلته لبلية، قال وحدثها بحديثى فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك منى ولما جاءت ومعها أمها أرسلت بينها وبينه ستراً رقيقاً تراه من ورائه ولا يراها فجعل يحدثها حتى استنشدته فأنشدها هذه القصيدة فأستخفها الشعر فرفعت السجف فرأى وجهاً حسناً فى جسم ناحل فخطبها وأرسل إلى أمها بخمسمائة دينار فأبت وحجبته وقالت للرسول: تعود الينا، فكان الفتاة غمها ذلك، فقالت لها أمها قد قتلك الوجد به فتزوجيه قالت لا والله لا يتحدث أهل العراق خلق أنى جئت ابن أبى ربيعة أخطبه ولكن ان أتانى إلى العراق تزوجته ثم شيعها عمر وقال:

قال الخليط غدا تصدعنا ... أو شيعه أفلا تشيعنا

وقال عمر:

هل أنت إن بكر الأحبة غادى ... أم قبل ذلك مدلج بسواد

كيف الثواء ببطن مكة بعدما ... هم الذين تحب بالانجاد

هموا ببعد منك غير تقرب ... شتان بين القرب والابعاد

لا كيف قلبك إن ثويت مخامرا ... سقما خلافهم وحزنك بادى

قد كنت قبل وهم لأهلك جيرة ... صبا تطيف بهم كأنك صادى

هيمان يمنعه السقاة حياضهم ... حيران يرقب غفلة الوراد(١)

فالآن إذ جد الرحيل وقربت ... بزل الجمال لطية وبعاد (٢)

ولقد أرى أن ليس ذلك نافعى ... ما عشت عندك فى هوى ووداد

(١) خلافهم أى بعدهم، وفى التنزيل العزيز: فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ويقرأ خلف أى بعد. الصادى العطشان الهائم وهيمان صفة للصادى

(٢) بزل الجمال من اضافة الصفة للموصوف أى الجمال البزل وهى التى فطرنا بها أى انشق وذلك فى السنة التاسعة. جد الرحيل أى تحقق وقضى أمره.

ولقد منحت الود منى لم يكن ... منكم إلى بما فعلت أيادى(١)
إنى لأترك من يجود بنفسه ... وموكل بوصال كل جماد
ياليل إنى فاصرى أو واصلى ... علقت بحبكم بنات فؤادى
كم قد عصيت إليك من متنصح ... خان القرابة أو أعان أعادى(٢)
وتنوفة أرمى بنفسى عرضها ... شوقا إليك بلا هداية هادى
ما ان بها من غير سيفى صاحب ... وذراع حرف كالهلال وسادى(٣)
بمعرس فيه إذا ما مسه ... جلدى خشونة مضجع وبعاد(٤)
قمن من الحدثان تمسى أسده ... هذا الظلام كثيرة الايعاد
بالوجد أغدر ما يكون وبالبكا ... وبرحلة من طية وبلاد (٥)

وقال عمر يشبب بعبدة :

أعبدة ما ينسى مودتك القلب ... ولا هو يسليه رخاء ولا كرب(٦)
ولاقول واش كاشح ذى عداوة ... ولا بعد دار إن نأيت ولا قرب
وما ذاك من نعمى لديك أصابها ... ولكن حبا ما يقاربه حب

---

(١) يقول إنى منحتكم ودى عفوا من غير مقابل احسان منكم على، كما أنى لا أمنح ودى الا لمن يحفظ المودة ويعرف مقدار الصاحب .

(٢) أو اعان أعادى أى أو ساعد على الأعادى . وتنوفة هى التى لا ماء بها من الفلوات ولا أنيس وان كانت معشبة . بلا هداية هادى أى بغير دليل يرشدنى إليها (٣) ذراع حرف أى ذراع ناقة حرف وهى النجيبة الماضية التى أنضتها الاسفار .

(٤) بمعرس أى ان ذراع الناقة كان وسادا له بموضع التعريس وهو نزول القوم فى السفر من آخر الليل يقعون فيه وقعة للاستراحة ثم ينيخون وينامون نومة ثم يثورون مع انفجار الصبح سائرين . فيه خشونة مضجع وبعاد، الضمير للمعرس والبعاد المباعدة . قمن من الحدثان صفة للمعرس أى ان هذا الموضع قمن جدير وخليق أن يكون موضعا للحوادث . كثيرة الايعاد يقال فى الخير الوعد والعدة وفى الشر الايعاد والوعيد ، ويقال أيضا وعدته فى الخير وأوعدته فى الشر .

(٥) بالوجد أى أن هذه الاسد كثيرة الايعاد بالوجد والبكاء الخ .

(٦) رخاء ولا كرب أى سرور ولا هم . والكاشح العدو المبغض .

فان تقبلى يا عبد توبة تائب | يتب ثم لايوجد له أبداً ذنب
أذل لكم يا عبد فيما هويتم | وإنى إذا مارامنى غيركم صعب (١)
وأعذل نفسى فى الهوى فتعوقنى | ويأصرنى قلب بكم كلف صب(٢)
وفى الصبر عمن لا يؤاتيك راحة | ولكنه لاصبر عندى ولا لب (٣)
وعبدة بيضاء المحاجر طفلة | منعمة تصبى الحليم وما تصبو (٤)
قطوف من الحور الأوانس بالضحى | متى تمش قيس الباع من بهرها تربو(٥)

وكان عمر بن أبى ربيعة قال أبياتا فى رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية عند ما حجت ، وبلغت الأبيات ، الثريا فبلغتها إياها أم نوفل فقالت : إنه لوقاح صنع بلسانه ولئن سلمت لأردن من شأوه ولأثنين من عنانه ولأعرفنه نفسه ، هوجرت عمر فلما هجرته قال فى ذلك :

— أصابها الضمير المستتر للقلب ، يقول إن مودة القلب الك أيتها المحبوبة ليست ناشئة عن مكرمة شملته بها ولكنها مودة خالصة لك وحب لايضاهيه حب .

(١) يقول انى أسير هواك فيما به تأمرين ولكنى أرباً وأبتعد عما يكلفنى به غيرك (٢) واعذل نفسى أى ألومها على اتباع شهواتها . فتعوقنى أى تثبطنى والتعويق التثبيط ، وفى التنزيل قد يعلم الله المعوقين منكم . ويأصرنى قلب أى ويعطفنى والمتعلق محذوف أى عليكم قلب كلف بكم صب ، ويقال ماتأصرنى على فلان آصرة أى ما يعطفنى عليه منة ولا قرابة .

(٣) لايؤاتيك يقال آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة اذا وافقته وطاوعته .

(٤) بيضاء المحاجر جمع محجر وهو مايبدو من النقاب تصبى الحليم : أى تشوق الحليم وتدعوه الى الصبا فيحن لها ويميل ويريد بالحليم العاقل مجرب الحزم فى الأمور

(٥) قطوف أى خطوها متقارب من الحور الاوانس جمع آنسة وهى التى تطيب نفسها برؤيتك وتحب قربك وحديثك . قيس الباع والقاس القدر أى مقدار الباع من بهرها ، البهر بالضم ما يعترى الإنسان عند السعى الشديد والعدو من التهيج وتتابع النفس . وتربو أى تزيد وهذا غاية فى المدح .

من رسولى إلى الثريا بأنى	ضقت ذرعا بهجرها والكتاب (١)
أزهقت أم نوفل إذ دعتها	مهجتى مالقاتلى من متاب (٢)
أبرزوها مثل المهاة تهادى	بين خمس كواعب أتراب (٣)
فأجابت عنـــد الدعاء كما لبـ	ـى رجال يرجون حسن الثواب (٤)
وهى مكنونة تحير منها	فى أديم الخدين ماء الشباب (٥)
دمية عند راهب ذى اجتهاد	صوروها فى جانب المحراب (٦)
ثم قالوا تحبها قلت بهرا	عدد النجم والحصى والتراب (٧)
حين شب القتول والجيد منها	حسن لون يرف كالزرياب (٨)

(١) ضقت ذرعا الذرع الطاقة يقال ضاق بالأمر ذرعا اذا ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا وأصل الذرع انما هو بسط الكف فكأنك تريد مددت يدى اليه فلم تنله .

(٢) أزهقت مهجتى أم نوفل أى أهلكتها . مالقاتلى يريد به المحبوب . ومتاب أى انابة ورجوع .

(٣) تهادى التهادى مشى فى تمايل وسكون (٤) فأجابت عند الدعاء أى عند مادعتها أم نوفل لابن أبى عتيق رسول عمر . وهى مكنونة أخذ الشاعر يصف الثريا ، أى مستورة من الشمس وغيرها ، وفى التنزيل كأنهن بيض مكنون .

(٥) تحير ماء الشباب منها فى أديم الخدين أى اجتمع وتردد ماء الشباب فى أديم خديها .

(٦) دمية هى الصورة المصورة لأنها يتنوق فى صنعتها ويبالغ فى تحسينها وفى صفته عليه الصلاة والســـلام كأن عنقه عنق دمية . ذى اجتهاد افتعال مبالغة فى استفراغ ما فى الوسع والطاقة من قول أو فعل والمحراب عند العرب القصر لشرفه أراد بالمحراب القصر وبالدمية الصورة .

(٧) تحبها قلت بهرا: قيل أراد أتحبها ومعنى قلت بهرا قلت أحبها حبا بهرنى بهرا، وقيل معنى بهرا عجبا أى قلت أحبها حبا عجبا .

(٨) حين شب حسن لون القتول والجيد منها أى حين ظهر لون القتول وهو الجسم . واللحم والجيد العنق ، ويرف يضىء ويلمع . والزرياب الذهب .

أذكرتنى من بهجة الشمس لما   طلعت من دجنة وسحاب (١)
فارجحنت فى حسن خلق عميم   تتهادى فى مشيها كالحباب (٢)
غصبتنى مجاجة المسك نفسى   فسلوها ماذا أحل اغتصابى؟
قلدوها من القرنفل والدر   سخابا، واها له من سخاب (٣)

فلما سمع ابن عتيق قوله: «من رسولى إلى الثريا بأنى»، قال: إياى أراد وبى نوه، لاجرم والله لا أذوق أكلا حتى أشخص فاصلح بينهما ونهض، قال بلال مولى ابن أبى عتيق: فركب وركبت معه فسارسيرا شديدا، فقلت: ابق على نفسك فإن ما تريد ليس يفوتك، فقال: ويحك أبادر حبل الود أن ينقضيا، وما حلاوة الدنيا إن تم الصدع بين عمر والثريا فقدما مكة ليلا غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج إليه وسلم عليه ولم ينزل عن راحلته فقال له: اركب أصلح بينك وبين الثريا فأنا رسولك الذى سألت عنه فركب معه وقدموا الطائف وقد كان عمر أرضى أم نوفل فكانت تطلبت له الحيل لإصلاحها فلم يمكنها، فقال ابن أبى عتيق للثريا: هذا عمر قد جشمنى المسير من المدينة إليك فجئتك به معترفا لك بذنب لم يجنه معتذرا من إساءته إليك فدعينى من التعداد والترداد فإنه من الشعراء الذين يقولون مالا يفعلون، فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله، ورجعوا إلى مكة فلم ينزلها ابن أبى عتيق حتى رحلت، وكانت أم نوفل دعتها لابن أبى عتيق، ولو دعتها لعمر ما أجابت.

وقال يشبب بهند:

من لعين تذرى من الدمع غربا   معمل جفنها اختلاجا وضربا (٤).
معمل جفنها لذكرة إلف   زاده الشوق والصبابة كربا
لو شرحت الغداة يا هند صدرى   لم تجد لى يداك فى الصدر قلبا (٥)

---

(١) أذكرتنى أى ذكرتنى. والدجنة من الغيم المطبق تطبيقا. الريان المظلم الذى ليس فيه مطر.

(٢) ارجحنت اهتزت وتمايلت. كالحباب: أى كمشى الحباب وهى الحية، وهى عادة بطيئة المشى. (٣) سخاب هى قلادة توضع فى العنق. واها له: كلمة يتعجب بها عند العرب، أى ما أحسنه وأطيبه من عقد.

(٤) معمل جفنها اختلاجا أى أن جفنها مضطرب دائما من كثرة البكاء.

(٥) لو شرحت يا هند صدرى، يقال شرح الشىء يشرحه شرحا وشرحه، فتحه وبينه وكشفه.

فاعذريني إن كنت صاحب عذر واغفرى لى إن كنت أحدثت ذنبا
لو تحرجت أو تجرمت منى ما تباعدت كلما ازددت قربا (١)
فصلى مغرما بحبك قد كا ن على ما أوليته بك صبا (٢)

وكان عمر يشبب كثيرا بعائشة بنت طلحة ـ وأمها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق وخالتها عائشة أم المؤمنين ـ وكان ينسب بها فى أيام الحج ويطوف حولها ويتعرض لها وهى تكره أن يرى وجهها حتى وافقها وهى ترمى الجمار سافرة فنظر إليها فقالت: أما والله لقد كنت لهذا منك كارهة ، فقال :

إنى وأول ما كلفت بحبها عجب وهل فى الحى من متعجب (٣)
نعت النساء فقلت لست بمبصر شبها لها أبدا ولا بمقرب (٤)
ولقد تركن حزازة فى قلبه منها بحق أو حديث المهرب (٥)
فكثن حيا ثم قلن توجهت للحج موعدها لقاء الأخشب (٦)
أقبلت أنظر ما زعمن وقلن لى والقلب بين مصدق ومكذب
فلقيتها تمشى تهادى موهنا ترمى الجمار عشية فى موكب (٧)
غراء يعشى الناظرين بياضها حوراء فى غلواء عيش معجب (٨)

وحدث الزبير أن عمر نظر إلى فتى من قريش يكلم جارية فى الطواف فعاب ذلك عليه، فذكر أنها ابنة عمه ، فقال ذلك أشنع لأمرك، فقال: إنى أخطبها إلى عمى وإنه

---

(١) لو تحرجت أو تجرمت منى: أى لو تأثمت أو تجرمت وادعيت على ذنبا لم أفعله

(٢) صلى مغرما: أى واصلى متيما بحبك (٣) كلفت بذكرها أى أولعت بذكرها وأحببتها (٤) نعت النساء حذف الشاعر المفعول أى نعت النساء شكلها والنعت وصفك الشىء تنعته بما فيه وتبالغ فى وصفه . (٥) الحزازة كل شىء حاك فى الصدر . والمهرب الجد فى الأمر، يقول إن النساء تركنه وصدره يغلى من وصف عائشة له وهذا الوصف إما حقيق أو لغاية فى أنفسهن . (٦) لقاء الأخشب هو من الجبال الخشن الغليظ والأخشبان الجبلان المطيفان بمكة وهما أبو قبيس والأحمر.

(٧) موهنا أى بعد وهن والوهن ساعة تمضى من الليل وتتهادى تمايل والموكب جماعة ركبان يسيرون برفق . (٨) غراء أى بيضاء والاعراب تسمى نساء الأمصار حواريات لبياضهن وتباعدهن عن قشف الاعراب بنظافتهن .

زعم أنه لا يزوجنى حتى أصدقها أربعمائة دينار وأنا غير قادر على ذلك ، وذكر من حاله وحبه لها وعشقه، فأتى عمر عمه فكلمه فى أمره فقال له: إنه مملق وليس عندى ما أحتمل صلاح أمره، فقال عمر: وكم الذى تريد منه؟ فقال أربعمائة دينار، قال فهى على فزوجه منها ففعل ذلك ،وكان عمر حين أسن حلف أن لا يقول شعرا إلا أعتق رقبة فانصرف إلى منزله يحدث نفسه فجعلت جاريته تكلمه ولا يجيبها ،فقالت إن لك لشأنا وأراك تريد أن تقول شعرا ، فقال :

تقول وليـــدتى لما رأتنى	طربت وكنت قد أقصرت حينا(١)
أراك اليوم قد أحدثت شوقا	وعاد لك الهـــوى داء دفينا (٢)
وكنت زعمت أنك ذو عزاء	إذا ما شـــئت فارقت القرينا(٣)
بربك هل أتاك لها رســـول	فشاقك أم لقيت لها خـــدينا (٤)
فقلت شـــكا إلى أخ محب	كبعض زماننـــا إذ تعلمينا
فقص على ما يلقى بهنـــد	فوافق بعض ما قد تعرفينا
وذو القلب المصاب ولو تعزى	مشوق حين يلقى العاشـــقينا (٥)
وكم من خـــلة أعرضت عنها	من اجلكم وكنت بها ضنينا
أردت فراقها وصبرت عنها	ولو جن الفؤاد بها جنونا

ثم دعا بتسعة من رقيقه فأعتقهم . . . وقال عمر :

بانت سليمى وقد كانت تواتينى	إن الأحاديث تأتيها وتأتينى
فقلت لما التقينا وهى معرضة	عنى ليهنك من تدنينه دونى (٦)
منيتنا فرجا إن كنت صادقة	يا بنت مروة حقا ما تمنينى (٧)
ماذا عليك وقد أجديته سقما	من حضرة الموت نفسى أن تعودينى (٨)

---

(١) تقول وليدتى : الوليدة تطلق على الجارية والأمة وإن كانت كبيرة .

(٢) وعاد لك الهوى : أى وأعاد ورد لك الهوى .

(٣) انك ذو عزاء أى ذو صبر على المصائب . والخدين الصديق المحدث

(٤) أى هل أتاك من المحبوبة رسول فشوقك إليها أم حدثك خدينها بحديثها حتى صرت قلقا عليها.

(٥) ولو تعزى أى تسلى وتصبر (٦) ليهنك أى لتظفرى ، على الدعاء لها بمن تقربينه دونى (٧) منيتنا فرجا: التمنى تشهى حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون ولا يكون، وإنما قال ما تمنينى لأنها كانت توعده وتخلف

(٨) يقول ماذا عليك لو تعودينى وتزورينى وقد أسلمنى هواك إلى المرض من قبل أن يحضر الموت نفسى فلا ترينى بعد .

وتجعلى نطفة فى القعب باردة فتغمسى فاك فيها ثم تسقينى(١)
فهى شفائى إذا ما كنت ذا سقم وهى دوائى إذا ما الداء يضنينى

وقال عمر فى عائشة بنت طلحة عند انصرافها من الحج إلى المدينة :

إن من تهوى مع الفجر ظعن للهوى والقلب متباع الوطن
بانت الشمس وكانت كلما ذكرت للقلب عاودت ددن
نظرت عينى إليهـــا نظرة مهبط الحجـاج من بطن يمن(٢)
موهنـا تمشى بهـا بغلتها فى عثانين من الحج ثكن (٣)
فرآها القلب لا شكل لهـا ربمـا يعجب بالشىء الحسن
قلت قد صدت فماذا عندكم أحسن النـاس لقلب مرتهن
ولئن أمست نواها غربة لا تؤاتينى وليست من وطن
فلقـدما قربتنى نظرتى لعنـاء آخر الدهر معن(٤)
ثم قالت بل لمن أبغضكم شقوة العيش وتكليف الحزن(٥)
بل كريم علقتـه نفسه بكريم لو يرى أو لم يكن
سوف آتى زائرا أرضكم بيقين فاعلميه غـــير ظن
فأجابت هـذه أمنيـة ليت أنا نشـــتريها بثمن
وهى إن شئت تسير نحونا لو تريد الوصل أو تعقل عز(٦)
نصـك العيس إلينـا أربعـا تملك العين إذا الوانى وهن

---

(١) القعب هو قدح من خشب مقعر . والنطفة : الماء الصافى .

(٢) مهبط الحجاج أى فى مهبط ومنزل الحجاج . الموهن نحو من نصف الليل .

(٣) عثانين جمع عثنون وهو اللحية أى تمشى مع رجال ذوى عثانين موقرين من الحج ، ففى بمعنى مع التى للمصاحبة نحو ادخلوا فى أمم أى معهم وفى الحديث وقروا الثمانين . ثكن أى مجتمعين والثكنة الجماعة من الناس والبهائم وغيرها .

(٤) لعناء معن : أى لتعب متعب .

(٥) ثم قالت أى قالت له بل شقاء العيش وتحمل الأحزان لمن أبغضكم وقلاكم، فهى بذلك تدعو على نفسها ان كانت تكرهه .

(٦) أو تعقل عن أى أو تعقل العيس بأفنية البيوت أو فى معاقلها عوضا عن نصك ورفعك اياها فى السير الينا أربعا ، وبذا تملك العين والرقيب اذا الوانى وهو الذى ضعف بدنه من التعب ، والفتور وهن ، أى تأمن مغبة الرقيب .

وقال عمر :

قد هاج قلبك بعد السلوة الوطن	والشوق يحدثه للنازح الشجن (١)
من كان يسأل عنا أين منزلنا	فالأقحوانة منا منزل قمن (٢)
وما الدار عفت من بعد ساكنها	وما لعيش بها إذ ذاكم ثمن (٣)
إذ الجار جرى ممن يسر به	والحج قدما به معرورف ثكن (٤)
إذ يلبس العيش صفوا لا يكدره	جفو الوشاة ولا ينبو بنا زمن (٥)
إذا اجتمعنا هجرنا كل فاحشة	عند اللقاء وذاكم مجلس حسن
فذاك دهر مضت عنا ضلالته	وكل دهر له في سيره سنن

ولقي الغريض عائشة بنت طلحة فغناها قول ابن أبي ربيعة :

اجمعت خلتي مع الهجر بينا	جلل الله ذلك الوجه زينا (٦)
اجمعت بينها ولم نك منها	لذة العين والشباب قضينا
فتولت حمولها واستقلت	لم تنل طائلا ولم تقض دينا
فأصابت به فؤادي فهاجت	حزنا لي مبرحا كان حينا (٧)
ولقد قلت يوم مكة لما	أرسلت تقرأ السلام علينا

(١) يحدثه الشجن أي يجدده، والشجن الهم والحزن

(٢) الاقحوانة موضع بالبادية (٣) اذ ذاكم اسم الأشارة يرجع الى ساكنها أي ليست الاقامة فيها بذات قيمة اذ ارتحل عنها أهلها .

(٤) الجار جرى ، شبه الجار بالماء وحذف المشبه به ورمز اليه بشيء من اللوازم وهو الجري على طريق التخييل . والحج قدما به معرورف أي به نخل معرورف على المجاز أي كثيف ملتف كأنه عرف الضبع ، كنى بذلك عن كثرة الخير والبركات بأرض الحجاز . ثكن أي مجتمع كأنه يقول اذا جرى الجار ممن أحظى بمشاهدته وأسر برؤيته في هذه البقعة الكثيرة الخير حيث يصفو ويهنأ بها العيش فسأكون معه في حظ وسرور تام حيث لا يكدره علينا هناك مكدر .

(٥) اذ يلبس العيش صفوا ، الصفو الخالص الغير مشوب بكدر شبه ما يغشى الانسان وينزل به عند السرور والفرح من أثر الهناء والراحة من حيث الاشتمال باللباس فاستعير له اسمه (٦) جلل الله ذلك الوجه زينا أي عمم الله ذلك الوجه وأفاض عليه صباحة وحسنا ويريد بالوجه وجه عائشة محبوبته .

(٧) حزنا مبرحا أي شديدا شاقا . كان حينا أي كان عاقبته الهلاك

أنعم الله بالرســـول وبالمر　　سل والحامل الرســـالة عينا (١)

فلما سمعت عائشة الشعر ، ضحكت ثم قالت: وأنت ياغريض فأنعم الله بك عينا وأنعم بابن أبي ربيعة، لقد تلطفت حتى أديت إلينا الرسالة وإن وفاءك له لمما يزيدنا رغبة فيك وثقة بك، وقد كان عمر سأل من الغريض: أن يغنيها هذا الصوت وقال له عمر إن أبلغتها هـذه في غناء فلك خمســة آلاف درهم ، فوفى له بذلك وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم ، ثم انصرف الغريض من عندها فأتى عمر بن أبي ربيعة وأعلمه بما جرى فأمر له بمثل ذلك ، فقال الغريض ما انصرف أحد من ذلك الموسم بمثل ما انصرفت: بنظرة من عائشة وهي أجمل نساء العالم، وما أجازاني به، هي وابن أبي ربيعة

وقال عمر :

اعتــادني بعــد ســلوة حزني	طيف حبيب سرى فأرقني
من ظبية بالعقيق ساكنة	قد شــــفني حبها وعذبني
وهي لنا بالوصال طيبة النـــ	فس وربي بها قد أغرمني (٢)
شطت ديار الحبيب فاغتربت	هيهات شعب الحبيب من وطني
علقتهـا شـقوة وبان بهـا	مني مليك فأصبحت شجني
فليتها في الحديث تتبعني	وعنــــد موتي يضمها كفني
يا نظرة ما نظرت موجعة	لم أرها بعدها ولم ترني

وحجت رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية فقال عمر فيها :

أصبح القلب في الجمال رهينا	مقصـدا يوم فارق الظاعنينا
عجلت حمة الفراق علينا	برحيل ولم نخف أن تبينا
لم يرعني إلا الفتاة وإلا	دمعها في الرداء سحا سنينا
ولقد قلت يوم مكة سرا	قبل وشك من بينكم : نولينا
أنت أهوى البلاد قربا ودلا	لو تنيــلين عاشــقا محزونا
قاده الطرف يوم مر إلى الحين	جهارا ولم يخف أن يحينا

---

(١) الرسول هو هنا الرسالة ولا يكون الرسول لأنه قد قال والحامل الرسالة ، وحامل الرسالة هو الرسول فان لم يقل هذا دخل في القسمة تداخل وهو عيب .

(٢) وربي بها أغرمني : أي قد أبلاني بحبها .

فإذا نعجة تراعى نعاجاً ومها بهج المناظر عينا(١)
قلت من أنتم ؟ فصدت وقالت أمبد سؤالك العالمينا(٢)
قلت بالله ذى الجلالة لما أن تبلت الفؤاد أن تصدقينا(٣)
أى من تجمع المواسم قولى وأبينى لنا ولا تكتمينا
نحن من ساكني العراق وكنا قبلها قاطنين مكة حينا
قد صدقناك إذ سألت فمن أنـ ت عسى أن يجر شأناً شؤونا
ونرى أننا عرفناك بالنعـ ت بظن وما قتلنا يقينا(٤)
بسواد الثنيتين ونعت قد نراه لناظر مستبينا

ورملة هى أم طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى وهى أخت طلحة الطلحات بن عبدالله بن خلف الخزاعى ، فبلغت هذه الأبيات كثيرا الشاعر فغضب لذلك وقال: أنا والله لا أتمارى أن سيجر شأن شؤونا ... وهذه الأبيات لما بلغت الثريا هجرت عمر لأجلها

وحدث هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومى قال . كان عمر بن أبى ربيعة يهوى كلثم بنت سعد المخزومية فأرسل إليها رسولا فضربته وحلقته وأحلفته أن لا تعاود ثم أعادها ثانية ففعلت بها مثل ذلك فتحاماها رسله فابتاع أمة سوداء لطيفة رقيقة وأتى بها منزله فأحسن إليها وكساها وآنسها وعرفها خبره وقال لها إن أوصلت لى رقعة إلى كلثم فقرأتها فأنت حرة ولك معيشتك ما بقيت ، فقالت اكتب إلى مكاتبة واكتب حاجتك فى آخرها ففعل ذلك فأخذتها ومضت إلى باب كلثم فاستاذنت فخرجت إليها أمة لها فسألتها عن أمرها فقالت مكاتبة لبعض أهل مولاتك جئت أستعينها فى مكاتبتى وحادثتها وناشدتها حتى ملأت قلبها فدخلت إلى

---

(١) ومها عينا : يقال لبقر الوحش عين صفة غالبة والعين جمع عيناء وهى الواسعة العين . بهج المناظر من البهجة وهى الحسن والنضارة .

(٢) أمبد أى أملزم أنت سؤالك الناس من قولك مالك منه بد

(٣) تبلت الفؤاد أى أسقمته من هواك

(٤) تقول له قد عرفناك بوصف مظنون وما قتلنا يقينا أى وما علمناك يقينا وأوضحت ذلك العلم المظنون بقولها ، بسواد الثنيتين وهما اللتان كسرتهما له الثريا عند مازارها هو وصاحب له .

كلثم وقالت :إن بالباب مكاتبة لم أرقط أجل منها ولا أكمل ولا آدب ،فقالت ائذنى لها فدخلت، فقالت من كاتبك ؟ قالت عمر بن أبى ربيعة الفاسق فاقرئى مكاتبتى فدت يدها لتأخذها فقالت لها لى عليك عهد الله أن تقرئيها فإن كان منك إلى شىء مما أحبه وإلا لم يلحقنى منك مكروه فعاهدتها وفطنت وأعطتها الكتاب فإذا أوله :

من عاشق صب يسر الهوى	قد شفه الوجد إلى كلثم
رأتك عينى فدعانى الهوى	إليك للحين(١) ولم أعلم
قتلتنا ، ياحبذا أنتم	فى غير ماجرم ولا مأثم
والله قد أنزل فى وحيه	مبينا فى آيه المحكم
من يقتل النفس كذا ظالماً	ولم يقدها نفسه يظلم
وأنت ثأرى قتلافى دمى	ثم اجعليه نعمة تنعمى
وحكمى عدلا يكن بيننا	أو أنت فيما بيننا فاحكمى
وجالسينى مجلساً واحدا	من غير ما عار ولا محرم
وخبرينى ما الذى عندكم	بالله فى قتل امرئ مسلم ؟

فلما قرأت الشعر قالت : إنه خداع ملق ، وليس لما شكاه أصل ، قالت : يا مولانى ، فما عليك من امتحانه ؟ قالت قد أذنت له ، وما زال حتى ظفر ببغيته ! فقولى له : إذا كان المساء فليجلس فى موضع كذا حتى يأتيه رسولى ، فانصرفت الجارية فأخبرته فتأهب لها .

فلما جاءه رسولها مضى معه حتى دخل إليها وقد تهيأت أجمل هيئة ، وزينت نفسها ومجلسها ، وجلست له من وراء ستر ، فسلم وجلس ، فتركته حتى سكن ثم قالت له : أخبرنى عنك يا فاسق ، ألست القائل .

هلا ارعويت فترحمى صبا	صديان لم تدعى له قلبا
جشم الزيارة فى مودتكم	وأراد ألا ترهقى ذنبا

---

(١) الحين الهلاك

ورجا مصالحة فكان لكم   سلما وكنت ترينه حربا
ياأيها المصفى مودته   من لايراك مساميأ خطبا(١)
لا تجعلن أحداً عليك إذا   أحببته وهويته ربا
وصل الحبيب إذا شغفت به   واطو الزيارة دونه غبا
فلذاك أحسن من مواصلة   ليست تزيدك عنده قربا
لابل يملك عند دعوته   فيقول هاه (٢) وطالما لبى

فقال لها : جعلت فداك ، إن القلب إذا هوى نطق اللسان بما يهوى ، فتزوجها فولدت له ابنين . .

وذكروا أن عمر تاب على حدود الأربعين ، ونذر ائن قال بيتا ليعتقن به رقبة ، ثم انصرف إلى بيته حزيناً ، وأدركت جارية له ما يجول بنفسه من أسف على تلك التوبة ومنازعة إلى العودة إلى ما كان فيه ، فقالت له : إن لك لأمراً ، وإنك لتريد أن تقول شعراً ، فاندفع يقول، وقد تقدم بعض هذا الشعر :

تقول وليدتي لما رأتني   طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شوقا   وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت أنك ذو عزاء   إذا ماشئت فارقت القرينا
بربك هل أتاك لها رسول   فشاقك أم بعثت لها خدينا ؟
فقلت شكا إلى أخ محب   كبعض زماننا إذ تعلمينا
فقص على ما يلقى بهند   فوافق بعض ما قد تعرفينا
وذو القلب المصاب وإن تعزى   مشوق حين يلقى العاشقينا
وكم من خلة أعرضت عنها   من أجلكم وكنت بها ضنينا
أردت فراقها وصبرت عنها   ولو جن الفؤاد بها جنونا

ثم دعا بتسعة من عبيده فأعتقهم . .

(١) الخطب : الخاطب   (٢) هاه : كلمة وعيد .

آراء الأدباء والنقاد فى شعر عمر

أجتمع عمر وكثير وجميل بباب عبد الملك بن مروان ، فأنشدوا الخليفة شعرا من أرق الغزل فأعطى كل واحد ألفين وأعطى عمر عشرة آلاف ونوه بشعره(١)..
ويقول حماد فى شعر عمر: (٢) ذاك الفستق المقشر الذى لايشبع منه . . ويروى ذلك عن الأصمعى(٣)

ويقول جرير فى عمر : مازال يهذى حتى قال الشعر (٤) . . ويشبه العباس بن الأحنف بعمر (٥)

ويقول جميل فى شعر عمر . هذا والله الذى طلبته الشعراء فأخطأته وتعللوا بوصف الديار ونعت الأطلال (٦)

ويقول ابن أبى عتيق لرجل يفضل الحارث بن خالد على عمر بن أبى ربيعة : بعض قولك يابن أبى أخى . فلشعر ابن أبى ربيعة لوطة بالقلب وعلق بالنفس ودرك للحاجة ليس لشعر ، وماعصى الله بشعر أكثر مما عصى بشعر عمر . خذ عنى ماأصف لك : أشعر قريش من رق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه ومتن حشوه وتعطفت حواشيه وأنارت معانيه وأبان عن صاحبه (٧)

وقال نصيب : عمر أوصفنا لربات الحجال . . وقال سليمان بن عبد الملك لعمر : مايمنعك من مدحنا ؟ قال : أنا لا أمدح الرجال إنما أمدح النساء (٨)
وقال الفرزدق فى شعر عمر . هذا الذى كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ، ووقع هذا عليه (٩)

---

(١) ٦٦ و ٦٧ ذيل الأمالى . (٢) ٣٨٠ ج ٣ العقد .
(٣) ٨ و ٩ ج ٤ العقد . (٤) ٨ و ٩ ج ٤ العقد
(٥) ٨٣ ج ٤ العقد . وقال أبو نواس فى العباس . هو أرق من الوهم وأحسن من الفهم (المرجع) . . ولعلى بن المنجم رسالة فى تفضيل العباس على العتابى
(٨٥ - ٨٧ ج ٤ زهر الآداب) (٦) ٢٦٤ و ٢٦٥ ج ٢ زهر الآداب .
(٧) ١٥ ج ٢ الأمالى .
(٨) ١ صـ ٢٣ الأغانى (٩) ١ صـ ٣٤ الأغانى

وقال الأصمعى : عمر حجة فى العربية (١)

وقال ابن أبى عتيق لعمر : أنت لم تنسب بالنساء وإنما تنسب بنفسك (٢)

وقال الفرزدق لعمر : أنت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس ، لاتحسن والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا النسيب ولا أن يرقوا مثل هذه الرقية (٣)

وأنشد جرير قول ابن أبى ربيعة :

سائلا الربع بالبلى وقولا هجت شوقا لى الغداة طويلا

إلى آخر الأبيات ، فقال : هذا الذى كنا ندور عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشى (٤)

وقال مصعب : إن لشعر عمر لوقعا فى القلب ومخالطة للنفس ليسا لغيره، لو كان شعر يسحر لكان شعره سحرا (٥)

وقال الزبير : أدركت مشيخة من قريش لايزنون بابن أبى ربيعة شاعرا من أهل دهره فى النسيب (٦)

واجتمع عمر وكثير ونصيب والأحوص فأفاضوا فى ذكر الشعراء، فأقبل كثير على عمر فقال له أنت تنعت المرأة فتشبب بها ، ثم تدعها وتنسب بنفسك ، أخبرنى عن قولك :

قالت : تصدى له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت فى خفر

قالت لها : قد غمزته فأبى ثم اسبطرت(٧) تشتد فى أثرى

وقولها والدموع تسبقها لنفسدن الطواف فى عمر

أتراك لو وصفت بهذا الشعر هرة أهلك ألم تكن قد قبحت وأسأت لها ، وقات الهجرة ! إنما توصف الحرة بالحياء والاباء والبخل والامتناع ، كما قال هذا ، وأشار إلى الأحوص :

أدور ولولا أن أرى أم جعفر (٨) بأبياتكم مادرت حيث أدور

وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى إذا لم يزر لابد أن سيزور

لقد منعت معروفها أم جعفر وإنى إلى معروفها لفقير

---

(١) ١ - ٣٥ الأغانى (٢) ١ - ٥١ الأغانى (٣) ١ - ٦٤ الأغانى

(٤) ١ - ٤٥ الأغانى (٥) ١ - ٤٦ الأغانى (٦) ١ - ٥٠ الأغانى

(٧) اسبطرت : أسرعت .

(٨) أم جعفر : امرة من الأنصار كان يشبب بها الأحوص .

فدخلت الأحوص الأبهة ، وعرفت الخيلاء فيه ، فلما عرف كثير ذلك منه قال له : أبطل آخرك أولك ، أخبرني عن قولك :

فان تصلى أصلك وإن تعودى لهجر بعد وصلك لا أبالى
ولا ألفى كمن إن سيم صرما تعرض كى يرد إلى الوصال

أما والله لو كنت فحلا لباليت ، ولو كسرت أنفك ! ألا قلت كما قال هذا : الأسود - وأشار إلى نصيب :

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل : إن تملينا فما ملك القلب

فانكسر الأحوص ، ودخل نصيبا الأبهة ، فلما فهم ذلك منه قال : وأنت يا أسود أخبرني عن قولك :

أهيم بدعد ماحييت وإن أمت فواكبدى من ذا يهيم بها بعدى

أهمك من يشبب بها بعدك ؟ فقال نصيب « استوى القرق (١) » .

قال سائب : فلما أمسك كثير ، أقبل عليه عمر فقال : قد أنصتنا لك فاستمع . أخبرني عن قولك لنفسك وتخيرك لمن تحب حيث تقول :

ألا ليتنا ياعز من غير ريبة بعيران نرعى فى الخلا ونعزب
كلانا به عر (٢) فمن يرنا يقل على حسنها جرباء تعدى وأجرب
إذا ماوردنا منهلا صاح أهله علينا ، فما ننفك نرمى ونضرب
وددت ، وبيت الله ، أنك بكرة هجان (٣) وأنى مصعب (٤) ثم نهرب
نكون بعيرى ذى غنى فيضيعنا فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

ويلك ! تمنيت لها ولنفسك الرق والجرب والرمى والطرد والمسخ ، فأى مكروه لم تتمن لها ولنفسك ؟ ولقد أصابها منك قول الأول : « معاداة عاقل خير من مودة أحمق » ، فجعل يختلج جسد كثير كله ! ثم أقبل عليه الأحوص فقال : أخبرني عن قولك :

---

(١) القرق : نوع من اللعب ، ومعنى الجملة : استوينا فلم يقمر واحد منا صاحبه ، وفى الكامل « القرقة » ، وهى لعبة على خطوط فاستواؤها انقضاؤها .
(٢) العر : الجرب (٣) الهجان من الابل : البيض .
(٤) المصعب : الفحل .

وقلن ـ وقد يكذبن ـ فيك تعفف ... وشؤم إذا ما لم تطع صاح عقه
وأعييتنا لا راضياً بكرامة ... ولا تاركا شكوى الذى أنت صادقه
فأدركت صفو الود منا فلتنا ... وليس لنا ذنب ، فنحن مواذقه(١)
وألفيتنا سلماً فصدعت بيننا ... كما صدعت بين الأديم والقلائه(٢)

والله لو احتفل عليك هاجيك مازاد على مابؤت به على نفسك . فخفق كثير كما يخفق الطائر ، ثم أقبل عليه نصيب فقال : أقبل على ، فقد تمنيت معرفة غائب عندى عله فيك حيث تقول :

وددت ، وما تغنى الودادة ، أننى ... بما فى ضمير الحاجبية عالم
فإن كان خيراً سرنى وعلمته ... وإن كان شراً لم تلمنى اللوائم

انظر فى مرآتك ، واعرف صورة وجهك تعرف ما عندها ، فاضطرب اضطراب العصفور ، وقام القوم يضحكون .

وكان عمر يعارض جميلا ، إذا قال هذا قصيدة قال هذا مثلها ، فيقال إن عمر فى الرائية والعينية أشعر من جميل وإن جميلا أشعر منه فى اللامية ويقول أبو الفرج: وأنا لا أقول هذا لأن قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة فيها طوالع النجد وخوالد المهد ، وقصيدة عمر ملساء المتون مستوية الأبيات آخذ بعضها بأذناب بعض (٣)

واستنشد نصيب رجلا من الكوفة فأنشده قول جميل :

إنى لأحفظ غيبكم ويسرنى ... لو تعلمين بصالح أن تذكرى

فقال نصيب : أمسك لله دره ، ما قال أحد إلا دون ما قال لقد نحت للناس مثالا يحتذون عليه ، ثم قال : أما أصدقنا فى شعره فجميل ، وأما أوصفنا لربات الحجال فكثير ، وأما أكذبنا فعمر ، وأما أنا فأقول ما أعرف (٤)

واجتمع(٥) عمر بن أبى ربيعة ، وجميل بن عبد الله العذرى ، فأنشد جميل قصيدته التى يقول فيها :

لقد فرح الواشون أن صرمت(٦) حبلى ... بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
يقولون : مهلا ياجميل ، وإننى ... لأقسم مالى عن بثينة من مهل

---

(١) مذق الود : لم يخلصه (٢) الخالق : صانع الأديم :
(٣) ٢ / ١٢٩ الأغانى (٤) ٢ / ١٤١ الأغانى .
(٥) الأغانى ص ١١٥ ج ١ ، زهر الآداب ص ٢٠ ج ٢
(٦) صرمت حبلى : قطعت الصلة بى

خليلى فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلى ؟
أبيت مع الهلاك(١) ضيفاً لأهلها وأهلى قريب موسعون ذوو فضل
أفق أيها القلب اللجوج عن الجهل ودع عنك جملا(٢)، لا سبيل إلى جمل
فلو تركت عقلى معى ماطلبتها ولكن طلابيها(٣) لما فات من عقلى

حتى أتى على آخرها . ثم قال لعمر : ياأبا الخطاب ، هل قلت فى هذا الروى شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : فأنشدنيه ، فأنشده :

جرى ناصح بالود بينى وبينها فقربنى يوم الحصاب(٤) إلى قتلى
فلما تواقفنا عرفت الذى بها كمثل الذى بى حذوك النعل بالنعل
فقلن لها : هذا عشاء وأهلنا قريب ، ألما تسأمى مركب البغل ؟
فقالت : فما شئتن ؟ قلن لها : انزلى فللأرض خير من وقوف على رحل
نجوم درارى تكنفن صورة من البدر ، وافت غير هوج(٥) ولا عجل
فسلمت واستأنست خيفة أن يرى عدو مقامى أو يرى كاشح فعلى
فقالت ـ وأرخت جانب الستر : إنما معى فتكلم غير ذى رقبة أهلى
فقلت لها : ما بى لهم من ترقب ولكن سرى ليس يحمله مثلى
فلما اقتصرنا دونهن حديثنا وهن طبيبات بحاجة ذى الشكل(٦)
عرفن الذى تهوى فقلن : ائذنى لنا نطف ساعة فى برد ليل وفى سهل
فقالت : فلا تلبثن ، قلن : تحدثى أتيناك ، وانسبن انسياب مها الرمل
فقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما أتين الذى يأتين من ذاك من أجلى

فقال جميل : هيهات ياأبا الخطاب ! لاأقول والله مثل هذا سجيس الليالى(٧)، والله ماخاطب النساء مخاطبتك أحد، وقام مشمرا .

وذكر(٨) شعر الحارث بن خالد وشعر عمر بن أبى ربيعة عند ابن أبى عتيق

---

(١) الهلاك : الصعاليك الذين ينتابون الناس ابتغاء معروفهم (٢) جمل : علم على امرأة (٣) طلابيها : طلبى إياها (٤) الحصاب كالمحصب : موضع رمى الجمار .
(٥) هوج : جمع هوجاء ، وهى المتعجلة فى السير كأن بها هوجا وحمقا
(٦) الشكل : دل المرأة وغزلها (٧) أى لاأقول مثل هذا أبدا ، وهى كلمة تستعمل للتأبيد .
(٨) الأغانى ص ١٠٨ ج ١ ، الأمالى ج ٢ ص ١٧

فى مجلس رجل من ولد خالد بن العاص بن هشام ، فقال : صاحبنا - يعنى الحارث ابن خالد - أشعرهما .

فقال له ابن أبى عتيق : بعض قولك يابن أخى ، لشعر عمر بن أبى ربيعة نوطة(١) فى القلب ، وعلوق بالنفس، ودرك للحاجة ليست لشعر .

فقال المفضل للحارث: أليس صاحبنا الذى يقول :

إنى وما نحروا غداة منى عند الجمار يئودها العقل(٢)
لو بدلت أعلى مساكنها سفلا ، وأصبح سفلها يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بها فيرده الإقواء والمحل(٣)
لعرفت مغناها بما احتملت منى الضلوع لأهلها قبل

فقال له ابن أبى عتيق : يابن أخى ، استر على نفسك ، واكتم على صاحبك ، ولا تشاهد المحافل بمثل هذا ، أما تطير الحارث عليها حين قلب ربعها ، فجعل عاليه سافله ، مابقى إلا أن يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارة من سجيل(٤) ، ابن أبى ربيعة كان أحسن صحبة للربع من صاحبك ، وأجل مخاطبة حيث يقول :

سائلا الربع بالبلى(٥) وقولا هجت شوقاً لى الغداة طويلا
أين حى حلوك إذ أنت محفو ف بهم آهل أراك جميلا ؟
قال : ساروا فأمعنوا واستقلوا(٦) وبرغمى لو استطعت سبيلا
سئمونا وما سئمنا مقاماً وأحبوا دماثة وسهولا

فانصرف الرجل خجلا مذعناً .

وحدث(٧) بعض الرواة قال:

دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق ، وإنه لمعتمد على يدى ، إذ مررنا بسعيد بن المسيب(٨) فى مجلسه ، فسلمنا عليه ، فرد سلامنا

---

(١) النوطة . التعلق (٢) يئودها . يثقلها ، والعقل . الحبس

(٣) أقوت الدار : أقفرت وخلت من أهلها ، والمحل . الجدب .

(٤) السجيل . الطين المتحجر (٥) البلى . تل قصير (٦) استقلوا . واصلوا السير وجدوا فى الارتحال .

(٧) الأغانى ص ٩٢ ج ٥ ، وص ١١٣ ج ١ ، عصر المأمون ص ٨٤ ج ٢

(٨) كان سعيد بن المسيب سيد التابعين من الطراز الأول ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع والعبادة ، وله فى كل ذلك أخبار مأثورة ، توفى سنة ١٠١هـ

ثم قال لنوفل : ياأبا سعيد ، من أشعر ؟ أصاحبنا أم صاحبكم ؟ - يعنى عبيد الله ابن قيس الرقيات أو عمر بن أبى ربيعة - فقال نوفل : حين يقولان ماذا ؟ فقال : حين يقول صاحبنا :

خليلى مابال المطى (١) كأنما ... نراها على الأدبار بالقوم تنكص(٢)

وقد أبعد الحادى سراهن وانتحى ... بهن فما يألو عجول مقلص(٣)

وقد قطعت أعناقهن صبابة ... فأنفسنا مما تكلف شخص

يزدن بنا قربا فيزداد شوقنا ... إذا زاد طول العهد،والبعد ينقص

ويقول صاحبكم ماشئت ، فقال له نوفل : صاحبكم أشهر بالقول فى الغزل - أمتع الله بك - وصاحبنا أكثر أفانين شعر .

قال : صدقت ، فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيد يستغفر الله ويعقد بيده ، ويعده بالخمس كلها حتى وفى مائة . . .

العـــرجى

هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان من بنى أمية ، وأمه آمنة بنت سعيد بن عثمان ، وقيل له العرجى لأنه كان يسكن عرج الطائف ، وكان من شعراء قريش وممن شهر بالغزل منها ، ونحا نحو عمر بن أبى ربيعة فى ذلك وتشبه به فأجاد ، وكان مشغوفا باللهو والصيد ، حريصا عليهما ، شبب بجيداء وهى أم محمد بن هشام ابن إسماعيل المخزومى ، وكان ينسب بها ليفضح ابنها لامحبة كانت بينهما ، فكان ذلك سبب حبس محمد إياه وضربه له حتى مات فى السجن ، فقال فى حبسه :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

وصبر عند معترك المنايا ... وقد شرعت أسنتهم بنحرى

أجرر فى المجامع كل يوم ... فيالله مظلمتى وقسرى

كأنى لم أكن فيهم وسيطا ... ولم تك نسبتى فى آل عمرو

---

(١) المطى : جمع مطية (٢) تنكص : ترجع وتولى وتحجم (٣) مقلص : مشمر جاد فى السير .

ومن شعره الغزلى :

حور بعثن رسولا فى ملاطفة ... ثقفا إذا غفل النساءة الوهم (١)
إلى أن إيتنا هدأ (٢) إذا غفلت ... أحراسنا ، وافتضحنا إنهم علموا
فجئت أمشى على هول أجشمه ... تجشم المرء هولا فى الهوى كرم
إذا تخوفت من شىء أقول له ... قد جف فامض بشىء قدر القلم
أمشى كما حركت ريح يمانية ... غصنا من البان رطبا طله (٣) الديم
فى حلة من طراز السوس (٤) مشربة ... تعفو بهدابها ما أثرت قدم
خلت سبيلى كما خليت ذا عذر (٥) ... إذا رأته عتاق الخيل تنتحم
وهن فى مجلس خال وليس له ... عين عليهن أخشاها ولا قدم
حتى جلست إزاء الباب مكتتما ... وطالب الحاج تحت الليل مكتتم
أبدين لى أعينا نجلا كما نظرت ... أدم هجان أتاها مصعب قطم (٦)
قالت كلابة : من هذا ؟ فقلت لها ... أنا الذى أنت من أعدائه زعموا
أنا امرؤ جد بى حب فأحرضنى (٧) ... حتى بليت وحتى شفنى السقم
لا تكلينى إلى قوم لو انهم ... من بغضنا أطعموا لحمى إذا طعموا
وأنعمى نعمة تجزى بأحسنها ... فطالما مسنى من أهلك النعم
ستر المحبين فى الدنيا لعلهم ... أن يحدثوا توبة فيها إذا أثموا
هذى يمينى رهن بالوفاء لكم ... فارضى بها ولأنف الكاشح الرغم (٨)
قالت رضيت ولكن جئت فى قمر ... هلا تلبثت حتى تدخل الظلم ؟
فبت أسقى بأكواس أعل بها ... من بارد طاب منها الطعم والنسم

(١) الوهم من وهم كوجل : غلط . والنساءة مبالغة من النسيان . والثقف : الخفيف السريع . (٢) الهدء : الهزيع من الليل ، وايتنا هدأ أى بعد أن يهدأ الناس . (٣) أمطره ، والديم جمع ديمة ، وهى مطر يدوم فى سكون به رعد وبرق

(٤) السوس : كورة بالأهواز من بلاد فارس . والمشرب من اللون : المشبع . والهداب : خمل الثوب . وتعفو : تزيل . (٥) العذر جمع عذار وهو من اللجام ماسال على خد الفرس . وتنتحم من النحيم وهو الزحير والتنحنح .

(٦) المصعب : الفحل . والقطم : المشتهى للضراب . والهجان من الابل ، البيض الكرام . (٧) أفسدنى . (٨) الكاشح : مضمر العداوة . والرغم ، التراب ، وهذا كناية عن الاذلال .

حتى بدا ساطع للفجر تحسبه ... سنا الحريق بليل حين يضطرم
ودعتهن ولا شيء يراجعني ... إلا البنان وإلا الأعين السجم
إذا أردن كلامي عنده اعترضت ... من دونه عبرات فانثني الكلم
تكاد إذ رمن نهضاً للقيام معي ... أعجازهن من الأنصاف تنقصم

وحدث مصعب بن عبد الله عن أبيه قال : أتاني أبو السائب(١) المخزومي في ليلة بعد مارقد السامر فأشرفت عليه ، وقلت : هل من حاجة ؟ فقال : سهرت الليلة فذكرت أخاً لي أستمتع به ، فلم أجد سواك ، فلو مضينا إلى العقوق ، فتناشدنا وتحدثنا ! قلت : نعم ! فنزلت فما زال في حديث إلى أن أنشدته في بعض ذلك بيتين للعرجي :

باتا بأنعم ليلة حتى بدا ... صبح تلوح كالأغر الأشقر
فتلازما عند الفراق صبابة ... أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فقال : أعده علي ! فأعدته ! فقال : أحسن والله . امرأته طالق إن نطق بحرف غيره حتى يرجع إلى بيته .

قال : فمضينا فلقينا عبد الله بن حسن ، فلما صرنا إليه وقف بنا ، وهو منصرف يريد المدينة ، فسلم ، ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال له :

فتلازما عند الفراق صبابة ... أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إلي وقال : متى أنكرت عقل صاحبك ؟ قلت : منذ الليلة ! قال : إنا لله ! أي كهل أصيبت به قريش !

ثم مضينا فلقينا محمد بن عمران التيمي ، قاضي المدينة ، يريد مالا على بغلة له ، وكان أثقل الناس جسما ، ومعه غلام له على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة ، فسلم عليه ، ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عند الفراق صبابة ... أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إلي وقال : متى أنكرت عقل صاحبك ؟ قلت : آنفا ! فتركني

---

(١) اسمه عبد الله ، وكان أشراف المدينة يقدمونه ويعظمونه لشرف منصبه وحلاوة طربه ، وغزارة أدبه ، وجده يكنى أبا السائب أيضا ، وكان خليطا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الاسلام فكان النبي إذا ذكره يقول : نعم الخليط كان أبو السائب لايداري ولا يماري .

وانصرف ، فقلت . أفتدعه هكذا ! ؟ ما آمن أن يتهور(١) فى بعض آبار العقيق ، قال . صدقت ! ياغلام ؛ هات قيد البغلة ، فوضعه فى رجله ، وهو ينشد البيت ويشير بيده إليه ، يرى أنه يفهم عنه قصته ، ثم نزل الشيخ عن البغلة . وقال : ياغلام ، احمله على بغلتى وألحقه بأهله .

فلما كان بحيث علمت أنه قد فاته ، أخبرته الخبر فضحك وقال . قبحك الله ماجنا ، فضحت شيخا من قريش وعذبتنى وأنا لاأقدر أن أتحرك .

ومن شعر العرجى :

أين ماقلت مت قبلك أينا ... أين تصديق ماوعدت إلينا
فلقد خفت منك أن تصرى الحبـ ... ـل وأن تجمعى مع الصرم بينا
ماتقولين فى فتى هام إذ ها ... م بمن لاينال جهلا وحينا
فاجعلى بيننا وبينك عدلا ... لاتحيفى ولا يحيف علينا
واعلمى أن فى القضاء شهودا ... أو يمينا فأحضرى شاهدينا
خلتى لو قدرت منك على ما ... قلت لى فى الخلاء حين التقينا

وعلى الجملة فان العرجى شاعر مطبوع مجيدفىالغزل ويشبه فى غزله ومقصده بعمر بن أبى ربيعة وكان يهوى جيداء أم ابراهيم بن هشام المخزومى ولها يقول :

أبصرت وجهاً لها فى جيده تلع ... تحت العقود وفى القرطين تشهير
وجه تحير فيه الماء فى بشر ... صاف له حين أبدته لنا نور

ولها يقول :

إلى جيداء قد بعثوا رسولا ... ليخبرها فلا صحب الرسول
كأن العام ليس بعام حج ... تغيرت المواسم والشكول

ولها يقول :

عوجى علينا ربة الهودج ... إنك إن لاتفعلى تحرجى
فالحج إن حجت وماذا منى ... وأهله إن هى لم تحجج ؟
فما استطاعت غير أن أومأت ... نحوى بعينى شادن أدعج

وقال أيضاً :

باتا بأنعم ليلة حتى بدا ... صبح يلوح كالأغر الأشقر
فتلازما عند الفراق صبابة ... أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

---

(١) يتهور : يسقط .

فلما شاع نسيبه بها قبض عليه ابنها محمد عند ولايته الحجاز بسبب طلبة عليه ، فضربه بالسياط وألقى الزيت على رأسه ، وأوقفه فى الشمس حتى غشى عليه وسجنه بضع سنين حتى مات فى سجنه ، فقال فى السجن :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
وخلونى ومعترك المنايا وقد شرعت أسنتهم لنحرى
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك نسبتى فى آل عمرو
أجرر فى المجامع كل يوم فيالله مظلتى وقسرى
عسى الملك المجيب لمن دعاه ينجينى ويعلم كيف شكرى
فأجزى بالكرامة أهل ودى وأجزى بالعداوة أهل وترى

فلما أفضت الخلافة إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك قبض على محمد بن هشام وأخيه إبراهيم ، ودعا لهما بالسياط فقال له محمد أسألك بالقرابة؟ قال وأى قرابة بينى وبينك؟ قال فأسألك بصهر عبد الملك. فقال لم تحفظه، فقال يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ نهى أن يضرب قرشى إلا فى حد فقال ففى حد أضربك وقود. قال وما ذاك؟ قال أنت أول من سن ذلك على العرجى وهو ابن عمى وابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان فما رعيت جده ولا نسبه بهشام من قبل أمه، اضربهما يا غلام فضربهما ضرباً مبرحا وأثقلا بالحديد ووجه بهما إلى يوسف بن عمر وأمره بتعذيبهما فضربهما حتى ماتا..

وغنى اسحق الموصلى الرشيد قوله : أضاعونى وأى فتى أضاعوا ، فسأل عن سبب هذا الشعر فأخبره بحديث العرجى، قال اسحق فرأيته يتخبط فلما أخبرته بما فعل بابنى هشام جعل وجهه يسفر وغيظه يسكن ، ثم قال يا اسحق لولا ما حدثتنى به من فعل الوليد لما تركت أحداً من أمثال بنى مخزوم إلا قتلته بالعرجى. ومن جيد شعر العرجى :

فهل أنت آت أهل ليلى فناظر لذنب جفونى أم جفونى تجرما ؟
فان يك من ذنب ففى ذاك حكمهم وحسب امرىء فى حقه أن يحكما

ومن جيده :

أخبرت أنك قلت نقتله لاتفعلين فدتكم نفسى
والله لا آتى لكم سخطا حتى أغيب فى ثرى رمسى
والله لاأنسى تطوفها تهتز بين كواعب خمس
كالبدر صورتها إذ أسفرت وإذا تنقب فهى كالشمس

ومنه :

حور بعثن رسولا فى ملاطفة ثبتا إذا أسقط النساءة الوهم
فجئت أمشى على هول أجشمه تجشم المرء هولا فى الهوى كرم
أمشى كما حركت ريح يمانية غصنا من البان رطبا طله ديم
حتى جلست إزاء البيت مكتتما وطالب الحاج تحت الليل يكتتم
فبت أسقى با كواس أعل بها من بارد طاب منه الطعم والنسم

وفى معنى قوله أمشى كما حركت البيتين يقول دعبل :

قالت لقد أعييتنا حجة فات إذا ماهجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى ليلة لاناه ولا آمر

وقال الواثق :

قالت إذا الليل دجا فأتنا فجئتها حين دجا الليل

ومن ظرف العرجى أنه وعد هوى له أن تزوره فى متنزه فجاءته على أتان ومعها جارية لها ، وجاء العرجى على عير ومعه غلام فواقعها العرجى ثم خرج فرأى الغلام يواقع الجارية والعير على الاتان، فلما نظر الحال قال :هذا يوم غاب عذاله ..
وقد أخذ كثير من الشعراء بيت العرجى ويسمى أخذ مثل شطر بيت العرجى التضمين ، والتضمين يكون فى بيت وفى شطر بيت ، والشعراء تولع به كثيراً ، وهو من صنعة البديع ، فمن الثانى قول الأخطل :

ولقد سما للحضرمى فلم تقل بعد الونى . لكن تضايق مقدمى

ومثله قول الآخر :

وجزت على باب الأمير كأننى قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

ومن تضمين بيت بكماله قول الحسن بن هانىء :

فإنى عجبت وفى الأيام معتبر والدهر يأتى بألوان الأعاجيب
من صاحب كان دنياى وآخرتى عدا على جهاراً عدوة الذيب
قد كان لى مثل لو كنت أعقله من رأى غالب أمر غير مغلوب
لاتمدحن امرأ حتى تجربه ولا تذمنه من غير تجريب

فضمن هذا البيت.. وقال ابن حجاج :

قد قلت لما أن رجعت موليا ومعى مزامير من الكتاب
نحن الذين يقال عنا كلنا فل العصا وطريدة الحجاب
قوم إذا قصدوا الملوك لمطلب نتفت شوار بهم على الأبواب

وقال ابن رشيق : سألني بعض أصحابنا أن أضمن له قول الشاعر :

فإن فخرت بآباء لهم شرف   قلنا صدقت ولكن بئس ماولدوا

ولا أزيد على بيت واحد ، فقلت :

أصبحت من جملة الاشراف إن ذكروا   كواحد الآس لايزكو له عدد

وعلى بيت العرجي : « أضاعوني وأى فتى أضاعوا » حديث النضر بن شميل ، قال كنت أدخل على المأمون فى سمره فدخلت ذات ليلة وعلى أطمار أخلاق فقال يا نضر ماهذا التقشف ؟ تدخل على أمير المؤمنين فى هذه الخلقان فقلت أنا شيخ ضعيف ، وحر مرو شديد فأتبرد بهذه الخلقان ، قال لا ولكنك قشف فيحمل منك هذا على التقشف ، ثم أجرينا الحديث فقال حدثنا هشيم عن بشر عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها وكمالها كان فيها سداد من عوز ، فأورده بفتح السين ، قلت يا أمير المؤمنين : حدثنا عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن الحسن عن على بن أبي طالب رضوان الله عليهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها وكمالها كان فيها سداد من عوز ، وكان متكئاً فاستوى جالساً ، وقال كيف قلت يا نضر : سداد ؟ قلت سداد لأن السداد هنا لحن ، قال أو تلحنني ؟ قلت إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، فقال فما الفرق بين السداد والسداد ؟ قلت السداد القصد فى الدين والسبيل ، والسداد بالكسر البلغة فى الشيء وكل ماسددت به شيأ فهو سداد ، قال أو تعرف العرب ذلك ؟ قلت نعم هذا العرجي من ولد عثمان يقول :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا   ليوم كريهة وسداد ثغر

ثم أطرق ملياً وقال : قبح الله من لاأدب له ، ثم تجارينا الحديث فقال : كيف روايتك للشعر ؟ قلت قد رويت الكثير منه ، قال : فأنشدني أحسن ماقالته العرب فى الحلم فأنشدته :

إذا كان دوني من بليت بجهله   أبيت لنفسى أن أقابل بالجهل
وإن كان مثلى فى محل من العلا   هويت إذا حلماً وصفحاً عن المثل
وإن كنت أدنى منه فى الفضل والحجا   رأيت له حق التقدم والفضل

فقال ماأحسن ماقال ، فأنشدني أحسن ماقالته العرب فى الحزم فأنشدته :

على كل حال فاجعل الحزم عدة   لما أنت باغيه وعونا على الدهر
فان نلت أمراً نلته عن عزيمة   وإن قصرت عنه الحقوق فمن عذر

قال: فما أحسن ما قال ، فانشدنى أحسن ماقالته العرب فى إصلاح العدو حتى يكون صديقاً فأنشدته :

وذى غيلة سالمته فقهرته ... فأوقرته منى بعبء التحمل
ومن لايدافع سيئات عدوه ... باحسانه لم يأخذ الطول من عل
ولم أر فى الأشياء أسرع مهلكا ... لضغن قديم من وداد معجل

فقال : ماأحسن ماقال ، فانشدنى أحسن ماقالته العرب فى السكوت فانشدته :

انى ليهجرنى الصديق تجنباً ... فأريه أن لهجره أسباباً
وأراه إن عاتبته أغريته ... فيكون ترك للعتاب عتابا
وإذا بليت بجاهل متحكم ... يجد المحال من الأمور صوابا
أوليته منى السكوت وربما ... كان السكوت عن الجواب جوابا

فقال ماأحسن ماقال ، ثم قال: مامالك يا نضر ؟قلت أريضة بمرو الرود أتصابها وأتمززها ، قال أفلا نفيدك مالا معها ؟ قلت ان رأى ذلك أمير المؤمنين فانى لذلك محتاج ، فاخذ القرطاس وكتب وأنا لاأدرى مايكتب ،ثم قال كيف تأمر اذا أردت أن تترب الكتاب قلت ياغلام أترب الكتاب، قال فهو ماذا ؟ قلت مترب قال فمن السحاة قلت ياغلام اسح الكتاب ، قال فَهو ماذا قلت مسحى قال فمن الطين قلت ياغلام طن الكتاب قال فهو ماذا قلت مطين ومطان ، فقال هذه أحسن من الأولى ثم قال ياغلام اتربه واسحه وطنه، ثم صلى بنا العشاء ثم قال لغلامه امض معه الى الفضل ابن سهل بهذا الكتاب فلما قرأه قال يم استأهلت أن يأمر لك أمير المؤمنين بخمسين ألف درهم وما سبب ذلك؟ فأخبرته الحديث على جهته، فقال لحنت أمير المؤمنين؟فقلت كلا إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين ألفاظه وقد تتبع ألفاظ الفقهاء ورواة الأخبار فعجل لى مافى الكتاب وأمرلى من عنده بأربعين ألف درهم ، فانصرفت بتسعين ألف درهم بحرف استفاده منى .. وهذا الخبر جاء فى أخبار النحويين وذكره الحريرى فى درة الغواص باخصر مما ذكرناه ، ثم قال باثر الخبر : وقد أذكرنى فى هذا المثل أبياتا أنشدنيها أحد أشياخى رحمهم الله لابن أبى الهيدام :

لى صـديق هو عندى عوز ... من سداد ، لاسداد من عوز
وجهه يذكرنى دار البلى ... كلما أقبل نحـوى وضمز
وإذا جالسنى جرعنى ... غصص المـوت بكرب وعلز

يصف الود إذا شاهدني ... وإذا غاب وشى بي وهمز
كحمار السوء يبدي مرحا ... فاذا سيق إلى الحمل غمز
ليتني أعطيت منه بدلا ... بنصيبي شر أولاد المعز

وكان لأبي حنيفة رحمه الله جار إسكاف بالكوفة يعمل نهاره جمع فاذا أجنه الليل رجع إلى منزله بالخمر وبلحم أو سمك، فيطبخ اللحم أو يشوي السمك، حتى إذا دب الشراب فيه رفع عقيرته ينشد:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر ؟

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يغلبه النوم، وكان أبو حنيفة رحمه الله يصلي الليل كله ويسمع جلبته وإنشاده، ففقد صوته ليالي فسأل عنه فقيل له أخذه العسس منذ ثلاث ليال وهو محبوس، فصلى الفجر وركب بغلته ومشى فاستأذن على الأمير فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الأمير مجلسه، وقال له ما حاجتك ؟ فقال لي جار إسكاف أخذه العسس منذ ثلاث ليال فتأمر بتخليته، فقال نعم وكل من أخذ من تلك الليلة إلى يومنا هذا ثم أمر بتخليتهم أجمعين فركب أبو حنيفة وتبعه جاره الإسكاف فلما أوصله داره قال أبو حنيفة أترانا يافتى أضعناك ؟ قال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن صحبة الجوار ورعاية الحق، ولله علي أن لا أشرب الخمر أبدا فتاب ولم يعد إلى ما كان عليه..

نصيب

المتوفى عام ١٠٠ هـ

هو نصيب بن رباح الأموي ، مولى عبد العزيز بن مروان ، كان شاعرا فحلا فصيحا مقدما في النسيب والمديح ولم يكن له حظ في الهجاء وكان عفيفا، وكان يقال إنه لم ينسب قط إلا بامرأته، وكان أهل المدينة يدعونه النصيب تفخيما له ويروون شعره، وكان كبير النفس مقدما عند الملوك بجيد مديحهم ومراثيهم

وقال نصيب (١): قلت الشعر وأنا شاب فأعجبنى قولى، فجعلت آتى مشيخة من بنى ضمرة ومشيخة (٢) من خزاعة فأنشدهم القصيدة من شعرى ثم أنسبها إلى بعض شعرائهم الماضين، فيقولون أحسن والله! هكذا يكون الكلام! وهكذا يكون الشعر

فلما سمعت ذلك منهم علمت أنى محسن، فأزمعوا وأزمعت الخروج إلى عبد العزيز ابن مروان، وهو يومئذ بمصر، فقلت لأختى أمامة، وكانت عاقلة جلدة: أى أخية إنى قد قلت شعراً، وأنا أريد عبد العزيز بن مروان وأرجو أن يعتقك الله به وأمك ومن كان مرقوقا (٣) من أهل قرابتى.

قالت إنا لله وإنا إليه راجعون! يا ابن أم، أتجمع عليك الخصلتان السواد وأن تكون ضحكة (٤) للناس! قلت فاسمعى فأنشدتها فسمعت فقالت بأبى أنت! أحسنت والله! فى هذا رجاء عظيم، فاخرج على بركة الله

فخرجت على قعود لى حتى قدمت المدينة فوجدت بها الفرزدق فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرجت إليه فقلت: أنشده وأستنشده وأعرض عليه شعرى فأنشدته فقال لى ويلك! أهذا شعرك الذى تطلب به الملوك! قلت نعم قال فلست فى شىء إن استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل فانفضخت (٥) عرقاً

فحصبنى رجل من قريش كان قريباً من الفرزدق وقد سمع إنشادى وسمع ما قال لى الفرزدق فأومأ إلى فقمت إليه فقال ويحك! أهذا شعرك الذى أنشدته الفرزدق قلت نعم فقال: فقد والله أصبت ولئن كان هذا الفرزدق شاعراً لقد حسدك، فإنا لنعرف محاسن الشعر فامض لوجهك ولا يكسرنك

فسرنى قوله وعلمت أنه قد صدقنى فيما قال فاعتزمت على المضى فمضيت!

فقدمت مصر وبها عبد العزيز بن مروان فحضرت بابه مع الناس فنحيت عن مجلس الوجوه، فكنت وراءهم، ورأيت رجلا جاء على بغلة حسن الشارة سهل المدخل يؤذن

---

(١) الأغانى ص ٣٢٥ ج١.. ونصيب بن رباح كان رقيقا لبعض العرب، ثم اشتراه عبد العزيز، وكان شاعرا فحلا مقدما فى النسيب والمديح، وكان عفيفا كبير النفس يجيد مدائح الملوك ومراثيهم.. وتوفى سنة ١٠٠ ﻫ (٢) المشيخة الشيوخ (٣) رق صار فى رق (٤) الضحكة من يضحك الناس منه

(٥) انفضخت عرقا: تدفقت عرقا

له إذا جاء، فلما انصرف إلى منزله انصرفت معه أماشي بغلته فلما رآني قال ألك حاجة. قلت نعم ! أنا رجل من أهل الحجاز شاعر وقد مدحت الأمير وخرجت إليه راجياً معروفه وقد ازدريت فطردت من الباب ونحيت عن الوجوه ،قال فأنشدني فأنشدته فأعجبه شعري ، فقال ويحك ! أهذا شعرك ؟ فاياك أن تنتحل ! فان الأمير راوية عالم بالشعر وعنده رواة فلا تفضحني ونفسك فقلت والله ماهو إلا شعري ، فقال ويحك ! فقل أبياتاً تذكر فيها حوف (١) مصر وفضلها على غيرها والقني بها غداً فغدوت عليه من غد فأنشدته قولي

سرى الهم تثنيني إليك طلائعه ... بمصر وبالحوف اعترتني روائعه
وبات وسادي ساعد قل لحمه ... عن العظم حتى كاد تبدو أشاجعه(٢)

قال : وذكرت فيها الغيث فقلت :

وكم دون ذاك العارض البارق الذي ... له اشتقت من وجه أسيل مدامعه
تمشي به أفناء (٣) بكر ومذحج ... وأفناء عمرو وهو خصب مرابعه
فكل مسيل من تهامة طيب ... دميث الربا تسقي البحار دوافعه(٤)
أعني على برق أريك وميضه ... تضيء دجنات الظلام لوامعه
إذا اكتحلت عينا محب بضوئه ... تجافت به حتى الصباح مضاجعه

فقال : انت والله شاعر ! احضر بالباب حتى أذكرك للأمير .

قال : فجلست على الباب ودخل . فما ظننت أنه أمكنه أن يذكرني حتى دعا بي ، فدخلت على عبد العزيز ، فسلمت فصعد في بصره وصوب . ثم قال . أنت شاعر ؟ ويلك ! قلت : نعم أيها الأمير ! قال : فأنشدني . فأنشدته فأعجبه شعري. وجاء الحاجب فقال : أيها الأمير هذا أيمن بن خريم الاسدي بالباب . قال : ائذن له . فدخل فاطمأن ، فقال له الأمير : يا أيمن كم ترى ثمن هذا العبد فنظر إلي، فقال : والله لنعم الغادي في أثر المخاض (٥) ، هذا أيها الأمير أرى ثمنه مائة دينار

---

(١) الحوف بمصر حوفان الشرقي والغربي ، وهما متصلان
(٢) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف (٣)أفناء بكر ومذحج : أخلاط الناس (٤) الدوافع : مسايل الماء (٥) المخاض الحوامل من النوق . وهو يريد : لنعم هذا العبد يرعى الابل

فقال : فإن له شعراً وفصاحة ! فقال لي أيمن : أتقول الشعر ؟ قلت : نعم ، قال : قيمته ثلاثون ديناراً ، قال : يا أيمن أرفعه وتخفضه أنت ؟ قال : لكونه أحمق أيها الأمير ، مالهذا وللشعر ؟ مثل هذا يقول الشعر أو يحسن شعراً ؟ فقال : أنشده يا نصيب فأنشدته .

فقال له عبد العزيز : كيف تسمع يا أيمن ، قال : هو أشعر أهل جلدته ، قال : هو والله أشعر منك ، قال : أمني أيها الأمير ؟ قال : إي والله منك ، قال : والله أيها الأمير إنك لملول طرف (١) ، قال : كذبت والله ما أنا كذلك ، ولو كنت كذلك ما صبرت عليك تنازعني التحية ، وتواكلني الطعام ، وتتكىء على وسائدي وفرشي ، وبك مابك — وكان بأيمن بياض

قال : ائذن لي أن أخرج إلى بشر بالعراق (٢) ، واحملني على البريد ، قال : قد أذنت لك ، وأمر به فحمل على البريد إلى بشر ، فقال فيه يمدحه ويعرض بأخيه عبد العزيز :

ركبت من المقطم في جمادى	إلى بشر بن مروان البريدا
ولو أعطاك بشر ألف ألف	رأى حقا عليه أن يزيدا
أمير المؤمنين أقم ببشر	عمود الحق إن له عمودا
ودع بشراً يقومهم ويحدث	لأهل الزيغ إسلاما جديدا
كأن التاج تاج بني هرقل	جلوه لأعظم الأيام عيدا
على ديباج خدي وجه بشر	إذا الألوان خالفت الخدودا (٣)

فأعطاه بشر مائة ألف درهم

ومما مدح به نصيب سليمان بن عبد الملك :

أقول لركب صادرين لقيتهم	قفا (٤) ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان إنني	لمعروفه من أهل ودان (٥) طالب
فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله	ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب
فقالوا عهدناه وكل عشية	بأبوابه من طالب العرف راكب
هو البدر والناس الكواكب حوله	ولا تشبه البدر المضيء الكواكب

---

(١) يقال رجل طرف : إذا كان لايثبت على عهد (٢) بشر بن مروان : أخو عبد العزيز بن مروان (٣) في قوله هذا يعرض بكلف كان بوجه عبد العزيز بن مروان (٤) أي وراء ذات أوشال والأوشال المياه القليلة واحدها وشل (٥) ودان =

وكان إذا قدم على هشام بن عبد الملك أخلى له مجلسه ، واستنشده مراثى بنى أمية . فاذا أنشده بكى وبكى معه ، وأنشده يوماً قصيدة مدحه بها ، ومنها :

إذا استبق الناس العلا سبقتهم   يمينك عفواً ثم صلت (١) شمالها

فقال له هشام : ياأسود ، بلغت غاية المدح فسلنى ، فقال : يدك بالعطية أجود وأبسط من لسانى بمسألتك ، فقال : هذا والله أحسن من الشعر ، وحباه وكساه وأحسن جائزته

ومن شعره فى عبد العزيز بن مروان

يقول فيحسن القول ابن ليلى   ويفعل فوق أحسن مايقول
فتى لايرزأ الخلان إلا   مؤومتهم ويرزؤه الخليل
فبشر أهل مصر فقد أتاهم   مع النيل الذى فى مصر نيل

ويقول نصيب : جميل (٢) إمامنا ، وعمر ابن أبى ربيعة (٣) أوصفنا لربات الحجال ، وكثير (٤) أبكانا على الدمن وأمدحنا الملوك ، وأما أنا فقد قلت ماسمعت ، فقلت له : ان الناس يزعمون أنك لاتحسن أن تهجو ، فضحك ثم قال : أفتراهم يقولون إنى لا أحسن أن أمدح ؟ فقلت : لا ، فقال . أفما ترانى أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله ؟ قلت : بلى ، قال : فإنى رأيت الناس رجلين إما رجل لم أسأله شيئاً فلا ينبغى أن أهجوه فأظلمه ، أو رجل سألته فمنعنى فنفسى كانت أحق بالهجاء اذ سولت لى أن أسأله وأن أطلب ما لديه ... وخرج نصيب هو وكثير والأحوص (٥) غب يوم أمطرت فيه السماء فقال : هل لكم أن نركب جميعا فنسير حتى نأتى العقيق فنمتع فيه أبصارنا ؟ قالوا : نعم ، فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب ، ولبسوا أحسن مايقدرون عليه من الثياب وتنكروا ، ثم ساروا حتى أتوا العقيق فجعلوا يتصفحون ويرون بعض ما يشتهون ، حتى رفع لهم سواد عظيم فأموه حتى أتوه فاذا وصائف (٦) ورجال من الموالى ونساء برزات (٧) ،

= قرية جامعة من الفرع قريبة من الجحفة (١) صلى : جاء بعد السابق فى الحلبة (٢) جميل شاعر اسلامى غزل (٣) عمر : شاعر اسلامى غزل (٤) كثير شاعر إسلامى غزل (٥) الأحوص : شاعر اسلامى غزل (٦) وصائف جمع وصيفة وهى الجارية دون المراهقة (٧) برزات جمع برزة بفتح فسكون وهى المرأة التى تبرز وتجالس الرجال

فسألنهم النزول فاستحيوا أن يجيبوهن من أول وهلة فقالوا : لانستطيع أو نمضى فى حاجة لنا ، فحلفنهم أن يرجعوا اليهن ، ففعلوا وأتوهن فسألنهم النزول فنزلوا، ودخلت امرأة من النساء فاستأذنت لهم فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت : ادخلوا فدخلوا على امرأة برزة على فرش لها فرحبت وحيت ، واذا كراسى موضوعة فجلسنا جميعا فى صف واحد كل انسان على كرسى . فقالت : ان أحببتم أن ندعو بصبى لنا فنصيحه ونعرك أذنه فعلنا ، وان شئتم بدأنا بالغداء ، فقلنا بل تدعين الصبى ولن يفوتنا الغداء ، فأومأت بيدها الى بعض الخدم، فلم يكن إلا كلا ولا، حتى جاءت جارية جميلة قد سترت بمطرف ، فأمسكوه عليها حتى ذهب بهرها(١) ، ثم كشف عنها ، وإذا جارية ذات جمال قريبة من جمال مولاتها ، فرحبت بهم وحيتهم ، فقالت لها مولاتها ، خذى العود ويحك ! وغنى من قول النصيب، عافى الله أبا محجن :

ألا هـــل من البين المفرق من بد وهل مثل أيام بمنقطع(٢) السعد؟
تمنيت أيامى أولئك والمنى على عهد عاد ما تعيد (٣)ولا تبدى

فغنته فجاءت به كأحسن ما سمعته قط بأحلى لفظ وأشجى صوت . ثم قالت لها خذى أيضا من قول أبى محجن ، عافى الله أبا محجن :

أرق المحب وعاده سهـــده لطوارق الهـــم التى ترده
وذكرت من رقت له كبدى وأبى فليس ترق لى كبده
لاقومـــه قومى ، ولا بلدى ـــ فنكون حينا جيرة ـــ بلده
ووجدت وجدا لم يكن أحـد قبلى من اجل صبابة يجـــده
إلا ابن (٤) عجلان الذى تبلت هند ففات (٥) بنفسه كمده

فجاءت به أحسن من الاول ، فكدت أطير سرورا . ثم قالت لها : ويحك ! خذى من قول أبى محجن . عافى الله أبا محجن :

---

(١) البهر فى الاصل : انقطاع النفس من الاعياء ، ويراد هنا : الخجل والروع
(٢) منقطع المكان ، حيث ينتهى . والسعد موضع قرب المدينة (٣) أى لافائدة منها (٤) هو عبد الله ابن عجلان . شاعر جاهلى عاشق ، عشق هنداً بنت كعب ابن عمر ومات فى سبيلها . فضرب المثل بعشقه (تزيين الاسواق - ص ٧٦ ج ٢)، أو هو عمرو بن العجلان (الاغانى .. ص ١٣٥٨ج) (٥) أى أن الكمد ذهب بنفسه

فيالك من ليل تمتعت طوله وهل طائف من نائم متمتع
نعم إن ذا شجو- متى يلق شجوه ولو نائما مستعتب(١) أو مودع
له حاجة قد طالما قد أسرها من الناس فى صدر بها صدع
تحملها طول الزمان لعلها يكون لها يوما من الدهر منزع
وقد قرعت فى أم عمرو لى العصا قديما كما كانت لذى الحلم تقرع

قال : فجاءت والله بشىء حيرنى وأذهلنى طربا لحسن الغناء وسرورا باختيارها الغناء فى شعرى وما سمعت فيه من حسن الصنعة وجودتها وإحكامها ، ثم قالت لها خذى أيضا من قول أبى محجن ، عافى الله أبا محجن :

ياأيها الركب انى غير تابعكم حتى تلموا وأنتم بى ملمونا
فما أرى مثلكم ركبا كشكلكم يدعوهم ذو هوى إلا يعوجونا
أم خبرونى عن دائى بعلمكم وأعلم الناس بالداء الأطبونا

قال نصيب : فوالله لقد زهيت بما سمعت زهوا خيل إلى أنى من قريش وأن الخلافة لى، ثم قالت : حسبك يا بنية هات الطعام يا غلام فوثب الأحوص وكثير وقالا والله لا نطعم لك طعاما ولا نجالسك فى مجلس . فقد أسأت عشرتنا وقدمت شعره على أشعارنا ، قالت : فأى شعركما أفضل من شعره ؟ وذكرت لكل منها ما يعاب به فخرجا مغضبين . واحتبستنى فتغديت عندها وأمرت لى بثلاثة دينار وحلتين وطيب . ثم دفعت إلى مائتى دينار وقالت ادفعها لصاحبيك فان قبلاها والا فهى لك . فاتيتهما فاخبرتهما بالقصة فاما الأحوص فقبلها وأما كثير فلم يقبلها ، وقال لعن الله صاحبتك ولعنك معها فاخذتها وانصرفت ، فسئل نصيب : من المرأة ؟ فقال من بنى أمية ولا أذكر اسمها ماحييت لأحد

ومن شعره من قصيدة يمدح عبد الملك بن مروان :

---

(١) الاستعتاب . طلب العتبى (٢) يشير إلى المثل . « إن العصا قرعت لذى الحلم » يضرب لمن إذا نبه انتبه (٣) الأطبون البارعون فى الطب

أمعارف الدمن القفار توهم ولقد مضى حول لهن بجرم(١)
ولقد وقفت على الديار لعلها بجواب رجع تحية تتكلم
عن علم ما فعل الخليط فأدرت أنى توجه بالخليط الموسم
ولقد عهدت بها سعاد، ولنها بالله (٢) جاهدة اليمين لتقسم
إنى لأوجه من تكلم عندها بألية (٣) ومخالف من يزعم
فلها لدينا بالذى بذلت لنا ود يطول له العناء ويعظم

وقيل لنصيب : قدهرم شعرك قال لا والله ماهرم ولكن العطاء هرم ومن يعطيني مثل ما أعطاني الحكم بن عبد المطلب ؟ خرجت وهو ساع على بعض صدقات المدينة فلما رأيته قلت :

أبا مروان لست بخارجي(٤) وليس قديم مجدك بانتحال
أغر اذا الرواق انجاب عنه بدا مثل الهلال على المثال(٥)
تراءاه العيون كما ترائى عشية فطرها وضح الهلال

فأعطاني أربعمائة ومائة لقحة ، وقال ارفع فراشي فرفعته فأخذت من تحته مائتي دينار .

ونزل نصيب (٦) بامرأة تكنى أم حبيب من أهل ملل (٧) وكانت تضيف في ذلك الموضع ،وتقرى ، ولا يزال الشريف قد نزل بها فأفضل عليها الفضل الكثير، ولا يزال الشريف ممن لم يحلل بها يتناولها بالبر ليعينها على مروءتها ، فنزل بها نصيب ومعه رجلان من قريش فلما أرادوا الرحلة عنها وصلها القرشيان وكان نصيب لا مال معه في ذلك الوقت فقال لها: إن شئت فلك أن أوجه إليك بمثل ما أعطاك أحدهما ، وإن شئت قلت فيك شعراً فقالت: بل الشعر ، فقال :

ألا حي قبل البين أم حبيب وإن لم تكن عنا غداً بقريب
وإن لم يكن أنى أحبك صادقاً فما أحد عندى إذن بحبيب
تهام أصابت قلبه مللية غريب الهوى، واهاً لكل غريب

---

(١) حول بجرم تام وتوهم تتمثل . والمعارف من الأراضى التى يهتدى فيها
(٢) جاهدة أى بجدة فى حلفها (٣) الألية اليمين
(٤) الخارجى : الذى ساد بنفسة (٥) الرواق : بيت كالفسطاط ، ومعنى ذلك إذا ظهر من بيته تراءاه العيون كالهلال
(٦) رغبة الامل ص ١١٧ ج ٥ ، الكامل ص ٣٣٤ ج ١
(٧) ملل : موضع فى طريق مكة بين الحرمين

كثير عـــزة

المتوفى ١٠٥ هـ

كثير أحد الشعراء الغزلين ، اشتهر بمحبوبته عزة ، وله فيها أروع القصائد وأبلغ المقطعات (١) .وكان السائب راويته (٢)

وهو كثير بن عبد الرحمن الخزاعي ، ومحبوبته عزة هي عزة بنت حميد ، وكانت من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن ، وكان كثير ذميا قبيحا .

اتصل كثير بالخلفاء ، ومدحهم ، ونال جوائزهم

وكان شاعرا مفلقا يقرن إلى جرير والأخطل والفرزدق، وكان غاليا في التشيع، يقول بالرجعة والتناسخ . وكان قصيرا دحداحا ، وكان مع ذلك من أتيه الناس وأذهبهم بنفسه : قال بعضهم :

« رأيت كثيرا يطوف بالبيت . فمن حدثك أنه يزيد عن ثلاثة أشبار فكذبه. وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول له : طأطىء رأسك لا تصبه السقف . . »

وقد نشأ في البادية بين المدينة ومكة ومدح الخلفاء وكافأوه بالتحف والألطاف، وصاحبته التي كان يشبب بها وأكثر أشعاره فيها هي عزة

ويروى أن كثير عزة مر بنسوة ومعه غنم : فأرسلن إليه عزة وهي صغيرة : فقالت : يقلن لك النسوة : بعنا كبشا من هذه الغنم وانسئنا بثمنه إلى أن ترجع ، فأعطاها كبشا وأعجبته . فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه . فقال : وأين الصبية التي أخذت مني الكبش ؟ قالت : وما تصنع بها ؟ هذه دراهمك . قال :

---

(١) كان مروان بن أبي حفصة يقدم كثيرا على جرير والفرزدق (٧٤ ج ٢ زهر). وكان كثير على حدة خاطره وجودة شعره أحمق الناس (٤٩ / ٢ زهر الآداب) . وقيل لكثير : لم تركت الشعر ؟ قال : ذهب الشباب فما أعجب ، وماتت عزة فما أطرب ، ومات عبد العزيز بن مروان فما أرغب (٤١٣ / ٣ العقد) . . وكانت مدائح الكميت وكثير في بني أمية أجود منها في بني هاشم لباعث الرغبة مع أنهما كاناشيعيين (١٣ / ٣ العقد) .

وكان كثير يستدعى شيطان الشعر بالطواف في الرياض والطلول (٤١٤ / ٣ العقد) : (٢ ٤٣٥ / ٣ العقد

لا آخذ دراهمي إلا ممن دفعت الكبش إليها ، وخرج وهو يقول :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه   وعزة ممطول معنى غريمها

وأخذ من ذلك الوقت يتعشقها ويتغزل بها ويقول القصائد في وصفها ... روت قسيمة الأسلمية قالت : « سارت عزة في جماعة من قومها فسمعنا بها . فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن ، فجئناها فرأينا امرأة حلوة حميراء نظيفة ، فتضاءلنا لها ، ومعنا نسوة كلهن عليهن فضل من الجمال والخلق إلى أن تحدثت ساعة، فإذا هي أبرع الناس وما نرى في الدنيا امرأة تروقها جمالا وحسنا وحلاوة».. وتزوجت عزة بسواه . وبعض الرواة ينكر على كثير اخلاصه في حب عزة ، قال أبو خليفة : كان كثير مدعيا ولم يكن عاشقا ، وكان جميل صادق الصبابة والعشق .

نظر إلى عزة ذات يوم وهي منتقبة تميس في مشيتها ، فلم يعرفها كثير فاتبعها وقال : يا سيدتي قفي حتى أكلمك فاني لم أر مثلك قط ، فمن أنت ويحك ؟ قالت : ويحك وهل تركت عزة فيك بقية لأحد ؟ فقال : بأبي أنت والله لو أن عزة أمة لي لوهبتها لك . قالت : هل لك في المخالة ؟ قال : وكيف لي بذلك ؟ فسفرت عن وجهها ثم قالت : أغدرا يا فاسق وإنك لهكذا ؟ فأبلس ولم ينطق .

ومات كثير فما تخلفت امرأة بالمدينة عن جنازته .

وعاشت عزة بعده مدة ودخلت على عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي . فلما مثلت بين يديه وكانت عجوزا قال لها : « أنت عزة كثير التي يقول فيها :

لعزة نار ما تبوخ كأنها   إذا ما رمقناها من البعد كوكب

فما أعجبه منك ؟ » فقالت عزة : « كلا يا أمير المؤمنين . فو الله لقد كنت في عهده أحسن من النار في الليلة القرة » .

فقال الخليفة : « هل تروين قول كثير فيك :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها   ومن ذا الذي يا عز لا يتغير ؟

فقالت عزة : « ولكني أروي قوله :

كأني أنادي صخرة حين أعرضت   من الصم لو تمشي بها العصم زلت

ويروى عنه(١) أنه احتال طويلا مع الوفود بين يدى عمر بن عبد العزيز فذهب المسجد ، وسمع خطبته فيه يوم الجمعة .. قال كثير :

فأما أول من حفظ كلامه ، سمعته يقول فى خطبة له : « لكل سفر زاد لامحالة ، فتزودوا من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى . وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فعمل طلباً لهذا وخوفاً من هذا . ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم .

واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الله فى الآخرة . فأما من لايداوى جرحا إلا أصابه جرح من ناحية أخرى ، فكيف يطمئن بالدنيا ! أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسى عنه ، فتخسر صفقتى وتبدو عيلتى وتظهر مسكنتى يوم لاينفع فيه إلا الحق والصدق » .

فارتج المسجد بالبكاء وبكى عمر حتى بل ثوبه ، وظننا أنه قاض نحبه . فبلغت إلى صاحبى ، فقلت جددا لعمر من الشعر غير ماأعددناه فليس الرجل بدنيوى .

ثم إن مسلمة استأذن لنا يوم جمعة بعد ماأذن للعامة . فدخلنا فسلمنا عليه بالخلافة فرد علينا . فقلت له ياأمير المؤمنين طال الثواء وقلت الفائدة وتحدث بجفائك إيانا وفود العرب .

فقال ياكثير : أما سمعت إلى قول الله عز وجل فى كتابه « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » ، أفمن هؤلاء أنت ! فقلت له وأنا ضاحك : أنا ابن سبيل ومنقطع به . قال أولست ضيف أبى سعيد ؟ قلت بلى . قال ماأحسب من كان ضيف أبى سعيد ابن سبيل ولا منقطعاً به .

ثم استأذنته فى الإنشاد فقال : قل ولا تقل إلا حقا . فان الله سائلك فقلت :

---

(١) اقرأ ما دار بين عبد الملك وعزة صاحبة كثير يوم دخلت عليه فى الأمالى (١٠٧ / ٢) . واقرأ دخول كثير على عبد الملك وحديثه معه وإنشاده الشعرين يديه فى الأمالى (٤٦ / ١)

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف ... بريا ولم تتبع مقالة مجرم

وقلت نصدقت الذى قلت بالذى ... فعلت فأضحى راضياً كل مسلم

لقد لبست لبس (١) الهلوك ثيابها ... وأبدت لك الدنيا بكف ومعصم

وتومض أحيانا بعين مريضة ... وتبسم عن مثل الجمان المنظم

فأعرضت عنها مشمئزا كأنما ... سقتك مدوفاً (٢) من سمام وعلقم

وقد كنت من أجبالها فى ممنع ... ومن بحرها فى مزبد الموج مفعم

ومازلت سباقا إلى كل غاية ... صعدت بها أعلى البناء المقدم

فلما أتاك الملك عفواً ولم يكن ... لطالب دنيا بعده من تكلم

تركت الذى يفنى وإن كان مونقا ... وآثرت مايبقى برأى مصمم

فأضررت بالفانى وشمرت للذى ... أمامك فى يوم من الهول مظلم

ومالك أن كنت الخليفة مانع ... سوى الله من مال رعيت ودرهم

سما لك (٣) هم فى الفؤاد مؤرق ... صعدت به أعلى المعالى بسلم

فما بين شرق الأرض والغرب كلها ... مناد ينادى من فصيح وأعجم

يقول : أمير المؤمنين ظلمتنى ... بأخذ لدينار ولا أخذ درهم

فلو يستطيع المسلمون تقسموا ... لك الشطر من أعمارهم غير ندم

فعشت به ماحج لله راكب ... مغذ مطيف بالمقام وزمزم

فأربح بها من صفقة لمبايع ... وأعظم بها ، أعظم بها ثم أعظم

فقال لى : ياكثير ، إن الله سائلك عن كل ماقلت . ثم تقدم إليه الأحوص فاستأذنه فقال : قل ولا تقل إلا حقا ، فإن الله سائلك . فأنشده :

وما الشعر إلا خطبة من مؤلف ... بمنطق حق أو بمنطق باطل

فلا تقبلن إلا الذى وافق الرضا ... ولا ترجعنا كالنساء الأرامل

رأيناك لم تعدل عن الحق يمنة ... ولا يسرة فعل الظلوم المجادل

ولكن أخذت القصد جهدك كله ... وتقفو مثال الصالحين الأوائل

فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا ... ومن ذا يرد الحق من قول عاذل؟

---

(١) الهلوك من النساء : الفاجرة المتساقطة على الرجال (٢) مدوفا : مخلوطاً والسمام السم

(٣) سمالى شىء : ارتفع

ومن ذا يرد السهم بعد مروقه ... على فوقه إن عار (١) من نزع نابل؟
ولولا الذى قد عودتنا خلائف ... غطاريف كانت كالليوث البواسل
لما وخدت شهرا برحلى جسرة (٢) ... تفل متون البيد بين الرواحل
ولكن رجونا منك مثل الذى به ... صرفنا قديما من ذويك الأفاضل
فان لم يكن للشعر عندك موضع ... وإن كان مثل الدر من قول قائل
وكان مصيبا صادقا لايعيبه ... سوى أنه يبنى بناء المنازل
فإن لنا قربى ومحض مودة ... وميراث آباء مشوا بالمناصل (٣)
فذادوا عدو السلم عن عقر دارهم ... وأرسوا عمود الدين بعد تمايل
فقبلك ما أعطى الهنيدة (٤) جلة ... على الشعر كعبا من سديس وبازل
رسول الاله المصفى بنبوة ... عليه سلام بالضحا والأصائل
فكل الذى عددت يكفيك بعضه ... ونيلك خير من بحور السوائل

فقال له عمر : ياأحوص : إن الله سائلك عن كل ما قلت . ثم تقدم إليه نصيب فاستأذن فى الانشاد فأبى أن يأذن له وغضب غضباً شديداً، وأمره باللحاق بدابق (٥)، وقال لنا : ماعندى ما أعطيكم ، فانتظروا حتى يخرج عطائى فأواسيكم منه . فانتظرناه حتى خرج ، فأمر لى وللأحوص بثلاثمائة درهم ، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهما، فما رأيت أعظم بركة من الثلاث المائة التى أعطانى ، ابتعت بها وصيفة فعلمتها الغناء فبعتها بألف دينار

وكان يدخل على عبد الملك وينشده وكان رافضيا شديد التعصب لآل أبى طالب وكان عبدا الملك يعرف ذلك فيه فلا ينكره ، فاذا أراد أن يصدقه بشىء حلفه بعلى وكان له صديق اسمه خندق الأسدى شديد التشيع مثله ، وبلغ من جرأة خندق هذا أنه وقف مرة فى الموسم والناس مزدحمون وقال: «أيها الناس إنكم على غير حق قد تركتم

---

(١) السهم العائر : الذى لايدرى من أين أتى (٢) الجسرة : الناقة العظيمة
(٣) المناصل : جمع منصل وهو السيف القاطع (٤) هنيدة : اسم للمائة من الابل خاصة ، ويريد بكعب كعب بن زهير ، والسديس : من الابل مادخل فى الثامنة ، والبازل : مابلغ التاسعة
(٥) دابق : قرية قرب حلب

بيت نبيكم والحق لهم وهم الأئمة » ، فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه ودفن خندق بقنونا ، فقال إذ ذاك كثير يرثيه :

أصادرة حجاج كعب ومالك ... على كل عجلى ضامر البطن محنق
بمرثية فيها ثناء محبر ... لأزهر من أولاد مرة معرق

والقصيدة طويلة ... أما معشوقته عزة فهى بنت حميد بن وقاص من ضمرة وكانت من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن ، ويقال أنه لم ير لها وجها إلا أنه استهيم بها قلبه لما ذكر له عنها ، وعاتبه بعض أهلها فقالوا : « قد شهرت نفسك وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك » ، فقال « إنى لا أذكرها بما تكرهون »

واتفق خروجهم إلى مصر فى عام الجلاء فتبعهم على راحلته ، فزجروه فأبى إلا أن يلحقهم فتربص له بعضهم فى بعض الطريق وقبضوا عليه وجعلوه فى جيفة حمار وربطوها عليه فمر به صديقه خندق فأطلقه وألحقه ببلاده .. وكان كثير دميما قليلا أحمر أقيشر عظيم الهامة قبيحا .. وأكثر أشعاره فى عزة هذه .. ومن ذلك قوله فيها لما أخرجت إلى مصر :

وقال خليلى مالها إذ لقيتها ... غداة الشنا فيها عليك وجوم ؟
فقلت له إن المودة بيننا ... على غير فحش والصفاء قديم
وإنى وإن أعرضت عنها تجلدا ... على العهد فيما بيننا لمقيم
وإن زمانا فرق الدهر بيننا ... وبينكم فى صرفه لمشوم

وقوله ويغنى به :

وكنت إذا ماجئت أجللن مجلسى ... وأظهرن منى هيبة لاتجهما
يحاذرن منى غيرة قد عرفنها ... قديما فما يضحكن إلا تبسما

ومن أحاسن شعره قوله :

أغاضر لو شهدت غداة بنتم ... حنو العائدات على وسادى
اويت لوامق لم تشكميه ... نوافذة تلذع بالزناد

ومن قوله فى الحكم :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة ... يجدها فلا يسلم له الدهر صاحب

ويختار من قوله :

وأجمع هجرانا لأسماء إن دنت   بها الدار لامن زهدة فى وصالها
فإن شحطت يوما بكيت وإن دنت   تذللت واستكثرتها باعتزالها

ومن منتخبات قوله فى عزة قصيدة طويلة مطلعها :

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا   قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

وقوله وفيه إفراط :

ومشى إلى بعيب عزة نسوة   جعل الاله خدودهن نعالها
ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى   فى الحسن عند موفق لقضى لها

وقال السائب بن الحكيم السدوسى راوية(١) كثير : والله إنى لأسير يوما مع كثير ، حتى إذا كنا من المدينة على أميال لقيتنا امرأة فى رحالة (٢) متنقبة ، معها عبيد لها يسعون معها فرت جنابى (٣) فسلمت ثم قالت : ممن الرجل ؟ قلت من أهل الحجاز ، قالت فهل تروى لكثير شيئا ؟ قلت نعم ؟ قالت أما والله ماكان بالمدينة من شىء هو أحب إلى من أن أرى كثيرا وأسمع شعره ، فهل تروى قوله :

أهاجك برق آخر الليل واصب

قلت نعم ، فأنشدتها إياها إلى آخرها ، قالت فهل تروى قوله :

كأنك لم تسمع ولم تر قبلها   تفرق ألاف لهن حنين

قلت نعم ، وأنشدتها ، قالت فهل تروى قوله أيضا :

أأطلال سعدى باللوى تتعهد ؟

قلت نعم ، وأنشدتها حتى أتيت على قوله :

فلم أر مثل العين ضنت بمائها   على ولا مثلى على الدمع يحسد

فقالت: قاتله الله ! فهل قال مثل قول كثير أحد على الأرض ؟ والله لأن أكون رأيت كثيرا أو سمعت منه شعره أحب إلى من مائة ألف درهم .

قال السائب فقلت هو ذاك الراكب أمامك ، وأنا السائب راويته ، قالت .

(١) الأغانى ص ٤٨ ج ١١

(٢) الرحالة السرج   (٣) الجناب الناحية

حياك الله ثم ركضت بغلتها حتى أدركته ، فقالت أنت كثير ؟ قال: مالك ؟ ويلك! فقالت أنت الذى تقول

إذا حسرت عنه العمامة راعها   جميل المحيا أغفلته الدواهن

والله مارأيت عربيا قط أقبح ولا أحقر ولا ألأم منك ؟ قال أنت والله أقبح منى وألأم ، قالت له : أو لست القائل :

تراهن إلا أن يؤدين نظرة   بمؤخر عين أو يقلبن معصما

يحاذرن منى غيرة قد عرفنها   قديما فما يضحكن إلا تبسما

لعن الله من يفرق منك ، قال بل لعنك الله ، من أنت ؟ قالت لايضرك إن لم تعرفنى ، قال والله إنى لأراك لئيمة الأصل والعشيرة ، قالت حياك الله ياأباصخر ماكان بالمدينة رجل أحب إلى وجها ولا لقاء منك، قال لاحياك الله ولكن ماعلى الأرض أحد أبغض إلى وجها منك ، قالت أتعرفنى ؟ قال أعرف أنك لئيمة من اللئام، ثم تعرفت إليه فإذا هى غاضرة أم ولد لبشر بن مروان

قال السائب وسايرها حتى الجبل ثم قالت له ياابا صخر أضمن لك مائة ألف درهم عند بشر بن مروان إن قدمت عليه ، قال أفى سبك إياى أو سبى إياك تضمنين لى هذا ؟ والله لاأخرج إلى العراق على هذه الحال،فلما قامت تودعه سفرت فإذا هى أحسن من رأيت من أهل الدنيا وجها وأمرت له بعشرة آلاف درهم

وكان كثير (١) عزة مارا بالطريق، يوما إذ هو بعجوز عمياء على قارعة (٢) الطريق تمشى فقال لها: تنحى عن الطريق فقالت له ويحك ! ومن تكون ؟ قال أنا كثير عزة . قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق ؟ قال : ولم ؟ قالت ألست القائل :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى   يمج الندى جثجاثها (٣) وعرارها

بأطيب من فيها إذا جئت طارقا   وقدأوقدت بالمجمر(٤) اللدن(٥) نارها

ويحك ياهذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلى ومثل أمك لطاب ريحها . هلا قلت كما قال سيدك امرؤ القيس :

---

(١) المستطرف ص ٥٥ ج ١

(٢) قارعة الطريق : أعلاه (٣) الجثجاث ، نبات له زهر أصفر طيب الريح والعرار نبت طيب الريح أيضا (٤) المجمر مايبخر به منعود وغيره (٥) اللدن اللين

وكنت إذا ماجئت بالليل طارقا   وجدت بهـا طيبا وإن لم تطيب

فقطعته ولم يرد جواباً

ودخـــل كثير بن عبد الرحمن (١) على عزة ، فقالت : ماينبغي أن نأذن لك في الجلوس . قال : ولم ذلك ؟ قالت : لأني رأيت الأحوص ألين جانباً عند الغواني منك في شعره ، وأضرع خداً للنساء ، وأنه الذي يقول :

يأيها اللائمي فيها لأصرمها   أكثرت لو كان يغني عنك إكثار

أقصر فلست مطاعاً إذ وشيت بها   لا القلب سال ولا في حبها عار

ويعجبني قوله :

أدور ولولا أن أرى أم جعفر   بأبياتـــكم مادرت حيث أدور

وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى   إذا لم يزر لابد أن سيزور

لقد منعت معروفها أم جعفر   وإني إلى معروفها لفقير

ويعجبني قوله :

كم من دنيء (٢) قد صرت أتبعه   ولو صحا القلب عنها كان لي تبعا

لا أستطيع نزوعاً عن محبتها   أو يصنع الحب بي فوق الذي صنعا

أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني   حتى إذا قلت : هذا صادق نزعا

وزادني رغبة في الحب أن منعت ،   أشهى إلى المرء من دنياه مامنعا

وقوله (٣) :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى   فكن حجراً من يابس الصخر جلدا

وما العيش إلا ماتلذ وتشتهي   وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

وإني لأهواها وأهوى لقاءها   كما يشتهي الصادي الشراب المبردا

فقال لها كثير : والله لقد أجاد فما استجفيت (٤) من قولي ! قالت فذلك قولك :

وكنت إذا ماجئت أجللن مجلسي   وأظهرن مني هيبة لا تجهما

يحاذرن مني غيرة قد عرفنها   قديماً فما يضحكن إلا تبسما

تراهن إلا أن يؤدين نظرة   بمؤخر عين أو يقلبن معصما

---

(١) ذيل زهر الآداب ص ١٥٠   (٢) الدني : الساقط الضعيف   (٣) البيتان الأخيران ألحقهما العيني وغيره بهذا الموضع من شعر الأحوص ، وأنشدهما أبو بكر ابن دريد لأعرابي   (٤) استجفاه : عده جافيا

وقولك :

ودِدت ـ وبيت الله ـ أنك بكرة هجان(١) وأنى مصعب(٢) ثم نهرب

كلانا به عر(٣) فمن يرنا يقل على حسنها جرباء تعدى وأجرب

نكون لذى مال كثير مغفل فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

إذا ماوردنا منهلا صاح أهله علينا ، فما ننفك ننفى ونضرب

ويحك ! لقد أردت لى الشقاء ، ما وجدت أمنية أوطأ من هذه ، فخرج من عندها خجلا

وكان كثير بليغا يتذوق الشعر وينقده ، فقد نقد الأحوص وابن أبى ربيعة ونصيبا (٤)... ونقدته سكينة (٥)، وعبد الملك (٦)

وقال ابراهيم بن عبد الملك حسن لأبيه : ماشعر كثير عندى كما يصفه الناس، فقال أبوه : إنك لن تضع كثيراً بهذا إنما تضع بهذا نفسك(٧)

ويروى أنه اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية نصيب وراوية كثير وراوية جميل وراوية الأحوص ، فادعى كل رجل منهم أن صاحبه أشعر. ثم تراضوا بسكينة بنت الحسين، فأتوها فأخبروها فقالت لصاحب جرير : أليس صاحبك الذى يقول:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعى بسلام

وأى ساعة أحلى للزيارة من الطروق ، قبح الله صاحبك وقبح شعره . ثم قالت لصاحب كثير: أليس صاحبك الذى يقول:

يقر بعينى مايقر بعينها وأحسن شىء مابه العين قرت

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشى بها العصم زلت

صفوحا فما تلقاك الا بخيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

---

(١) الهجان من الإبل : البيضاء الكريمة (٢) المصعب الفحل (٣) العر : داء يأخذ الأبل فيتمعط عنها وبرها حتى يبدو الجلد ، وهو كالجرب للانسان

(٤) ٣/٤٣٧ العقد(٥)٤٣٨/٣العقد (٦)٤٣٨/٣ العقد(٧)١٤٦/٢البيان والتبيين

فليس شيء أحب اليهن ولا أقر لأعينهن من النكاح ، أفيحب صاحبك أن ينكح قبحه الله وقبح شعره . ثم قالت لصاحب جميل . أليس صاحبك الذي يقول :

فلو تركت عقلي معي ماطلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي

فان وجدت نعل بأرض مضلة من الأرض يوماً فاعلمي أنها نعلي

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلي؟

ماأرى لصاحبك هوى انما يطلب عقله ، قبح الله صاحبك وقبح شعره . ثم قالت لصاحب نصيب : أليس صاحبك الذي يقول :

أهيم بدعد ماحييت فان أمت فواحزني من ذا يهيم بها بعدي

كأنه يتمنى لها من يتعشقها بعده ، قبح الله صاحبك وقبح شعره ، ألا قال :

أهيم بدعد ماحييت فان أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قالت لصاحب الأحوص : أليس صاحبك الذي يقول :

من عاشقين تواصلا وتواعدا ليلا اذا نجم الثريا حلقا

باتا بانعم اعيشة وألذها حتى اذا وضح النهار تفرقا

قبح الله صاحبك وقبح شعره ألا قال : تعانقا

قال المرزباني : في هذا الخبر خطأ عند ذكر كثير ، لأن البيت الذي أوله « يقر بعيني مايقر بعينها » للاحوص بن محمد (١)

وروى أن عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب كانت تجلس للناس فبينما هي جالسة إذ قيل لها : العذرى بالباب . فقالت : ائذنوا له . فدخل ، فقالت له أأنت القائل :

فلو تركت عقلي معي مابكيتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي

إنما تطلبها عند ذهاب عقلك ، لولا أبيات بلغتني عنك ماأذنت لك وهي :

علقت للهوى منها وليداً فلم يزل إلى اليوم ينمى حبها ويزيد

فلا أنا مرجوع بما جئت طالباً ولا حبها فيما يبيد يبيد

يموت الهوى مني اذا مالقيتها ويحيي إذا فارقتها فيعود

ثم قيل : هذا كثير عزة والأحوص بالباب . فقالت : ائذنوا لهما . ثم أقبلت على كثير فقالت : أما أنت يا كثير فألأم العرب عهداً في قولك :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

---

(١) راجع ١٥٩ و ١٦٠ الموشح المرزباني

ولم تريد أن تنسى ذكرها ؟، أما تطلبها إلا اذا مثلت لك ! أما والله لولا بيتان قلتهما ما التفت اليك وهما قولك :

فيا حبها زدنى جوى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
عجبت لسعى الدهر بينى وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر(١)

ثم أقبلت على الاحوص فقالت : وأما أنت يا أحوص فأقل العرب وفاء فى قولك :

من عاشقين تراسلا فتواعدا ليلا اذا نجم الثريا حلقا
بعثا أمامهما مخافة رقبة عبداً ففرق عنهما ما أشفقا
باتا بأنعم عيشة وألذها حتى اذا وضح الصباح تفرقا

ألا قلت تعانقا ، أما والله لو لا بيت قلته ما أذنت لك ، وهو :

كم من دنى لها قد صرت أتبعه ولو صحا القلب عنها صارلى تبعا

ثم أمرت بهم فأخرجوا إلا كثيرا ، وأمرت جواريها أن يكتفنه وقالت له : يافاسق أنت القائل :

أأن زم أجمال وفارق جيرة وصاح غراب البين أنت حزين؟

أين الحزن إلا عند هذا ؟ خرقن ثوبه يا جوارى . فقال . جعلنى الله فداءك انى قد أعقبت بما هو أحسن من هذا ، ثم أنشدها :

أأزمعت بيناً عاجلا وتركتنى كئيباً سقيما جالساً أتلدد
وبين التراقى واللهاة حرارة مكان الشجا ما تطمئن فتبرد

فقالت : خلين عنه يا جوارى ، وأمرت له بمائة دينار وحلة يمانية فقبضها وانصرف (٢)

ومما يتعلق بهذا أن عمر بن أبى ربيعة قدم المدينة فاقام بها حينا وأطال ، ففى ذلك يقول :

يا خليلى قد مللت ثوائى بالمصلى وقد شنئت البقيعا
بلغانى ديار هند وسعدى وارجعانى فقدهويت الرجوعا

---

(١) فى نسبة هذين البيتين الى كثير خطأ ، وانما هما لابى صخر الهذلى من قصيدته الرائية المشهورة التى منها قوله :

وانى لتعرونى لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

(٢) ١٦٠ و ١٦١ الموشح

ثم أراد الانصراف ، فقال له الاحوص : أشيعك : وخرج معه حتى نزلا ودان بها منزل نصيب ، فمارضهما وصار معهما ، حتى اذا نزلوا الجحفة أو عسفان خرج الاحوص لحاجة له فرأى كثيراً ، فرجع فأخبرهما . فقال عمر : ابعثوا اليه ليصير الينا. فقال الاحوص : أهو يصير اليك ؟ هو والله أعظم كبرا من ذلك وأتيه . قال : فاذاً نصير اليه . فصاروا اليه ، فوجدوه جالساً على فروة فو الله مارفع منهم أحداً ولا أوسع لعمر بن أبي ربيعة . قال فجلسوا اليه فتحدثوا قليلا ثم أقبل على ابن أبي ربيعة فقال : ياعمر — وقال بعضهم يا أخا قريش — والله لقد قلت فأحسنت في كثير من شعرك ، ولكنك تخطىء الطريق ، تشبب بها ثم تدعها وتشبب بنفسك ، أخبرني عن قولك

قالت ارب لها تحدثها لنفسدن الطواف في عمر

ويروى : قالت لها ته تبها لنفسدن

قومي تصدى له ليبصرنا ثم اغمزيه يا اخت في خفر

ويروى: قالت تصدى له ليعرفنا

قالت لهـا غمزته فأبى ثم اسبطرت تشتد في أثري

أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك ، والله لو وصفت بهذا هرة أهلك — أوقال منزلك — كنت قد أسأت صفتها . أهكذا يقال للمرأة ؟ إنما توصف بالخفر وأنها مطلوبة ممنعة ، هلا قلت كما قال هذا — وضرب بيده على كتف الاحوص —

لقد منعت معروفها أم جعفر وإني إلى معروفها لفقير
وقد أنكروا عند اعتراف زيارتي وقد وغرت فيها على صدور
أزور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما زرت حيث أزور (١)
أزور على أن ليس ينفك كلما أتيت عدوا بالبنان يشير
وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى إذا لم يزر لابد أن سيزور

هكذا والله يكون الشعر وصفة النساء . فارتاح الأحوص وامتلأ سرورا وانكسر عمر ، ثم أقبل على الأحوص فقال : وأنت ياأحوص أخبرني عن قولك

فان تصلي أصلك وان تبيني بصرمك قبل وصلك لا أبالي
وإني للمودة ذو حفاظ أواصل من يهش إلى وصالي

---

(١) ويروى ما درت حيث أدور .

وأقطع حبل ذي ملق كذوب　　سريع في الخطوب الى انتقال

ويلك أهكذا يقول الفحول ؟ أما والله لو كنت لخلا ما قلت هذا لها ـ وقال بعضهم أما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت ـ هلا قلت كما قال هذا الاسود. وضرب بيده على جنب نصيب : ـ

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب　　وقل إن تملينا فما ملك القلب

وقل إن قرب الدار يطلبه العدى　　قديماً ونأى الدار يطلبه القرب

وقل إن أنل بالحب منك مودة　　فما فوق مالاقيت من حبكم حب

وقل في تجنيها لك الذنب إنما　　عتابك من عاتبت فيما له ذنب

فانتفخ نصيب وانكسر الأحوص . قال : ثم أقبل على نصيب فقال : ولكن أخبرني عن قولك يا ابن السوداء :

أهيم بدعد ما حييت فان أمت　　فواحزني من ذا يهيم بها بعدى

ودعد مشوب الدل تزليك شيمة　　لشك فلا قربى بدعد ولا بعدى

كأنك اغتممت ألا يفعل بها بعدك ـ كذا لايكنى ـ وقال بعضهم في روايته : أيهمك من ينكحها بعدك ، الرجال أكثر مما تظن . فقال بعض القوم لبعض انهضوا فقد استوت القرنة . فلما خرجوا من عنده قال عمر : هذا أخبث مدخول عليه في العرب . قال المبرد . القرنة لعبة يلعب بها على خطوط فاستواؤها انقضاؤها . وهى تسمى الطبن والعامة تسميها السدر (١).. ويقول كثير

ألا حييا ليلى أجد رحيلي　　وآذن أصحابي غدا بقفول

تبدت له ليلى لتذهب عقله　　وشاقتك أم الصلت بعد ذهول

أريد لأنسى ذكرها فكأنما　　تمثل لى ليلى بكل سبيل

إذا ذكرت ليلى تغشتك عبرة　　تعل بها العينان بعد نهول

وكم من خليل قال لى هل سألتها　　فقلت له : ليلى أضن خليل

وأبعده نيلا وأوشكه قلى　　وإن سئلت عرفاً فشر مسول

حلفت برب الراقصات إلى منى　　خلال الملا يمددن كل جديل (٢)

يمين امرىء مستغلظ من ألية　　ليكذب قيلا قد ألح بقيل (٣)

---

(١) ١٦٢ - ١٦٤ الموشح (٢) الراقصات : الابل ، والملا . الفضاء . والجديل زمام مجدول　(٣) الألية . اليمين

لقد كذب الواشون مابحت عندهم   بليلى ولا راسلتهم برسيل (١)
فان جاءك الواشون عنى بكذبة   فروها ولم يأتوا لها بحويل (٢)
فلا تعجلى ياليل أن تتفهمى   بنصح أتى الواشون أم بخبول (٣)
فان طبت نفساً بالعطاء فأجزلى   وخير العطا ياليل كل جزيل
وإلا فإجمال إلى فاننى   أحب من الأخلاق كل جميل
وإن تبذلى لى منك يوماً مودة   فقدماً تخذت القرض عند بذول
وان تبخلى ياليل عنى فاننى   موكلة نفسى بكل بخيل
ولست براض من خليل بنائل   قليل ولا راض له بقليل
وليس خليلى بالملول ولا الذى   إذا غبت عنه باعنى بخليل
ولكن خليلى من يديم وصاله   ويحفظ سرى عند كل دخيل (٤)
ولم أر من ليلى نوالا أعده   ألا ربما طالبت غير منيل
يلومك فى ليلى وعقلك عندها   رجال ولم تذهب لهم بعقول
يقولون ودع عنك ليلى ولانهم   بقاطعة الأقران ذات حليل
فما نقمت نفسى بما أمروا به (٥)   ولا عجت من أقوالهم بفتيل
تذكرت أتراباً لعزة كالمها   حبط بليط ناعم وقبول (٦)
وكنت إذا لاقيتهن كأننى   مخالطة عقلى سلاف شمول
تأطرن حتى قلت لسن بوارحاً   رجاء الأمانى أن يقلن مقيلى (٧)
فأبدين لى من بينهن تجهماً   وأخلفن ظنى إذ ظننت وقيلى (٨)
فلأياً بلأى ما قضين لبانة   من الدار واستقللن بعد طويل
فلما رأى واستيقن البين صاحبى   دعا دعوة يا حبتر بن سلول
فقلت وأسررت الندامة ليتنى   وكنت امرأ أغتش كل عذول

---

(١) الرسيل : الرسالة (٢) الحويل : المحاولة (٣) الخبول جمع خبل وهو الفساد
(٤) الدخيل هو العالم بداخل أمرك   (٥) وما نقمت نفسى : ما رويت
(٦) الأتراب : الأقران وكذلك اللدات. والليط بالكسر اللون وهو الجلد أيضاً .   (٧) تأطرن هنا معناه تلبثن . وأصل التأطر التعطف
(٨) اللأى : البطء . واللبانة : الحاجة

سلكت سبيل الرائحات عشية ... مخارم نصع أو سلكن سبيلى(١)
فأسعدت نضاً بالهوى قبل أن أرى ... عوادى نأى بيننا وشغول
ندمت على مافاتنى يوم بنتم ... فيا حسرتا أن لا يرين عويلى
أقيمى فإن الغور ياعز بعدكم ... إلى إذا ما بنت غير جميل
كفى حزنا للعين أن رد طرفها ... لعزة عير آذنت برحيل
وقالوا نأت فاخترمن الصبروالبكا ... فقلت البكا أشفى إذاً لغليلى
توليت محزوناً وقلت لصاحبى ... أقاتلتى ليلى بغير قتيل ؟

هذه إحدى لاميات كثير - وكانت لامياته تعد بالعشرات - ولهذه اللامية بقايا يجدها القارىء فى الجزء الثانى من الأمالى

ويقول كثير :

أبى دون ما تخشون من بث سركم ... أخو ثقة سهل الخلائق أروع
ضنين يبذل السر سمح بغيره ... أخو ثقة عف الوصال سميدع
أبى أن يبث الدهر ما عاش سركم ... سليما وما دامت له الشمس تطلع

وفى هذه القصيدة يصف شمائل محبوبته فيقول :

وأعجبنى ياعز منك خلائق ... كرام اذا عد الخلائق أربع
دنوك حتى يذكر الجاهل الصبا ... ورفعك أسباب المنى حين يطمع
فوالله ما يدرى كريم مطلته ... أيشتد ان لاقاك أم يتضرع ؟
وأنك ان واصلت أعلنت بالذى ... لديك فلم يوجدلك الدهر مطمع

ولكثير :

أيادى سبا ياعز ما كنت بعدكم ... فلم يحل للعينين بعدك منظر
وقد زعمت أنى تغيرت بعدها ... ومن ذا الذى يا عز لا يتغير ؟
تغير جسمى والخليقة كالذى ... عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

ويقول من قصيدة :

الله يعلم لو أردت زيادة ... فى حب عزة ما وجدت مزيدا

---

(١) المخارم جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل ونصع جبل أسود بين ينبع وبين الصفراء.

والميت ينشر أن تمس عظامه ... مسا ويخلد أن يراك خلودا

ويقول

لقد هجرت سعدى وطال صدودها ... وعاود عيني دمعها وسهودها

نظرت اليها نظرة وهى عاتق ... على حين أن شبت وبان نهودها

وقد درعوها وهى ذات مؤصد ... مجوب ولما يلبس الدرع ريدها (١)

نظرت اليها نظرة ما يسرنى ... بها حمر أنعام البلاد وسودها (٢)

وكنت اذا مازرت سعدى بأرضها ... أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها ... اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

منعمة لم تلق بؤس معيشة ... هى الخلد فى الدنيا لمن يستفيدها

هى الخلد مادامت لأهلك جارة ... وهل دام فى الدنيا لنفس خلودها

فتلك التى أصفيتها بمودتى ... وليداً ولما يستبن لى نهودها

وقد قتلت نفساً بغير جريرة ... وليس لها عقل ولا من يقيدها (٣)

فكيف يود القلب من لا يوده ... بلى، قد تريد النفس من لا يريدها

ألا ليت شعرى بعدنا هل تغيرت ... عن العهد أم أمست كعهدى عهودها

اذا ذكرتها النفس جنت بذكرها ... وريعت وحنت واستخف جليدها

فلو كان ما بى بالجبال لهدها ... وان كان فى الدنيا شديداً هدودها

ولست وان أوعدت فيها بمنته ... وان أوقدت نار فشب وقودها

فاصبحت ذا نفسين نفس مريضة ... من اليأس ماينفك هم يعودها

ونفس ترجى وصلها بعد صرمها ... تجمل كى يزداد غيظاً حسودها (١)

ونفس اذا ما كنت وحدى تقطعت ... كما انسل من ذات النظام فريدها (٢)

---

(١) المؤصد القميص الصغير ، والمجوب ، المقور ، والريد الترب بكسر التاء ، والمعنى أنهم ألبسوها الدرع قبل أترابها ، لأنها بكرت فى النضج

(٢) الأنعام الحمر والسود هى من أشرف الأموال عند أهل البوادى ، وكلمة « حمر النعم » وردت فى بعض الأحاديث بمعنى الخير المرموق الذى تشتهاه النفوس

(٣) من القود بالتحريك وهو القصاص

(٤) الصرم القطيعة

(٥) الفريد اللؤلؤة النفيسة الكبيرة التى تتوسط القلادة ، والنظام الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ

فلم تبدلى ياساً ففى الياس راحة ... ولم تبدلى جوداً فينفع جودها
كذلك أذود النفس ياعز عنكم
وقد أعورت(١) أسرار من لايذودها

ويقول كثير :

فأقسمت لاأنساك ماعشت ليلة ... وإن شحطت دار وشط مزارها
وما استن رقراق السراب وماجرى ... ببيض الربا وحشيها ونوارها(٢)
وإنى لأسمو بالوصال إلى التى ... يكون شفاء ذكرها وازديارها
إذا خفيت كانت لعينك قرة ... وإن تبد يوما لم يعمك عارها
من الخفرات البيض لم تر شقوة ... وفى الحسب المحض الرفيع نجارها

واختار له أبو تمام هذه الأبيات :

وأنت التى حببت شغبا إلى بدا ... إلى، وأوطانى بلاد سواهما (٣)
إذا ذرفت عيناى أعتل بالقذى ... وعزة لو يدرى الطبيب قذاهما
وحلت بهذا حلة ثم أصبحت ... بأخرى فطاب الواديان كلاهما
فلو تذريان الدمع منذ استلتا ... على إثر جازى نعمة لجزاهما

واختار له أبو تمام أيضاً هذه الأبيات :

فودت وماتغنى الودادة أننى ... بما فى ضمير الحاجبية عالم (٤)
فإن كان خيرا سرنى وعلمته ... وإن كان شرا لم تلمنى اللوائم
وما ذكرتك النفس إلا تفرقت ... فريقين منها عاذر لى ولائم
فريق أبى أن يقبل الضيم عنوة ... وآخر منها قابل الضيم راغم

ويقول كثير :

أمنقطع ياعز ما كان بيننا ... وشاجرنى ياعز فيك الشواجر

---

(١) أى انكشفت
(٢) استن : اضطرب من قوة اللمعان
(٣) شغب وبدا أسماء مواضع
(٤) الحاجبية هى عزة

إذا قيل هذا بيت عزة قادني ... إليه الهوى واستعجلتني البوادر
أصد وبي مثل الجنون لكي يرى ... رواة الخنا أني لبيتك هاجر
ألا ليت حظي منك ياعز أنني ... إذا بنت باع الصبر لي عنك تاجر

ويقول :

سيهلك في الدنيا شفيق عليكم ... إذا غاله من حادث الدهر غائله
ويخفي لكم حباً شديداً ورهبة ... وللناس أشغال وحبك شاغله
كريم يميت السر حتى كأنه ... إذا حدثوه عن حديثك جاهله
يود بأن يمسي سقيما لعلها ... إذا سمعت عنه بشكوى تراسله
ويجهد للمعروف في طلب العلا ... لتحمد يوماً عند عز شمائله

ويقول :

لعزة من أيام ذي الغصن هاجني ... بضاحي قرار الروضتين رسوم(١)
فروضة آجام تهيج لي البكا ... وروضات شوطى عهدهن قديم
هي الدار وحشاغير أنه قد يحلها ... ويغنى بها شخص علي كريم
فما برسوم الدار لو كنت عالماً ... ولا بالتلاع المقويات أهيم (٢)
سألت حكيما أين شطت بها النوى ... فخبرني مالا أحب حكيم (٣)
أجدوا ، فأما آل عزة غدوة ... فبانوا وأما واسط فمقيم
فما للنوى لابارك الله في النوى ... وعهد النوى عند الفراق ذميم
لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى ... بغى سقماً إني إذاً لسقيم
فاما تريني اليوم أبدي جلادة ... فاني لعمري تحت ذاك كليم
وما ظعنت طوعاً ولكن أزالها ... زمان بنا بالصالحين مشوم
فوا حزني لما تفرق واسط ... وأهل التي أهذي بها وأحوم
ولست براء نحو مصر سحابة ... وإن بعدت إلا قعدت أشيم (٤)
فقد يوجد النكس الدني عن الهوى ... عزوفاً ، ويصبو المرء وهو كريم (٥)

---

(١) ذو الغصن : واد قريب من المدينة . وقد عين الروضتين في البيت التالي
(٢) المقويات : العافيات ، وأقوت الدار عفت ودرست
(٣) حكيم : هو راوية كثير . وواسط هنا واسط الحجاز لا العراق
(٤) أشيم : أنظر
والشاعر يتخيل أن مصر تتلقى سحاباً يرد إليها من الشرق ، وهي التفاتة شعرية ، والسحابة المنتظرة هي عزة ، وقدومها عليه قدوم الغيث
(٥) النكس بالكسر : الضعيف

وقال خليلي مالها إذ لقيتها ... غداة الشبا فيها عليك وجوم (١)
فقلت له إن المودة بيننا ... على غير فحش والصفاء قديم
وإني وإن أعرضت عنها تجلداً ... على العهـــد فيما بيننا لمقيم
أفي الحق هذا أن قلبك سالم ... صحيح وقلبي من هواك سقيم
وأن بجسمي منك داء مخامراً ... وجسمك موفور عليك سليم
لعمري ما أنصفتني في مودتي ... ولكنني ياعز عنك حليم
تمر السنين الخاليات ولا أرى ... بصحن الشبا أطلالهن تريم
يذكرنيها كل ريح مريضة ... لها بالتلاع القاويات نسيم (٢)
ولست ابنة الضمري منك بناقم ... ذنوب العدا ، إني إذاً لظلوم (٣)
وإني لذو وجد ، لئن عاد وصلها ... فاني على ربي إذاً لكريم
وإني لمستسق لها الله كلما ... لوى الدين معتل وشح غريم
سحائب لا من صيب ذي صواعق ... ولا محرقات مالهن حميم (٤)
ولا مخلفات حين هجن بنسمة ... إليهن هوجاء المهب عقيم (٥)

وقال كثير :

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت (٦)
وما كنت أدري قبل عزة ما الهوى ... ولا موجعات الحزن حتى تولت
فقد حلفت جهداً بما نحرت له ... قريش غداة المأزمين وصلت (٧)

---

(١) الشبا : اسم موضع

(٢) التلاع : الأماكن العالية ، والقاويات : الخاليات

(٣) ابنة الضمري هي عزة

(٤) الحميم المطر الذي يأتي بعد اشتداد الحر

(٥) الريح العقيم هي التي لاتلقح المطر

(٦) الربع : الدار. عقل البعير : شد وظيفه إلى ذراعه (قيده). القلوص : الناقة الشابة أو الطويلة القوائم

(٧) الجهد : الطاقة . حلفت جهدا : بالغت في اليمين . نحرت : ذبحت الضحايا . المأزم ، ويقال المأزمان : مضيق بين جمع وعرفة، وآخر بين مكة ومنى

أناديك ماحج الحجيج وكبرت ... بفيفا غزال رفقة وأهلت (١)
وكانت بقطع الحبل بيني وبينها ... كناذرة نذرا فأوفت وحلت (٢)
فقلت لها : ياعز كل مصيبة ... إذا وطنت يوما لها النفس ذلت (٣)
ولم يلق إنسان من الحب ميعة ... تعم ولا غماء إلا تجلت (٤)
كأني أنادي صخرة حين أعرضت ... من الصم لو تمشي بها العصم زلت (٥)
صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلة ... فمن مل منها ذلك الوصل ملت (٦)
أباحت حمى لم يرعه الناس قبلها ... وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت (٧)
فليت قلوصي عند عزة قيدت ... بحبل ضعيف غر منها فضلت (٨)
وغودر في الحي المقيمين رحلها ... وكان لها باغ سواي فبلت (٩)
وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ... ورجل رمى فيها الزمان فشلت (١٠)

---

(١) أناديك : أجالسك من النادي والندى وهما المجلس كما في الأمالي . الحجيج جمع حاج وهو قاصد مكة للنسك . فيفاء الغزال مكان بمكة لاماء فيه . الرفقة مثلثة الراء الأصحاب . أهلت رفعت أصواتها بالتلبية والدعاء

(٢) الحبل : الوصل . أوفت النذر : أدته ولم تغدر. حلت : خرجت من عهدته لما أوفته .

(٣) وطنت : مهدت وأعدت . ذلت : سهلت ولانت

(٤) الميعة : الشدة وأول الشيء وأصله . الغماء الكرب. تجلت انكشفت وزالت

(٥) الصم : جمع أصم الصلب . العصم : جمع أعصم وهو الوعل في ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر..زلت : زلقت

(٦) الصفوح : المرأة المعرضة الهاجرة . بخيلة بالوصل : لاتبذله

(٧) الحمى : ما يحمى ويدفع عنه والمراد قلب الشاعر الذي احتلته. يرعاه الناس: يدخلون إليه.التلاع جمع تلعة وهي الأرض المرتفعة أو المنخفضة

(٨) غر منها : قطع

(٩) رحل الناقة: مايوضع على ظهرها كالسرج. باغ : طالب. بلت نجت وذهبت

(١٠) رمى فيها الزمان : أصابها بالتلف . شلت : قطعت أو يبست

وكنت كذات الظلع لما تحاملت ... على ظلعها بعد العثار استقلت (١)

أريد الثواء عندها ، وأظنها ... إذا ما أطلنا عندها المكث ملت (٢)

فما أنصفت أما النساء فبغضت ... إلى ، وأما بالنوال فضنت (٣)

فان تكن العتبى فأهلا ومرحبا! ... وحقت لها العتبى لدينا وقلت (٤)

وإن تكن الأخرى فان وراءنا ... منادح لو سارت بها العيس كلت (٥)

خليلى إن الحاجبية طلحت ... قلوصيكما وناقتى قد أكلت (٦)

فو الله ثم الله ماحل قبلها ... ولا بعدها من خلة حيث حلت

وما مر من يوم على كيومها ... وإن عظمت أيام أخرى وجلت

وأضحت بأعلى شاهق من فؤاده ... فلا القلب يسلاها ولا العين ملت (٧)

فيا عجبا للقلب كيف اعترافه ... وللنفس لما وطنت كيف ذلت (٨)

وإنى وتهيامى بعزة بعدما ... تخليت مما بيننا وتخلت (٩)

لكا لمرتجى ظل الغمامة كلما ... تبوأ منها للمقيل اضمحلت (١٠)

كأنى وإياها سحابة ممحل ... رجاها فلما جاوزته استهلت (١١)

فان سأل الواشون : فيم هجرتها ... فقل : نفس حر سليت فتسلت!

---

(١) الظلع : العيب والغمز فى المشى . تحاملت على ظلعها : تكلفت الناقة السير على رغمها . استقلت : استقام مشيها

(٢) الثواء : الإقامة (٣) ضنت : بخلت

(٤) العتبى : الاعتاب ، يقال عاتبنى فلان فأعتبته إذا نزعت عما عاتبنى عليه

(٥) الأخرى : يقصد القطيعة والهجر . المنادح :الواسعة البعيدة من الأرض. العيس الابل البيض يخالط بياضها شقرة . كلت أعيت من السير

(٦) طلحت : أكلت: وأتعبت. والحاجبية : لعله لقب عزة

(٧) الشاهق : المرتفع من الجبال والأبنية وغيرها

(٨) اعترافه : صبره يريد قوة صبره على أهوال الحب وخضوع نفسه لويلاته

(٩) التهيام : كالجنون من العشق . تخلى من الشىء : تركه

(١٠) الغمامة : السحابة أو البيضاء خاصة . تبوأ المكان : نزل فيه.المقيل النوم نصف النهار . اضمحلت : انقشعت

(١١) الممحل : المجدب يعوزه المطر. جاوزته : بعدت عنه. استهلت : أمطرت

توبة صاحب ليلى الاخيلية[1]

حياة الشاعر :

توبة شاب عربى وسيم أديب شاعر فارس ، ومن أسرة عربية كبيرة ،احتلت مكانا عظيما بين القبائل العربية . . عاش هو وقومه فى صميم البادية بنجد ، وفطر على مافطر عليه شباب البادية من خلق وبطولة . والده الحير بن ربيعة بن كعب بن خفاجة ، يصعد بنسبه حتى يصل إلى خفاجة العميد الأول للخفاجيين ، ثم يصعد به حتى يصل إلى عقيل رأس العقيليين ، ثم إلى عامر رئيس العامريين ، ثم يصعد حتى يدرك قيسا الأب الأول للقيسيين ؛ وهو حسب رفيع ، يصله بعظمة القبيلة وسؤدد الآباء والاجداد ، وذكريات المجد والبطولة من جميع أطرافه ونواحيه. وولد توبة كما ولدت ليلى نحو

---

(١) الأغانى فى ترجمة توبة ج١٠ ص ١٦٧ وما بعدها ، وفى مواضع أخرى ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة نشر السقا فى ترجمة توبة ص ١٦٩ — ١٧٢ ـ المؤتلف والمختلف للامدى نشر القدسى فى ترجمة توبة ص ٦٨ و ٩٣ ـ زهر الآداب نشر الدكتور مبارك ٧٦ و ٧٩ — ٨٧ من الجزء الرابع ـ الكامل للمبرد طبعة التجارية ٣٨ و ٥٠ و ٢٧٥ و ٢٧٧ و ٣٠٧ ج ٢ ـ فوات الوفيات لابن شاكر فى ترجمة توبة ص ٩٥ ج ١ وفى ترجمة ليلى ص ١٤٠ ج ٢ — العمدة لابن رشيق طبعة ١٩٠٧ ج ١ ص ٦٧ ـ العقد لابن عبد ربه طبعة ١٩٢٨ ج ١ ص ١٦٥ ، ج ٢ ص ٢٢٦ و ٢٨١ و ج ٤ ص ٨٨ ـ شاعرات العرب طبع ببيرت عام ١٩٣٤ فى قصائد من شعر ليلى ص ١٣٧ ـ ١٥١ ، تزيين الأسواق بتفصيل أحوال العشاق فى ترجمة توبة ص ٩٦ ـ اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور مخطوط بدار الكتب ج ١١ ص ٦٣ و ٦٤ ـ توبة شاعر البطولة للمؤلف مطبوع ١٩٤٩ ـ أمالى الزجاجى ص ٥٠ ـ ليلى الأخيلية من كتاب قصص من التاريخ للمؤلف ـ رواية الحجاج الثقفى تأليف جورجى زيدان ـ نشيد الصحراء للمؤلف ـ بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى .

عام ٧٠هـ ، ونشأ وترعرع وقضى حياته الأولى فى البادية ، مسرح البطولة ، ومجال البلاغة ، وميدان الشعر والالهام والحب العذرى الطاهر . وبعد قليل صار شاعر قومه المفوه ، ولسان البادية البليغ كما أصبح بطل الصحراء الجبار ، وفارسها العتيد . وكان مجد أسرته وقبيلته عاملا كبيرا فى تكوين شخصيته ، فغذاه ذلك الطموح والبطولة وكرم الخلق ونبل النفس ، وأشاع فى قلبه حب العظمة والسمو بالنفس إلى حد بعيد . وبدافع خفى من روحه انطلق يتلمس الحياة التى يظهر فيها بطولته ، فكانت فى هذه الغارات الحربية التى يشنها هو وأصحابه على القبائل الكبيرة بالبادية التى كانت تريد أن تستبد بمظاهر العظمة والسلطان فيها . وأكثر توبة من هذه الغارات على بنى الحرث بن كعب وخثعم وهمدان ، من غير أن يعبأ بأحد . وكان أكثر غاراته على القبائل التى تنافس قومه الشرف ، أو التى بينها وبين قومه خصومات : كمهرة وقضاعة وهمدان، وكان يزور نساء منهم يتحدث إليهن ، ثم ينطلق وهو يقول :

أيذهب ريعان الشباب ولم أزر غرائر من همدان بيضا نحورها

كان توبة إذذاك فى سن الشباب ، وكان ممتلئا قوة وعزيمة وبطولة وشبابا وجمالا، وكان كأولاد القبائل الكبيرة ولصغر سنه لا يندب إلى الالتحاق بالجيش الاسلامى، الذى يسير فى أرجاء الشرق إذ ذاك فاتحا مظفرا منصورا ، فعاش بمنأى عن غلوائه وخيلائه وأعمال بطولته وشجاعته.. وأخيرا عرف ليلى الأخيلية وأحبها ، فكانت عاملا حاسما غير مجرى حياته كلها، وكان قوم ليلى حلفاء لقوم توبة ، يغزون معهم ، ويحلون ويرتحلون جميعا ، ويتسامرون فى المسارح والاجتماعات ، وكان عبد الله والد ليلى زعيم قبيلته ، ورئيس قومه . وكانت ليلى آنئذ لسان القبيلة ، وفخر الأسرة وموضع الاكبار والتقدير من قومها جميعا . وكان قد شاع فى البادية ذكرها ، وروى الناس فى الصحراء شعرها القوى الساحر ، وتحدثوا به وبفصاحتها وأدبها وحفظها لانساب العرب وأيامها وباشعارها كافة، ولم يكن توبة قد رآها بعد ، ولكن حدث أن خرج قوم ليلى فى غزوة حربية من هذه الغزوات المألوفة فى البادية ، فلما كان يوم عودتهم من نضالهم الظافر خرجت ليلى، وخرجت معها نساء الحى، للقاء القادمين من أبطال قومها وفرسانهم ، وسفرت الفتيات والسيدات عن وجوههن فى ضجة من الفرح والبشر والاعجاب، وكان توبة قريبا منهن فى هذه اللحظة النادرة ، فشاهدها وأعجب ببلاغتها وأحبها وهام بها .

وذهب توبة يوما إلى ليلى يبثها وجده وهيامه وما نزل به من حبها ، فانبأته ليلى بما تحمله فى صدرها البرىء له ، فكان ذلك أكبر سلوى له ، وبذلك قامت بينهما صلات وثيقة من الأخلاص والوفاء. لقد كان توبة أكرم شباب البادية بمجده وحسبه وطموحه

وبطولته وشعره وبلاغته وشخصيته العالية، وكانت ليلى كذلك أكرم فتيات البادية بما تجمعه فى أعطافها من آثار المجد الخالد ، وبما يلوح فى جبينها من سمات ذلك الجمال الرائع ، وبأدبها وشعرها ، وشخصيتها الكريمة الطاهرة . كانا مثالا نادراً يمثل كثيراً من مظاهر الحياة فى البادية ، يجمعهما حسب ومجد ، وطموح واقدام ، وأدب وبلاغة ، وعواطف متبادلة . حتى لكأنهما قلب واحد فى جسمين ، وروح واحد سرى فى بدنين ، فكانت هذه الجمال مصورا ، وكان ذلك البطولة ممثلة

أرى الناس من ليلاك سقيا وقربها حيا كحيا الغيث الذى أنت ناظره

ولو سألت للناس يوما بوجهها سحاب الثريا لاستهلت مواطره

وذهب توبة الى والد ليلى فى وفد من رؤساء قومه ، يطلب منه أن يزوجه اياها ، وأن يقبل خطوبته لها . ولكن والدها رفض وأبى

وظلت صلات حبهما العذرى الطاهر وثيقة ، بل أوثق مما كانت . وحرم توبة من رؤية ليلى ، فكان يحاول أن يبلغها تحيته بكل مايستطيع . . وجه صاحبا له الى حى ليلى وقومها — بنى عبادة بن عقيل — وقال له اذا أتيت الحى فاصعد فى مكان مرتفع واهتف بهذا البيت :

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة من الدهر لايسرى إلى خيالها

فسمعت ليلى الصوت، وعرفت رسالة توبة ، فقالت للرجل :

وعنه عفا ربى وأحسن حاله عزيز علينا حاجة لاينالها

وبعد قليل سعى الى والد ليلى سوار بن أوفى القشيرى الشاعر ، من بنى قشير ابن كعب بن ربيعة العامرى ، خاطبا منه ابنته ليلى . فوافق على هذه الخطوبة . . وخرج سوار بليلى زوجته الكريمة من أحياء العقيليين وقومهم العامريين ، الى حى قومه القشيريين .

ولم يطق توبة آلام فراق ليلى ، فكان يتردد أحيانا على حى زوجها زائراً ومحيياً كلما واتت الفرصة ، وسمحت الأيام ، فاشتد سوار فى حجاب ليلى فقلق توبة لذلك حتى خامره الجزع ، ونابته غيبوبة تلم به أحياناً فتذهب بعقله ، فأشاروا عليه أن يكثر من الرحلات فى جوف البادية ، فكان يخرج أحياناً يجوب قفار الصحراء الفيح وأنحاءها الواسعة . ولكن توبة لم يطق فراق ليلى ، وكاد يموت سقما من نأيه عنها ، فأخذ يتردد على معاهد الحب والهوى ، ومسارح اللهو والشباب فى الأيام الخاليات ،

اللائى كانت تجمعه بليلى فيها صلات الشباب البرىء ، ثم سعى فى خفية يزور ليلى ويتردد على حى زوجها « سوار » ، ثم سعى إليه إخوة ليلى وقومها ، يناشدونه ألا يعرض ليلى — وهى فى حرم الزوجية المقدس — لآلام جديدة ، فوعدهم ، ولكن قلبه لم يحتمل صدمة هجرانها الأبدى ، فعاود زيارتها ، فلامه زوج ليلى وقومه ، ثم شكوه إلى قومه ، فلم يثنه ذلك عما هو عليه . فلما طال أمره ، وشهرت حاله ، رفعوا أمره إلى السلطان ، وكان هو إذ ذاك مروان بن الحكم والى المدينة وما جاورها من أحياء نجد لمعاوية بن أبى سفيان خليفة بنى أمية ، فأباح لهم الفتك به إن وجدوه فى حى ليلى وزوجها .

وخرج توبة إلى بادية الشام ، فأقام بها يسيراً ، فلم يستقر بقرار ، وتاقت نفسه إلى ليلى ؛ فكان يصعد على ربوة ، ويتجه بوجهه نحو ليلى وبلادها ، يبكى ويستمر فى البكاء ، وأقام على ذلك أياما لا تلذ له معيشة ولا يهدأ له قلب ولا ينعم له بال ؛ فخرج مسافراً يريد حى ليلى ، حتى بلغه ؛ فشاهد طفلا يلعب ، فقال له هل تعرف ليلى أيها الفتى ؟ قال : نعم ، قال : فامض إليها وأنشد :

وكنت إذا مازرت ليلى تبرقعت   فقد رابنى منها الغداة سفورها

ثم عد إلى فسأعطيك جائزة ، فمضى الغلام فأنشد البيت ، فعلمت ليلى أن توبة قد ورد الحى . فقالت للغلام : قل له إنها الآن مبرقعة ، فمضى الغلام إليه وأعلمه بذلك ، فأعطاه دينارين ، وأقبل يجدد زيارتها ، وينعم برؤيتها ، وقبيل قيامه قال لها : مكنينى ياليلى من تقبيل يدك ، فأنشدت :

وذى حاجة قلنا له لاتبح بها   فليس إليها ماحييت سبيل
لنا صاحب لاينبغى أن نخونه   وأنت لأخرى صاحب وخليل

فعلم توبة أن ليلى قد استرابت منه ، فاعتذر لها ، وأقسم أنه لم يرد إلا الخير ، فزادت ليلى إعجاباً به وتقديرا له ، ثم ودعها توبة على استحياء ، ومضى فى جوف البادية الجرداء ، وهو ينشد :

أأغبط من ليلى بمالا أناله   ألا كل ماقرت به العين صالح
وهل تبكين ليلى إذا مت قبلها   وقام على قبرى النساء النوائح
كما لو أصاب الموت ليلى بكيتها   وجاد لها دمع من العين سافح
ولو أن ليلى الأخيلية سلمت   على ودونى تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة ، أوزقا   إليها صدى من جانب القبر صائح

وهكذا عاش توبة شقياً بحب ليلى ، سعيدا بهذا الشقاء الطويل ، مشردا فى آفاق البادية وأرجائها ؛ فياله من شقاء ، ويالهذا الوفاء من وفاء.

وفاة توبة :

كان ذلك نحو عام ٥٧ هـ فى عهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، وكان توبة قد قارب نهاية العقد الرابع من عمره ، وهو بين البادية أكرم شبابها وأمجد شخصياتها ، وكان أمير المدينة وما جاورها من نجد إبان ذاك هو مروان بن الحكم ، الذى استعمل على صدقات بنى عامر شيخ العقيليين همام بن مطرف العقيلى العامرى . وكان بين قوم توبة وبنى أعمامهم من بنى عامر بن عوف العقيليين خصومة ، انتقلت عدواها إلى نفس توبة وأبناء عمومته . واختصم الفريقان فى بعض أمورهم إلى همام شيخ العقيليين ، وكان توبة حاضراً مجلس الخصومة مع سادة قومه وأشراف عشيرته . وفى ثورة الخصومة ، وشدة المجادلة . وحمية الغضب ، وثب « ثور » أحد رجالات بنى عامر بن عوف العقيلى ، فضرب توبة بحديدة كانت فى يده

وعلى توبة الدرع والخوذة فجرحت الخوذة وجه توبة ، فاستفحل الأمر وتفاقم الشر والخصومة . وانتهى ذلك بأن قتل توبة « ثورا » وجرح كثيرا من قومه فى معركة دامية . فنهض السليل بن ثور يأخذ بثأر أبيه . وكان السليل بارعا فى الرمى ، كثير البغى والشر ، فاتكا يرهب الناس فى البادية . ولكن توبة كان بطلا جريئا لا يبالى بانسان ، وبعد قليل صرع توبة السليل ، وقتله كما قتل والده من قبل .

ثار قوم السليل لمقتله ومصرع أبيه من قبل . ولكن توبة لم يبال بثورتهم فأخذ يغزوهم فى ديارهم . ويقطع الطريق على إبلهم وأموالهم ، ويروع فرسانهم ورجالهم ، فهبوا للانتقام من توبة وأخذ ثأرهم منه . وتعاقدوا على أن يطلبوه فى كل مكان ، وأن يذيقوه الوبال والنكال ، ولكن توبة لم يبال بجمعهم ، ولم يأخذ نفسه بالاحتراس من شرهم وطلبهم له ، فى يوم قائظ كان بالبادية ، ومعه شقيقه عبدالله وابن عمته قابض ، فصعد توبة إلى هضبة من هضبات البادية فى أرض بنى أعمامه الكلابيين العامريين ليستريح من حر الظهيرة اللافح ويستريحوا معه ، فحذره شقيقه من طلبهم له وسعيهم فى أثره ، فقال توبة ، دعنى فقد أقمنا « قابضا » على حراستنا لينذرنا إذا ظهر خطر أو ألم شر ، وبعد قليل كان « قابض » يغط فى نوم عميق ، وبعد وقت قصير كان خصوم توبة يصعدون إلى الهضبة ، فهب قابض مذعورا ، وهب توبة

وعبد الله بعده ، ونهض توبة إلى فرسه يحاول أن يركبه ، ولـكن الفرس نفر منه وجرى فى الهضبة ، فأخذ السيف وضرب به أول قادم عليه فقتله ، ثم تـكاثر خصومه عليه، فقاتلهم حتى خر فى المعركة صريعا مضرجا بدمائه ، وسقط أخوه بعد أن كسرت ساقه ، وفر قابض لا يلوى على شىء ، وفوجىء قوم توبة بخبر قتله ، فهبوا يأخذون بثأره ، وانتهى بهم الأمر أخيرا إلى أن أجلوا بنى عوف العقيليين من ديارهم ، ولم يبق منهم أحد بالبادية

ووقع مصرعه على ليلى موقع الصاعقة ، فذرفت عينها الدموع ، وبكته أحر بكاء وهى تقول

لتبك العذرى من خفاجة كلها شتاء وصيفا ـ دائبات ـ ومربعا
على ناشى نال المكارم كلهـا فما انفك حتى أحرز المجد أجمعا

خلعت ليلى زينتها ، وعاشت بعد توبة فى حزن عميق عليه ، وأخذ الناس يعزونها فى توبة ، ويسرون عنها . لقد كانت ليلى لا تبالى بالفراق يحول بينها وبين توبة . ولـكن ماذا تصنع الآن ، وقد ذهب إلى حيث لا تراه بعد اليوم :

لعمرك ما الهجران أن يسقط النوى ولـكنما الهجران ما غيب القبر(١)

ولليلى فى توبة مراث كثيرة سبق الاشارة إليها فى ترجمتنا لليلى (٢) .

قالت ليلى ترثيه :

كم هاتف بك من باك وباكية يا توب للضيف إذ تدعى وللجار
وتوب للخصم إن جاروا وإن عندوا وبدلوا الأمر نقضا بعد إمرار
إن يصدروا الأمر تطلعه موارده أو يوردوا الأمر تحلله باصدار

وقالت ترثيه أيضا

هراقت بنو عوف دما غير واحد له نبـأ نجـدية سيغور
تداعت له أفناء عوف ولم يـكن له يوم هضب الردهتين نصير (٣)

وقالت ترثيه

ياعين بـكى بدمع دائم السجم وابكى لتوبة عند الروع والبهم

---

(١) راجع تفصيل ذلك كله والتصوير الدقيق لمقتل توبة فى فى كتابى « توبة شاعر البطولة » .

(٢) راجع هذه المراثى والقصائد كلها فى كتابى : توبة شاعر البطولة ، وفى كتابى « بنو خفاجة » (٣) ٧٨ جـ ١٠ الأغانى

على فتى من بنى سعـــد لجمت به ... ماذا أجن به فى الحفرة الرجم؟
من كل صافية صرف وقافيـــة ... مثل السنان وأمر غير مقتسم
ومصدر حين يعيى القوم مصدرهم ... وجفنة عند نحس الكوكب الشم (١)

وقالت

لعمرك ما الهجران أن يسقط النوى ... ولكنما الهجران ما غيب القبر (٢)

وقالت ترثيه

أريقت جفان ابن الخليع فأصبحت ... حياض الندى زلت بهن المراتب
فعفاؤها لهفى يطوفون حوله ... كما انقض عرش البر والورد عاصب

وقالت ترثى توبة

وكم من لهيف محجر قد أجبته ... بأبيض قطاع الضريبة مرهف
فأنفذته والموت يحرق نابه ... عليه ولم يطعن ولم يتنسف

وقالت ترثى توبة :

ونعم الفتى ياتوب كنت ولم تكن ... لتسبق يوما كت منه توائل
ونعم الفتى ياتوب كنت إذ التقى ... صدور العوالى واستشال الأسافل
ونعم الفتى ياتوب كنت لخائف ... أتاك لكى يحمى ونعم المنازل
ونعم الفتى ياتوب جارا وصاحبا ... ونعم الفتى ياتوب حين تفاضل
إذا حل ركب فى ذراه وظله ... ليمنعهم مـــا تخاف نوازله
حماهم بنصل السيف من كل فادح ... يخافونه حتى تموت خصائله

وقالت :

فياتوب ما فى العيش خير ولا ندى ... يعد ، وقد أمسيت فى ترب نفنف
وما نلت منك النصف حتى ارتمت بك ... المنايا بسهم صائب الوقع أعجف
فيا ألف ألف كنت حيا مسلما ... لألقاك مثل القسور المتطرف
وقالت: أبى لك ذم الناس ياتوب إنما ... لقيت حمام الموت والموت عاجل
ولا يبعدنك الله ياتوب إنما ... كذاك المنايا عاجلات وآجل
ولا يبعدنك الله ياتوب والتقت ... عليك الغوادى المدجنات الهواطل

---

(١) ٧٨ جـ ١٠ الأغانى (٢) ٢٨١ جـ ٢ العقد .

آثار من شعر توبة

قال توبة (١) :

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية أو يراح
قطاة عـــــزها شرك فباتت ... تجاذبه وقد علق الجنـــــاح
فلا بالليـــــل نالت ما ترجى ... ولا الصبح كان لها براح

وقال(٢) توبة فى ليلى :

نأتك بليلى دارها لا تزورها ... وشطت نواها واستمر مريرها
حمامة بطن الواديين ترنمى ... سقاك من الغر الغوادى مطيرها
أبينى لنا لا زال ريشك ناعما ... ولا زلت فى خضراء غض نضيرها
وأشرف بالغور اليفاع لعلنى ... أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها
وكنت اذا ما جئت ليلى تبرقعت ... فقد رابنى منها الغداة سفورها
على دماء البدن إن كان بعلها ... يرى لى ذنبا غير أنى أزورها
وأنى إذا مازرتها قلت يا اسلمى ... وما كان فى قولى اسلمى ما يضيرها
وقد رابنى منها صـــدود رأيته ... وإعراضها عن حاجتى وبسورها
يقول رجال لا يضـــيرك نأيها ... بلى كل ماشف النفوس يضـــيرها
بلى قد يضير العين أن تكثر البكا ... ويمنع منها نومها وسرورها
أظن بها خيرا وأعلم أنها ... ستنعم يوما ، أو يفك أسيرها
وقد زعمت ليلى بأنى فاجر ... لنفسى تقاها أو عليها فجورها
أرى الليل يأتى دون ليلى كأنما ... أتت حجج من دونها أو شهورها

ولتوبة أيضا (١٦٦ ج ١ الامالى) :

قالت مخافة بيننا وبكت له ... فالبين مبعوث على المتخوف
لو مات شىء مخافة فرقة ... لاماتنى للبين طول تخوفى
ملأ الهوى قلبى وضقت بحمله ... حتى نطقت به بغير تكلف

ووجه توبة صاحبا له إلى بنى عبادة بن عقيل قوم ليلى، وقال اذا أتيتهم فاصعد فى مكان مرتفع ، واهتف بهذا البيت :

---

(١) وينسحب للمجنون (٣٨ ج ١ الكامل للمبرد)(٢) ٦٩ ج ١٠ الأغانى ، الشعر والشعراء ، و ٨٦-٩٦ ، ٩٨٩ ج ١ من الأمالى ، ١٣١ ج ١ الأمالى .

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة   من الدهر لا يسرى إلى خيالها

فقالت ليلى:

وعنه عفا ربى وأحسن حفظه   عزيز علينا حاجة لاينالها (١)

وقال توبة (٢)

وهل تبكين ليلى اذا مت قبلها   وقام على قبر النساء النوائح

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت   على ودونى تربة وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقا   إليها صدى من جانب القبر صائح

وقال (٣) توبة :

أرى الناس من ليلاك سقيا وقربها   حيا كحيا الغيث الذى أنت ناظره

ولو سألت للناس يوما بوجهها   سحاب الثريا لاستهلت مواطره

ومن يبق مالا عدة وضنانة   فلا الشح يبقيه ولا الدهر وافره

ومن يك ذا عود صليب يعده   ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

قبيلة عذرة

المشهورة بالحب والجمال

عذرة قبيلة من العرب ، يستلذون مرارة العشق ، جبلت المحبة فى طينتهم ، وجنيت المودة من لينتهم، وصار الهوى وصفهم الذى لاينفك ،ورهائن قلوبهم من حرارات الشوق لاتفك، استأسرهم العشق أسراً واستأصلهم الحب قهراً وقسراً، فمنهم من يموت من أوام غرامه، ومنهم من يموت بهيام سقامه ، ومن مشاهيرهم جميل ابن عبد الله بن معمر العذرى صاحب بثينة بنت عبد الله العذرية ،وعروة بن حزام صاحب عفراء بنت مالك العذريين ، قال سعيد بن عتبة الهمدانى : قلت لأعرابى ممن أنت؟ قال من قوم إذا عشقوا ماتوا ،قلت عذرى قال عذرى ورب الكعبة ،قلت ومم ذاك؟ قال فى نسائنا صباحة وفى فتياننا عفة ، وسئل أعرابى منهم فقيل له: ماحد الحب عندكم؟ فقال: أعين تتلاحظ وألسن تتلافظ وعدات تتقضى وإشارات تدل على السخط والرضا، قيل له: فالمباضعة؟ قال ذلك طلب الولد، الحب إذا نكح فسد ، وقال

---

(١) راجع ٦٨ و ٦٩ جـ ١٠ الاغانى (٢) راجع ٨٢ جـ ١٠ من كتاب الاغانى ١٠٣ جـ ٢ حماسة ،٧٢ الشعر والشعراء ،٨٦ ومابعدها جـ١ الامالى(٣)٦٨المؤلف

سفيان بن زياد : قلت لامرأة من عذرة ورأيت بها هوى غالباً حتى خفت عليها الموت : ما بال العشق يقتلكم معاشر عذرة من بين أحياء العرب ؟ قالت : فينا جمال وتعفف، فالجمال يحملنا على العفاف به، والعفاف يورثنا رقة القلب، والعشق يفنى آجالنا، وإنا نرى محاجر لا ترونها . قال أبو عمرو بن العلاء : حدثنى رجل من تميم قال: خرجت فى طلب ضالة لى فبينا أنا أدور فى أرض بنى عذرة أنشدها ، إذا ببيت منعزل عن البيوت وفى كسره شاب مغمى عليه وعند رأسه عجوز بها بقية جمال ساهية اليه، تنظر اليه، فسلمت عليها فردت السلام، فسألتها عن ضالتى فلم تعلم بها، فقلت من هذا الفتى؟ فقالت ابنى فهل لك فى أجر لا مؤونة فيه؟ فقلت: والله إنى لأحب الأجر وإن رزئت، فقالت إن ابنى هذا يهوى ابنة عم له علقها وهما صغيران فلما كبرت خطبها غيره فأخذه شبيه الجنون، فخطبها الى أبيها فمنعه وزوجها غيره فنحل جسمه واصفر لونه وذهب عقله، فلما كان منذ خمس زفت إلى زوجها فهو كما ترى مغمى عليه لا يأكل ولا يشرب، فلو نزلت اليه فوعظته ؟ قال فنزلت اليه فلم أدع موعظة إلا وعظته بها ، حتى قلت له: إنهن الغوانى صاحبات يوسف الناقضات العهد ، وقد قال فيهن كثير :

هل وصل عزة إلا وصل غانية ... فى وصل غانية من وصلها خلف

فرفع رأسه محمرة عيناه كالمغضب وهو يقول: لست ككثير ، إن كثيرا رجل مائق وأنا وامق ، ولكنى كأخى تميم حيث يقول

ألا لا يضر الحب من كان صابرا ... ولكن ما اجتاب الفؤاد يضير
ألا قاتل الله الهوى كيف قادنى ... كما قيد مغلول اليدين أسير

فقلت له : فانه قد جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه بى ، فأنشأ يقول :

ألا ما للمليحة لم تعدنى ... أبخل بالمليحة أم صدود؟
مرضت فعادنى أهلى جميعا ... فمالك لم ترى فيمن يعود؟
فقدتك بينهم فبكيت شوقا ... وفقد الالف يا أملى شديد
وما استبطأت غيرك فاعليه ... وحولى من ذوى رحمى عديد
ولو كنت المريض لكنت أسعى ... اليك وما تهددنى الوعيد

ثم شهق شهقة وخفت خفته ، فداخلنى أمر ما داخلنى مثله قط والعجوز تبكى، فلما رأت ما حل بى قالت : يافتى لاترع ، مات والله ولدى بأجله واستراح من تباريحه وغصصه ، فهل لك فى استكمال الصنيعة ؟ قلت: قولى ماأحببت ، قالت تأتى البيوت

فتنعاه اليهم ليعاونونى على رمسه، فإنى وحيدة فركبت فرسى وأتيت البيوت رافعة صوتى بنعيه ، فلم ألبث أن خرجت لى جارية أجمل ما رأيت من النساء، ناشرة شعرها حديثة عهد بعرس، تقول بفيك الحجر المصمت من تنعى؟ قلت: أنعى فلانا ، قالت: أوقد مات ؟ قلت إى والله قد مات ، قالت : فهل سمعت له قولا ؟ قلت اللهم: شعرا قالت : وما هو ؟ فأنشدتها أبياته فاستعبرت وأنشأت تقول :

عدانى أن أزورك يامرادى معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ماعلمت من الدواهى وعابونا وما فيهم رشيد
فأما إذ ثويت اليوم لحدا وكل الناس دورهم لحود
فلا طابت لى الدنيا فراقا ولا لهم ولا أثرى العديد

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشيا عليها ، وخرجت النساء من البيوت ،فاضطربت ساعة وماتت ، فوالله ما برحت حتى دفنتهما جميعا.... وروى هشام بن عروة : أذن معاوية للناس يوما فكان فيمن دخل عليه فتى من بنى عذرة قام بين السماطين وأنشأ يقول:

أتيتك لما ضاق فى الأرض مسلكى وأنكرت مما قد أصبت به عقلى
ففرج - كلاك الله - عنى فاننى لقيت الذى لم يلقه أحد قبلى
وخذلى هداك الله حقى من الذى رمانى بسهم كان أهونه قتلى
وكنت أرجى عـــدله إذ أتيته فأكثر دادى مع الحبس والكبل
فطلقتها من جهد ما قـد أصابنى فهل ذا أمير المؤمنين من العدل؟

فقال له معاوية : ادن بارك الله عليك ماخطبك ؟ قال أطال الله بقـــاء أمير المؤمنين ، إنى رجل من بنى عذرة ، تزوجت من ابنة عم لى وكانت لى صرمة من الابل وشويهات، فأنفقت ذلك عليها ، فلما أصابتنى نائبات الزمان وحادثات الدهر ، رغب عنى أبوها وكانت جارية منها الحياء والكرم ، فكرهت مخالفة أبيها، فأتيت عاملك عبد الرحمن بن أم الحكم فذكرت ذلك له وبلغه جمالها ، فاعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوجها ، وأخـذنى فحبسنى وضيق على ، فلما أصابنى مس من الحديد وألم العذاب طلقتها ، وقد أتيتك ياأمير المؤمنين وأنت غياث المحروب ومعيد المسلوب، فهل من من فرج ؟ ثم بكى وهو يقول :

فى القلب منى نار والنار فيها شرار
وفى فؤادى جمر والجمر فيه احمرار

والجسم مني نحيل | واللون فيه اصفرار
والعين تبكي بشجو | فدمعها مدرار
والحب داء عسير | فيه الطبيب يحار
حملت منه عظيما | فما عليه اصطبار
فليس ليلي ليلا | ولا نهاري نهار

فرق معاوية له ، وكتب إلى ابن أم الحكم كتابا شديدا ، آخره :

ركبت أمرا عظيما لست أعرفه | أستغفر الله من جور امرىء زانى
قد كنت تشبه صوفيا له كتب | من الفرائض أو آيات فرقان
حتى أتانى الفتى العذرى منتحبا | يشكو إلى بحق غير بهتان
أعطى الإله عهودا لا أخيس بها | أولا فبرئت من دينى وإيمانى
إن أنت راجعتنى فيما كتبت به | لأجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وفارقها بمجتمع | واشهد على ذاك نصرا وابن ظبيان
فما سمعت كما حدثت من عجب | ولا فعالك حقا فعل إنسان

فلما ورد الكتاب على ابن أم الحكم تنفس الصعداء ، وقال: وددت لو أن أمير المؤمنين خلى بينى وبينها سنة ، ثم عرض على السيف وجعل يؤامر نفسه فى طلاقها فلم يقدر ، فلما أزعجه الوفد طلقها ، ثم قال ياسعاد اخرجي فخرجت شكلة ذات هيئة وجمال ، فلما رآها الوفد قالوا: ماتصلح هذه الا لأمير المؤمنين لا لأعرابى : وكتب الجواب:

لا تحنثن أمير المؤمنين وفى | بعهدك اليوم فى رفق واحسان
فما ركبت حراما حين أعجبنى | فكيف سميت باسم الخائن الزانى
فسوف تأتيك شمس لاخفاء بها | أبهى البرية من أنس ومن جان
حوراء يقصر عنها الوصف اذ وصفت | أقول ذلك فى سر واعلان

فلما وردت على معاوية قال : ان كانت أعطيت حسن النغمة مع هذه الصفة فهى أكمل البرية فاستنطقها فاذا هى أحسن الناس كلاما وأكملهم شكلا ودلا ، فقال ياأعرابى: هل من سلو عنها بأفضل رغبة ؟ قال نعم اذا فرقت بين رأسى وجسدى، ثم أنشأ يقول :

لا تجعلنى والأمثال تضرب بى | كالمستجير من الرمضاء بالنار

أردد سعاد على حيران مكتئب ... يمسى ويصبح فى هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق ... وأسعر القلب منه ى إسعار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها ... حتى أغيب فى رمس وأحجار

فغضب معاوية ، ثم قال لها : اختارى من شئت أنا أو ابن أم الحكم أو الاعرابى ، فأنشأت تقول :

هذا وإن أصبح فى أطمار ... أو كان فى بعض من اليسار
أكبر عندى من أبى وجارى ... وصاحب الدرهم والدينار
أخشى إذا غدرت حر النار

فقال له معاوية خذها لا بارك الله لك فيها فأخذها ، وأنشأ يقول :

خلوا عن الطريق للاعرابى ... ألم ترقوا ويحكم لما بى؟

فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأدخلت لبعض قصوره حتى انقضت عدتها من ابن أم الحكم، ثم دفعها للاعرابى .. وقال بعضهم كنت سائرا فى بلاد عذرة فولجت بعض أوديتهم واذا شاب حسن الوجه بيده زمام ناقة عليها هودج مسجف وبه جارية، ومن وراء الناقة خمس قلائص وقد رفع عقيرته ينشد ويقول:

ته كيف شئت وسر على مهل ... كل الجمال عليك يا جمل
وعلى أنك لا ترى كللا ... مادام فوقك هذه الكلل

فسلمت عليه فرد وسألته وسألنى وتناشدنا، واتصل الأنس بيننا وسرنا غير قليل، فرأى قانصا فى أحبولته ظبى فلما رآه فى الأحبولة أجهش بالبكاء وأنشأ يقول

وذكرنى من لا أبوح بحبه ... محاجر ظبى فى حبالة قانص
فقلت وجفن العين يجرى بعبرة ... ولحظى إلى عينيه لحظ شاخص
ألا أيهـــذا القانص الظبى خله ... وخذ عوضا منه جياد قلائصى
خف الله لا تحبسه إن شبيهه ... حياتى قد أرعدت منه فرائصى

فقال القانص : الله إن فعلت، قال الله، فأرسل الظبى واستاق القلائص .. وحدث رجل من بنى عذرة قال: كان فينا فتى ظريف غزل، كثيرا ما يتحدث إلى النساء، فهوى جارية من الحى فراسلها فأظهرت له جفوة، فوقع مضنى مدنفا وظهر أمره وتبين دنفه، ولم يزل النساء من أهلها وأهله يكلمنها فيه، حتى أجابت فسارت إليه عائدة ومسلمة، فلما نظر إليها تحدرت عيناه بالدموع، وأنشأ يقول :

أريتك إن مرت عليك جنازتى ... تروح بها أيد طوال وتسرع

أما تتبعين النعش حتى تسلمي على رمس ميت بالحفيرة يودع

فبكت رحمة وقالت : ما ظننت أن الأمر وصل بك هذا ، فوالله لأساعدنك ولأداومن على وصالك فهملت عيناه بالدموع، وأنشأ يقول :

دنت وظلال الموت بيني وبينها ومنت بوصل حيث لا ينفع الوصل

ثم شهق شهقة فخرجت نفسه فوقعت عليه تلثمه، ثم رجعت عنه مغشيا عليها، فما مكثت بعده إلا أياماً حتى ماتت .. قال حماد الراوية : انصرفت من جنازة لبعض الناس فإذا بصبي من عذرة ظريف حسن الوجه صغير السن موصوف بقول الشعر، فوقفنا فسلمنا فقام إعظاما لنا، فملت : أنشدنا شيئاً فكأنه استحيا، فقلت له فأنشدنا :

هل من الحب مجير من ملاح يعتدونا؟
قد شكونا بخضوع عذل قوم يعذلونا
في جوى نلقاه ممن لا يبالي ما لقينا
وبكينا بدموع أغرقت منا الجفونا

فكدت أرقص طربا رقت فدتك عمك، وجلسنا إليه تعجباً من رقته وجماله وفصاحته ، فأنشدنا :

ولقد أرسلت دمعي شاهدا ثم صيرت إليه المشتكى
فتولت ثم قالت شغلي كل من شاء تبكي فبكى

فقلت له : فديتك تحب هذه الجارية ؟ قال يا عم والحب عيب؟إن كان عيباً تركته ، ثم قال ياعم إذا قرأت أو بلغني أحاديث قوم مثل عروة وجميل أفلا أشتهي أن أكون واحداً منهم ؟ فانصرفنا عنه متعجبين . .

وأخبار العذريين كثيرة ، ويبدو على الكثير منها انتحال الرواة ..

شعراء السياسة والأحزاب

عبيد الله بن قيس الرقيات

المتوفى عام ٧٥ ﻫ

هو عبيد الله بن قيس الرقيات القرشي من شعراء الغزل والسياسة في العصر الأموي ، لقب بالرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة اسمهن جميعا رقية ، نشأ في قريش حريصا على سيادتهم ناقما على بني أمية اعتزازهم باليمن، متنصرا لابن الزبير ، فلما قتل ابن الزبير واستقر الأمر لبني أمية ولعبد الملك بن مروان أخذ يتنقل بين الكوفة والمدينة حتى نال الأمان ، ولزم عبد العزيز بن مروان والي مصر إلى أن مات في عام ٧٥ ﻫ

وشعره صورة واضحة لمنهج حزب الزبيريين وآرائهم وأفكارهم ومبادئهم السياسية ، وفيه قوة ، وله روعة وفصاحة وبلاغة نادرة ، ويمتاز بالسهولة والرقة، ولا سيما في الغزل والرثاء.

ويروى عنه أنه قال : (١) خرجت مع مصعب بن الزبير حين بلغه شخوص عبد الملك بن مروان إليه فلما نزل مصعب بمسكن (٢) ، ورأى معالم الغدر ممن معه ، دعاني ودعا بمال ومناطق (٣) وملأ المناطق من ذلك المال وألبسني منها ، قال لي : انطلق حيث شئت فإني مقتول ، فقلت له : والله لا أريم (٤) حتى أرى سبيلك ، فأقمت معه حتى قتل .

ثم مضيت إلى الكوفة فأول بيت صرت إليه دخلته ، فإذا فيه امرأة لها ظبيتان ، فرقيت في درجة لها إلى مشربة (٥) فقعدت فيها ، فأمرت لي المرأة بما أحتاج إليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء ، فأقمت كذلك عندها أكثر من حول تقيم لي ما يصلحني ، وتغدو علي كل صباح فتسألني بالصباح والحاجة (٦) ، ولا تسألني من أنا ، ولا أسألها من هي ، وأنا في ذلك أسمع الصياح في والجعل .

فلما طال بي المقام ، وفقدت الصياح في ، وغرضت (٧) بمكاني ، غدت علي

(١) الأغاني ص ٧٦ ج ٥

(٢) مسكن موضع على نهر دجيل (شعب من دجلة) بالكوفة ، به كانت الواقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢ ﻫ ، وبه قتل مصعب

(٣) المنطق : ما يشد على الوسط (٤) لا أريم : لا أبرح (٥) المشربة : الغرفة والعلية

(٦) أي تقول : كيف أصبحت ؟ وما حاجتك ؟ (٧) غرضت : مللت

تسألنى بالصباح والحاجة ، فعرفتها أنى قد غرضت وأحببت الشخوص إلى أهلى ، فقالت لى : نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى .

فلما أمسيت ، وضرب الليل بأرواقه ، رقيت إلى وقالت : إذا شئت ! فنزلت وقد أعدت راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ، ومعهما عبد ، وأعطت العبد نفقة الطريق وقالت : العبد والراحلتان لك .

فركبت وركب العبد معى حتى طرقت أهلى فى مكة ، فدققت منزلى ، فقالوا لى : من هذا ؟ فقلت : عبيد الله بن قيس الرقيات ، فولولوا وبكوا ، وقالوا : ما فارقنا طلبك إلا فى هذا الوقت ، فأقمت عندهم حتى أسحرت (١) .

ثم نهضت ومعى العبد حتى قدمت المدينة ، فجئت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عند المساء وهـــو يعشى أصحابه ، فجلست معهم ، وجعلت أتعاجم وأقول : ياريار (٢) ابن طيار (٣) ، فلما خرج أصحابه كشفت له عن وجهى ، فقال : ابن قيس ؟ فقلت : ابن قيس ، جئتك عائذاً بك ، قال : ويحك ! ما أجدهم فى طلبك ! وأحرصهم على الظفر بك ! ولكنى سأكتب إلى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، فهى زوجة الوليد بن عبد الملك ، وعبد الملك أرق شىء عليها . فكتب إليها يسألها أن تشفع له إلى عمها ، وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتاباً يسألها الشفاعة

فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها : هل من حاجة ؟ فقالت : نعم لى حاجة فقال : قد قضيت كل حاجة لك إلا ابن قيس الرقيات ، فقالت : لاتستثن على شيئاً ، فنفح (٤) بيده فأصاب خدها ، فوضعت يدها على خدها ، فقال يابنتى ، ارفعى يدك قد قضيت كل حاجة لك ، وإن كانت ابن قيس الرقيات ، فقالت : إن حاجتى ابن قيس الرقيات تؤمنه ، فقد كتب إلى أبى يسألنى أن أسألك ذلك ، قال : فهو آمن ، فربه يحضر مجلسى العشية .

فحضر ابن قيس وحضر الناس حين بلغهم مجلس عبد الملك ، فأخر الإذن ، ثم أذن للناس ، وأخر إذن ابن قيس الرقيات حتى أخذوا مجالسهم ، ثم أذن له ، فلما دخل عليه قال عبد الملك : يا أهل الشام ، أتعرفون هذا ؟ قالوا : لا ، فقال : هذا عبيد الله بن قيس الرقيات الذى يقول :

---

(١) أسحر : دخل فى وقت السحر (٢) يار : كلمة فارسية ، ومعناها : الصاحب والشفيق والمعين (٣) الطيار : لقب جعفر بن أبى طالب ، والد عبد الله هذا .

(٤) نفح بيده : ضرب بها ضربة خفيفة

كيف نومى على الفراش ولما   تشمل الشام غارة شعواء؟
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى   عن خدام (١) العقيلة العذراء

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، استقدم هذا المنافق ! قال : الآن وقد أمنته وصار فى منزلى وعلى بساطى ! قد أخرت الاذن له لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستأذنه ابن قيس أن ينشده مديحه فأذن له ، فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

عاد له من كثيرة (٢) الطرب (٣)   فعينه بالدموع تنسكب
كوفيـة نازح محلتها   لا أمم (٤) دارها ولا صقب (٥)
والله ما إن صبت إلى ولا   يعرف بينى وبينها سبب
إلا الذى أورثت كثيرة فى الـقلب ، وللحب سـورة (٦) عجب

حتى قال فيها :

إن الأغر الذى أبوه أبو العاصى عليـه الوقار والحجب
يعتدل التاج فوق مفرقه   على جبين كأنه الذهب (٧)

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس ، تمدحنى بالتاج كأنى من العجم ، وتقول فى مصعب :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء .
ملكه ملك عزة ليس فيه   جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً !

فذهب ابن قيس إلى عبد الله بن جعفر ، وقال : ما نفعنى أمانى . تركت حيا كميت ، لا آخذ مع الناس عطاء أبداً .

---

(١) الخدام : جمع خدمة (بالتحريك) وهى الخلخال قال فى اللسان : أراد وتبدى عن خدام العقيلة، وخدام هنا نائبة عن خدامها، وعدى تبدى بعن لأن فيه معنى تكشف (٢) كثيرة : هى التى نزل بدارها عبد الله بن قيس فآوته وأصبح بعد ذلك يذكرها كثيرا فى شعره (٣) الطرب : الحزن هنا (٤) لا أمم دارها : ليست قريبة (٥) الصقب : الملاصقة
(٦) السورة : شدة الأمر (٧) وفى هذه القصيدة :

ما نقموا من بنى أمية إلا   أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم سادة الملوك فما   تصلح إلا عليهم العرب

فقال له عبد الله : كم بلغت من السن؟ قال: ستين سنة . قال: فعمر (١) نفسك ، قال : عشرون سنة من ذي قبل (٢) ؛ فذلك ثمانون سنة قال : كم عطاؤك ؟ قال : ألفا درهم فأمر بأربعين ألف درهم ، وقال : ذلك لك على إلى أن تموت على تعميرك نفسك .

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح عبد العزيز بن مروان

لم يصح هذا الفؤاد من طربه	وميله في الهوى وفي لعبه (٣)
أهلا وسهلا بمن أتاك من الر	قة يسرى اليك في سخبه (٤)
باتت بحلوان تبتغيك كما	أرسل أهل الوليد في طلبه (٥)
بدلها الحب فاشتفيت كما	تشفي دماء الملوك من كلبه (٦)
سقيا لحلوان ذي الكروم وما	صنف من تينه ، ومن عنبه
نخل مواقير بالفناء من ال	برني غلب يهتز في شربه (٧)
أسود سكانه الحمام فما	تنفك غربانه على رطبه
لتهنه مصر والعراق وما	بالشام من بزه ومن ذهبه (٨)
فيهم بهاء اذا أتيتهم	لا نائل يغيض من حلبه (٩)
اثن على الطيب ابن ليلى اذا	اثنيت في دينه وفي حسبه (١٠)

---

(١) عمر نفسه . قدر لها قدرا محدوداً (٢) يقال . أفعل ذلك من ذي قبل . أي أفعله في المستقبل

(٣) يصحو : يفيق . الطرب : الاهتزاز فرحا . يصف فؤاده بالعشق والهيام

(٤) الرقة : بلدة على الفرات . وأخرى غربي بغداد ، وغيرهما . السخب : جمع سخاب قلادة من قرنفل وغيره .

(٥) حلوان مصر هي المرادة هنا . تبتغيك : تطلبك . الوليد : الصبي .

(٦) الكلب : داء عضة الكلب يشفى بدماء الملوك في زعمهم .

(٧) مواقير : جمع موقر . النخلة الثقيلة الحمل ، البرني : التمر . غلب جمع غلباء الحديقة المتكاثفة . الشرب حوض صغير حول النخلة يسع ريها .

(٨) تهنه : تسره . البز : الثياب . من الكتان والقطن .

(٩) بهاء : حسن وظرف . نائل : عطاء . يغيض : ينقص . حلب : لبن محلوب أو استخراج ما في الضرع . والمراد العطاء الدائم .

(١٠) ابن ليلى: الممدوح . الحسب : الشرف .

من يصدق الوعد والقتال ويخـ ـشى الله فى حلمه وفى غضبه (١)
ومن تفيض الندى يداه ومن ينتهب الحمد عند منتهبه (٢)
أمك بيضاء من قضاعة فى الـ ـبيت الذى يستظل فى طنبه (٣)
وأنت فى الجوهر المهذب من عبد مناف، يداك فى سببه (٤)
يخلفك البيض من بنيك كما يخلف عود النضار فى شعبه (٥)
ليسوا من الخروع الضعيف كما جلت صقور الصليب من حدبه (٦)
نحن على بيعة الرسول وما أعطى من عجمه ومن عربه (٧)
بها نصرنا على العدو ونر عى الغيب فى نأيه وفى قربه (٨)
نأتى إذا مادعوت فى الحلق الـ ماذى أبدانه وفى جببه (٩)
نهدى رعالا أمام أرعن لا يعرف وجه البلقاء فى لجبه (١٠)
فيهم كريب يقود حير لا يعدل أهل القضاء عن خطبه (١١)
وعارض كالجبال من مضر الـ ـحمراء يشفى ذا العر من جربه (١٢)
وابنا نزار إذا هما اجتمعا لم يتركا هاربا على هربه (١٣)

---

(١) يصدق القتال : يظهر بسالة فيه . (٢) ينتهب الحمد : يسبق إليه .

(٣) قبيلة عظيمة تنسب إلى قحطان أحيانا وإلى عدنان أخرى . الطنب : حبل يشد به سرادق البيت والمراد يحتمى به .

(٤) الجوهر : الطبيعة والجبلة . عبد مناف أصل بنى أمية . السبب : الحبل.

(٥) النضار : الأثل أو الطويل المستقيم الغصون . الشعب : الغصون .

(٦) الخروع : نبت معروف يعظم قرب المياه . الصليب : جبل . حدبه: أعلاه. جلت : نظرت ـ أى ليسوا مستضعفين فيستذلهم قوى . بل هم كالجبل تنظر من قمته الطيور

(٧) ماأعطى : أى العهد الذى عاهده جميع الناس عليه

(٨) نرعى الغيب : نحفظ العهد

(٩) الحلق : جمع حلقة وهى الدرع. الماذى : الدرع اللينة أو السلاح كله. الجبب جمع جبة : وهى من السنان ما دخل فيه الرمح

(١٠) رعال جمع رعلة : القطعة من الخيل أو البقر. الأرعن : الجيش الكثيف. البلقاء : بلد بالشام. والمراد أننا نجيب دعوتك لنا بجيش ضخم يساعدك

(١١) كريب : يطلق على جماعة من الأشراف والعلماء والمقصود واحد بعينه

(١٢) العارض: الجيش. مضر الحمراء : هو مضر بن نزار أبو قبيلة عدنانية تعرف به.. العر : الجرب والمراد الزيغ

(١٣) ابنا نزار ربيعة ومضر

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح مصعب بن الزبير ويفتخر بقريش :

أقفرت بعد عبد شمس كداء ... فكدى فالركن فالبطحاء (١)

فمنى ، فالجمار من عبد شمس ... مقفرات فبلدح فحراء (٢)

فالخيام التى بعسفان فالجحـ ... ـفة منهم ، فالقاع فالأبواء (٣)

موحشات إلى تعاهن فالسقـ ... ـيا قفار من عبد شمس خلاء (٤)

قد أراهم وفى المواسم إذ يغـ ... ـدون حلم ونائل وبهاء (٥)

وحسان مثل الدمى عبشميا ... ت عليهن بهجة وحياء (٦)

لا يبعن العياب فى موسم النا ... س إذا طاف بالعياب النساء (٧)

ظاهرات الجمال والسرو ، ينظر ... ن كما ينظر الأراك الظباء (٨)

حبذا العيش حين قومى جميع ... لم تفرق أمورها الأهواء (٩)

---

(١) عبد شمس بن عبد مناف : جد الأمويين. كداء : جبل بأعلى مكة ، وكدى جبل بأسفلها . الركن : جانب الكعبة . البطحاء : مسيل واسع فيه حصى دقيق. يقال قريش البطحاء نسبة إلى بطحاء مكة .

(٢) الجمار : موضع بمنى . بلدح : واد قبل مكة أو جبل بطريق جدة . حراء : جبل بمكة فيه غار .

(٣) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة. الجحفة قرية على بعد ٨٢ ميلا من مكة جهة الشام . القاع : موضع عند المدينة . الأبواء : مكان عند ودان .

(٤) تعاهن : موضع بالحجاز . السقيا : بالمدينة .

(٥) نائل : كرم . بهاء : حسن وظرف .

(٦) الدمى جمع دمية : الصورة من العاج . عبشميات : منسوبات إلى عبد شمس أبى أمية .

(٧) العياب : جمع عيبة ما يجعل فيه الثياب

(٨) السرو : المروءة فى شرف ، فالنساء ينظرن كالظباء حين تتطاول إلى الشجر لتتناول ورقه ، وهذه النظرة بديعة تشعر بدلال وعزة

(٩) جميع : مؤتلفون . الأهواء جمع هوى : الميل عن الصواب ـ يأسف على تفرق قريش شيعا تتحارب على الملك

قبل أن تطمع القبائل فى ملـ ـك قريش وتشمت الأعداء
أيها المشتهى فناء قريش بيد الله عمرها والفناء
إن تودع من البلاد قريش لا يكن بعدهم لحى بقاء (١)
لو تقفى وتترك الناس كانوا غنم الذئب غاب عنها الرعاء (٢)
هل ترى من مخلد غير أن الله يبقى وتذهب الأشياء
يأمل الناس فى غد رغب الدهر ، الا فى غد يكون القضاء (٣)
لم نزل آمنين يحسدنا النا س ويجرى لنا بذاك الثراء (٤)
فرضينا ، فمت بدائك غما لا تميتن غيرك الأدواء
لو بكت هذه السماء على قو م كرام بكت علينا السماء
إنما مصعب شهاب من اللـ ـه تجلت عن وجهه الظلماء (٥)
ملكه ملك قوة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء
يتقى الله فى الأمور وقد أفـ ـلح من كان همه الاتقاء
عين فابكى على قريش وهل يرجع مافات إن بكيت البكاء
معشر حتفهم سيوف بنى العـ ـلات يخشون أن يضيع اللواء (٦)
ترك الرأس كالثغامة منى نكبات تسرى بها الأنباء (٧)
مثل وقع القدوم حل بنا فالنـ ـاس مما أصابنا أخلاء (٨)
ليس لله حرمة مثل بيت نحن حجابه عليه الملاء (٩)

---

(١) تودع : تهلك . البلاء الغم والوهن (٢) تقفى : تذهب : الرعاء : جمع راع . يقول : لو ذهبت قريش كان الناس كالغنم تكون طعمة الذئاب اذا تركتها الرعاة (٣) رغب الدهر : رغائبه . (٤) الثراء الخير . (٥) الشهاب : الكوكب . تجلت : انكشفت . (٦) الحتف : الموت . بنو العلات : الأقارب . والاصل فيهم بنو أمهات شتى من أب واحد . يقول : ان قريشا منقسمة على أنفسها فى سبيل الملك ، فمن هلك منها فبيد بنيها (٧) الثغامة : شجرة بيضاء الزهر ، أى أشيب . تسرى : تسير ليلا (٨) أخلاء جمع خلو : أى خل أى ليس عليهم وزر فيما نحن فيه من شقاق (٩) الحرمة . المهابة . والذمة وما لا يحل انتهاكه . الملاء جمع ملاءة الريطة والثوب يلبس على الأفخاذ

خصه الله بالكرامة فالبا	دون والعاكفون فيه سواء (١)
حرقته رجال لخم وعك	وجذام وحمير وصداء (٢)
فبنيناه بعد ما حرقوه	فاستوى السمك واستقل البناء (٣)
كيف نوى على الفراش ولما	يشمل الشام غارة شعواء (٤)
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى	عن براها العقيلة العذراء (٥)

أعشى همدان
المتوفى فى ٨٣ ﻫ

هو عبد الرحمن بن عبد الله ، أعشى همدان ، الشاعر المشهور .

نشأ بالكوفة فى بيت رفيع ، ونزع الى الأدب والشعر واللغة ، وتتلمذ فى الفقه على زوج أخته عامر الشعبى .

ولكنه انصرف إلى الشعر ينظمه ، ويجيد نظمه .

وسار شعره بين الناس،فبهرهم وملأ آذانهم لما فيه من قوة أسر، وبعد خيال ، ورودة لغة ، وسلامة أسلوب ، ولقبوه بأعشى همدان .

ورد على النعمان بن بشير وهو عامل حمص من قبل مروان بن الحكم ، فشكا إليه حاله، فرأى النعمان ، أن لهذه الشكاية ما بعدها ، فجمع اليمانية وقال لهم : هذا شاعر اليمن ولسانها ، وقد دفعته إلينا حاجة ، فهل من باذل ؟ فنزل له كل رجل عن دينار من عطائه ، وكانوا عشرين ألفاً فودح النعمان فقال :

---

(١) العاكف : المقيم فى المسجد . البادى : من هو خارجه . والمراد من فى مكة وخارجها (٢) لخم وجذام وصداء وحمير من اليمن وعك من نزار

(٣) السمك : السقف والقامة من كل شىء طويل ثخين . استقل : ارتفع

(٤) غارة شعواء : حملة متفرقة

(٥) تذهل : تنسى . البرى : حلقات السوار والقرط والخلخال ، المفرد برة . العقيلة : الكريمة المخدرة من النساء . العذراء : البكر ولا تسفر البكر، إلا وقت الهول والفزع

ولم أر للحاجات عند التماسها كنعمان ، نعمان الندى بن بشير
إذا قال أوفى مايقول ، ولم يكن كمدل إلى الأقوام حبل غرور
فلولا أخو الأنصار كنت كنازل ثوى ما ثوى ، لم ينقلب بنقير

وكان (١) أعشى همدان شاعر أهل اليمن بالكوفة وفارسهم ، وكان مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي بالري ، فلما قدم خالد من مغزاه خرج جواريه يتلقينه ، وفيهن أم ولد له كانت رفيعة القدر عنده ، فجعل الناس يمرون عليها إلى أن جازها الأعشى ، وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً من النعاس ، فقالت أم ولد خالد لجواريها : إن امرأة خالد لتفاخرني بأبيها وعمها وأخيها ، وهل يزيدون على أن يكونوا مثل هذا الشيخ المرتعش (٢) !

وسمعها الأعشى فقال : من هذه ؟ فقال له بعض الناس : هذه جارية خالد ، فضحك وقال لها : إليك عني يا لكعاء (٣) ، ثم أنشأ يقول :

وما يدريك ما فرس جرور (٤) وما يدريك ما حمل السلاح ؟
وما يدريك ما شيخ كبير عداه الدهر عن سنن المراح (٥)
فأقسم لو ركبت الورد (٦) يوماً وليلته إلى وضح الصباح ؟
إذن لنظرت . .

فأصبحت الجارية ، فدخلت إلى خالد فشكت إليه الأعشى . وقالت : والله ما تكرم ، ولقد اجترأ عليك ! فقال لها : وما ذاك ؟ فأخبرته أنها مرت برجل في وجه الصبح ، ووصفته له وأنه سبها ، فقال : ذلك أعشى همدان ، فأي شيء قال لك ؟ فأنشدته الأبيات ، فبعث إلى الأعشى ، فلما دخل عليه له قال له : ماتقول ؟ هذه زعمت أنك هجوتها ، فقال : أساءت سمعاً ، إنما قلت :

مررت بنسوة متعطرات كضوء الصبح أو بيض الأداحي (٧)
على شقر البغال فصدن قلبي بحسن الدل والحدق الملاح
فقلت : من الظباء ؟ فقلن : سرب بدالك من ظباء بني رياح

(١) الأغ في ص ٤٢ ج ٦

(٢) تريد الأعشى (٣) لكعاء : لئيمة (٤) فرس جرور : لاينقاد ولا يكاد يتبع صاحبه (٥) المراح : الاختيال والتبختر (٦) الورد من الخيل ما بين الكميت والأشقر .

(٧) الأداحي : جمع أدحية وهي مبيض النعام في الرمل

فقالت : لا ، والله ، ما هكذا قال ، وأعادت الأبيات .

فقال له خالد : أما والله لولا أنها قد ولدت منى لوهبتها لك ، ولكنى افتدى قسها بمثل ثمنها ، فدفعه إليه وقال : أقسمت عليك يا أبا المصبح أن لاتعيد فى هذا المعنى شيئاً بعد مافرط منك !

وورد الأعشى عملقا على خالد بن عتاب فأنشده

رأيت ثناء الناس بالقول طيبا ... عليك ، وقالوا ماجد وابن ماجد
بنى الحارث السامين للمجد : إنكم ... بنيتم بناء ذكره غير بائد
هنيئاً لما أعطاكم الله واعلموا ... بأنى سأطرى خالداً فى القصائد
فإن يك عتاب مضى لسبيله ... فما مات من يبقى له مثل خالد

فكافأه عتاب بخمسة آلاف درهم .

ومع ذلك فان عتابا على الرغم من كل هذا لم يسلم من هجاء أبى المصبح ، ذلك أنه مناه مرة الأمانى ، وأكثر له من الوعود الحسان إذا ولى ولاية ، حتى لقد قال له : إذا أسند إلى عمل أعطيتك خاتمى لتقضى بين الناس . فلما ولى أصبهان رحل إليه الأعشى فنسى وعوده ، وأهمله وجفاه ، فرجع الأعشى إلى الكوفة ، بعد أن أرسل فى هجائه أبياتاً سارت كل مسار . . ومنها :

أتذكرنا ومرة إذ غزونا ... وأنت على بغيلك ذى الوشوم
ويركب رأسه فى كل وحل ... ويعثر فى الطريق المستقيم
وليس عليك إلا طيلسان ... نصيبى ، وإلا سحق نيم
لقد أصبحت فى خز وقز ... تبختر ما ترى لك من حميم
وتحسب أن تلقاها زماناً ... كذبت ورب مكة والحطيم

وقد ابتدع الشاعر فى هذه القصيدة فنا من الشعر يمكن أن يسمى بالشعر الرمزى ، كما يقول باحث ، ذلك أن الأبيات حينما بلغت خالداً بعث إليه من يسأله عن «مرة» الذى ادعى أنه غزا معهما ، وعن « البغل » ذى الوشوم الذى كان خالد يركبه وأين كان ذلك ؟ ويسأله عن « الطيلسان » و « النيم » اللذين وصفهما ومتى رآه يلبسهما ؟ فضحك الأعشى حتى بدت نواجذه وقال : هذا كلام أردت به وصفه بظاهره . أما تفسيره : فان « مرة » مرارة ثمرة ما غرس عندى القبيح ، و « البغل » المركب الذى ارتكبه منى ولا يزال يعثر به كل وعر وسهل ، وأما الطيلسان فما ألبسه إياه من العار والذم . وإن شاء راجع الجميل فراجعته له .

فلما بلغ الحديث خالداً قال : إى والله ، إى والله أراجع معه الجميل ، وأرسل إليه من ترضاه .ووصله بمال .

وعاد الأعشى إلى ما كان له من المنزلة عند خالد ، ولكنه حضره مرة وهو يفرق العطايا فجعل له أقلها ، وفضل عليه آل عطارد ، فخرج غاضباً ، وهجاه فحبسه خالد ، ثم أطلقه بعد قليل ، فقال في هجائه :

وما كنت ممن ألجأته خصاصة إليك ، ولا ممن تغر المواعد
ولكنها الأطماع وهي مذلة دنت بي ، وأنت النازح المتباعد
أتحسبني في غير شيء ؟ وتارة تلاحظني شزراً وأنفك عاقد
فإنك لا كابني فزارة فاعلمن خلقت ، ولم يشبههما لك والد
وإنك لو ساميت آل عطارد لبزتك أعناق لهم وسواعد

ولم تكن حياة الشاعر حياة هدوء واستقرار ، فانه كان لا يزال غازياً محارباً ، نائيـــاً عن أهله ووطنه ، وله في هذه الغزوات شعر رائع،جهز الحجاج بن يوسف جيشاً من رجال الكوفة بينهم أعشى همدان إلى غزو الديلم ، فطال أمد هذه الحرب وأخذ الأعشى أسيراً ، فقذف به في السجن مكبلا . فبقى به حيناً ، وكانت قد رأته بنت أمير الديلم ، فراعها حسنه فدخلت عليه السجن وقالت له : أفرأيت إن خلصتك أتصطفيني لنفسك ؟ ! قال : نعم . فحلت قيوده ، وأخذت به طرقاً تعرفها حتى جاوزت به مدينة أبيها . وفي ذلك يقول :

أصبحت رهناً للعداة مكبلا أمسي وأصبح في الأداهم أرسف
ولقد أراني قبل ذلك ناعماً جذلان آبى أن أضام وآنف

وقد ضرب البعث على جيش أهل الكوفة إلى مكران . فأخرجه الحجاج معهم، وطال بمكران مقامه ومرض ، فاجتواها ، وقال في ذلك قصيدته :

ولم تك من حاجتي مكران ولا الغزو فيها ولا المتجر
وخبرت عنها ولم آتها فما زلت من ذكرها أذكر
فإن الكثير بها جائع وإن القليل بها مقتر
ولكن بعثت لها كارها وقيل انطلق كالذي يؤمر

وخرج عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج بن يوسف سنة اثنتين وثمانين ، وحشد معه جمعاً من أهل الكوفة .

وكان الأعشى فارس الثورة وشاعرها ، وأرسل الشعر بمدح ابن الأشعث وذم بني أمية والتحريض على الحجاج .

وتغلب الحجاج على الثوار سنة ثلاث وثمانين وأسر زعماءهم ، وكان منهم الأعشى ، فلما قدم على الحجاج أسيراً قال له : الحمد لله الذى أمكن منك ، ألست القائل لابن الأشعث وفرسك يهملج بك أمامه :

لما سمونا للكفور الفتان حين طغى بالكفر بعد الإيمان
بالسيد الغطريف عبد الرحمن سار بجمع كالقطا من قحطان
ومن معد قد أتى ابن عدنان أمكن ربى من ثقيف همدان
يوماً إلى الليل يسلى ما كان إن ثقيفاً منهم الكذابان

كذابها الماضى وكذاب ثان

ثم ألست القائل :

يا ابن الأشج قريع كندة لا أبالى فيك عتبا
أنت الرئيس ابن الرئيس وأنت أعلى الناس كعبا
نبئت حجاج بن يو سف ، خر من زلق ، فتبا
فانهض فديت لعله يجلو بك الرحمن كربا
وابعث عطية فى الجنو د يكبهن عليه كبا

كلا ياعدو الله ، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذى خر من زلق فتب ، وحار وانكب ، وما لقى ما أحب ، ورفع بها صوته واربد وجهه واهتز منكباه ، فلم يبق أحد فى المجلس إلا ارتعدت فرائصه ، فتلعثم الأعشى وقال : بل أنا القائل أيها الأمير :

أبى الله إلا أن يتمم نوره ويطفىء نار الفاسقين فتخمدا
وينزل ذلا بالعراق وأهله كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما لبث الحجاج أن سل سيفه علينا فولى جمعنا وتبددا
وما زحف الحجاج إلا رأيته حساما ملقى فى الحروب معودا

فقال من حضر من أهل الشام : قد أحسن أيها الأمير فخل سبيله ، فقال : أتظنون أنه أراد المدح ؟ لا والله ، ولكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه ، وأراد به أن يحرض أصحابه ، ثم أقبل عليه فقال له : أظننت ياعدو الله أنك تخدعنى بهذا الشعر وضرب عنقه

هذه هي حياة الأعشى وألوان من قصائده .. أما شعره فشعر قوي عذب رائع، يبدو فيه أثر الاسلام والحضارة بوضوح ، يقول :

أبى الله إلا أن يتمم نوره ويطفىء نار الكافرين فتخمدا

وهو أسلوب تأثر فيه بأسلوب القرآن الكريم .. ويقول :

مررت بنســوة متعطرات بضوء الصبح أو بيض الأداحى
على شقر البغال ، فصدن قلبي بحسن الدل والحدق الملاح
فقلت : من الظباء ؟ فقلن سرب بدا لك من ظبــاء بنى رياح

فتجد أسلوبا حضريا جميلا ، لا يشبه أساليب البداوة

والحياة الاسلامية في القرن الأول كانت ملأى بألوان من الحضارة ، وظهر فيها أثر القرآن الكريم وروحه واضحا ، فلا بدع أن يظهر ذلك في إنتاج الشعراء ، وفى أعشى همدان الشاعر الذى عاش فى الكوفة وشاهد مدن فارس والعراق خلال غزواته وحروبه .

يمدح خالد بن عتاب الرياحى فيقول :

رأيت ثناء الناس بالقول طيبا عليك وقالوا : ماجد وابن ماجد
بنى الحارث السامين للمجد : إنكم بنيتم بناء ذكره غير بائد
هنيئا لما أعطاكم الله واعلموا بأنى سأطرى خالداً فى القصائد
فان يك عتاب مضى لسبيله فما مات من يبقى له مثل خالد

فنجد ألوانا من مشاعر الحضرى وحياته ، ومن روح الاسلام الواضح فى البيت الأول .

وفى الحق أن عوامل ثلاثة أثرت فى شعر الأعشى :

أولها : حياته العسكرية .

وثانيها : أثر الحضارة التى بدأت تظل العالم الاسلامى فى القرن الأول .

وثالثها (وهو أكثرها أثراً ، وأبعدها شأنا) : الاسلام الكريم .

وأثر الاسلام فى شعره يرجع إلى ما كان يقتبسه الأعشى من أساليب القرآن ، وإلى تأثره بروحه ، وإلى ظهور العاطفة الدينية فى شعره ، وإلى استمداده من المعانى والأفكار الاسلامية .

وأثر الحضارة فى شعره يرجع إلى هـذا التهذيب الفنى الذى نلمسه فى قصائده ،

وإلى استواء أسلوبه ، وسلامته وجماله وعذوبته ، وإلى ظهور كثير من الأوصاف في شعره للبلاد التي شاهدها ، والمناظر التي رآها

والمتتبع لشعر الأعشى وديوانه يرى هذه الألوان واضحة فيه إلى حد كبير .

النزعات الفنية في شعر الأعشى :

أسلوب الشاعر إذا فيه آثار من التهذيب الفني البعيد، وشعره في هذه الناحية قريب من شعر الحطيئة الشاعر المصنع المشهور ، ويبدو فيه أثر الاحتذاء لاسلوب القرآن الكريم

وألفاظه بعيدة عن حوشية الجاهلية وغرابتها، وفيها كثير من ألفاظ القرآن الكريم .

ومعانيه يبدو فيها ترتيب الفكرة وعمقها ودقتها وخصبها وامتلاؤها بآثار المعاني والأفكار الاسلامية

وأهم لون من ألوان الشعر أجاد فيه الاعشى هو الشعر السياسي، وهو واضح كل الوضوح في هذا المدح والهجاء للساسة ورجالاتها في عصره، وفي هذا الجانب السياسي من تأييده لدعوة ابن الاشعث وحزبه

إلى غير ذلك من المظاهر الفنية الكثيرة في شعر الأعشى

عمران بن حطان

المتوفى عام ٨٤ هـ

نشأ عمران(١) بن حطان السدوسي بالبصرة حيث تعلم وتأدب وأصبح شاعراً مجيداً صادقا في شعره ، كما كان ديناً، وبذ الناس في العلم والحديث ، وأدرك صدراً من الصحابة، وروى عنهم

ثم اعتنق مذهب الشراة من الخوارج ، وتزعم فرقة منها اسمها (القعد)، وأصبح خطيبها وشاعرها ، فطارده الحكام وأخذ يتنقل بين العراق والشام وعمان متخفيا، حتى مات بالكوفة عام ٨٤ هـ وقيل ٨٩ هـ

(١) راجع وصف عمران بن حطان وبلاغته في زهر الآداب ص ٦ ج ٤

وشعره يمثل حرارة العقيدة ، وقوة الايمان ، وسمو الروح ، ويمتاز بالجزالة والفحولة والبلاغة

فهو شاعر فصيح من شعراء الشراة ودعاتهم المقدمين فى مذاهبهم ، وكان من القعدة لأن عمره طال فضعف عن الحرب وحضورها ، فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه، وهو مغال فى التعصب على علي ،يؤيدذلك قوله فى مدح ابن ملجم قاتل علي ، وهو :

لله در المرادى الذى سفكت كفاه مهجة شر الخلق انسانا
أمسى عشية غشاه بضربته مما جناه من الآثام عريانا

وأخذ هذا المذهب عن امرأته لأنها خارجية تزوجها ليردها عن مذهبها فذهبت به إلى رأيهم، وكان الحجاج يلح فى طلب عمران بن حطان . وبلغه أن غزالة الحرورية دخلت على الحجاج فتحصن منها وأغلق عليه قصره ، فكتب إليه عمران :

أسد على وفى الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس تركت مدابره كأمس الدابر

ثم لحق بالشام ونزل على روح بن زنباع . واشتهر شعر ابن حطان فى عصره حتى كان لا يقول أحد من الشعراء شعراً إلا نسب إليه لشهرته، إلا من كان مثله فى الشهرة ، ومر بالفرزدق وهو ينشد وكان يتهمه أنه يقول الاستجداء فيكذب، فقال فيه :

أيها المادح العباد ليعطى إن لله ما بأيدى العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم وارج فضل المقسم العواد
لا تقل بالجواد ما ليس فيه وتسمى البخيل باسم الجواد

وكان عمران يفتخر أنه لم يكذب فى شعره، ومن ذلك قوله يخاطب امرأته حمزة:

يا حمز إنى على ما كان من خلقى مثن بخلات صدق كلها فيك
الله يعلم أنى لم أقل كذبا فيما علمت وأنى لا أزكيك

ويروى (١) أنه لما أطرد (٢) الحجاج عمران بن حطان، كان يتنقل فى القبائل،

---

(١) رغبة الآمل ص ٨٤ ج ٧ ؛ الكامل ص ١٠٨ ج ٢
(٢) أطرده : أمر بطرده ، وإخراجه عن البلد

فكان إذا نزل فى حى انتسب نسبا يقرب منه .

ثم خرج حتى نزل عند روح بن زنباع الجذامى ، فانتمى له من الازد ، وكان روح يقرى الأضياف ، وكان مسامرا لعبد الملك بن مروان ، أثيراً (١) عنده ، وكان روح لا يسمع شعراً نادرا ، ولا حديثا غريبا عند عبد الملك ثم يسأل عنه عمران بن حطان إلا عرفه وزاد فيه ، فذكر ذلك لعبد الملك ، فقال : إن لى جاراً من الأزد ما أسمع من أمير المؤمنين خبراً ولا شعراً إلا عرفه وزاد فيه ! فقال : خبرنى ببعض أخباره ، فخبره وأنشده ، فقال : إن اللغة عدنانية ، وإنى لأحسبه عمران بن حطان !

ثم تذاكروا ليلة قول عمران بن حطان يمدح ابن ملجم(٢) :

يا ضربة من تقى ما أراد بها   إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنى لأذكره حينا فأحسبه   أوفى البرية عند الله ميزانا

فلم يدر عبد الملك لمن هو! فرجع روح إلى عمران فسأله عنه ! فقال : هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن ماجم قاتل على بن أبى طالب .

فرجع روح إلى عبد الملك ، فأخبره ، فقال له عبد الملك : ضيفك عمران ابن حطان ! اذهب فجئنى به ، فرجع إليه ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أحب أن يراك . قال عمران : قد أردت أن أسألك ذلك ، فاستحييت منك فامض ، فانى بالأثر ، فرجع روح إلى عبد الملك فأخبره ، فقال عبد الملك : أما إنك سترجع فلا تجده ، فرجع وقد ارتحل عمران ، وخلف رقعة فيها :

يا روح كم من أخى مثوى(٣) نزلت به   قد ظن ظنك من لخم وغسان
حتى إذا خفته فارقت منزله   من بعد ما قيل عمران بن حطان
قد كنت جارك حولا ماتروعنى   فيه روائع(٤) من إنس ومن جان
حتى أردت بى العظمى(٥) فأدركنى   ما أدرك الناس من خوف ابن مروان
فاعذر أخاك ـ ابن زنباع ـ فانه   فى النائبات خطوبا(٦) ذات ألوان

(١) أثيرا مكرماً   (٢) ابن ماجم : قاتل على بن أبى طالب .
(٣) المثوى : منزل الضيافة ، وأخى : صاحب ، وظن ظنك : رأى رأيك من أنى رجل هين ، ولخم وغسان من اليمن من كهلان   (٤) روائع : الروع : الخوف ، والواحدة رائعة (٥) العظمى لقاء عبد الملك ، إذ كان حربا على الخوارج
(٦) الخطوب : الأمور العظيمة

يوما يمان إذا لاقيت ذا يمن … وإن لقيت معدياً فعدنانى(١)

لوكنت مستغفرا يوما لطاغية(٢) … كنت المقدم فى سرى وإعلانى

لكن أبت لى (٣) آيات مطهرة … عند الولاية فى طه وعمران

ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحارث الكلابى أحد بنى عمرو بن كلاب ، فانتسب له أوزاعيا (٤) ، وكان عمران يطيل الصلاة ، وكان غلمان من بنى عامر يضحكون منه ، فأتاه رجل يوما ممن رآه عند روح بن زنباع ، فسلم عليه ، فدعاه زفر ، فقال : من هذا ؟ قال : رجل من الأزد رأيته ضيفا لروح بن زنباع : فقال له زفر : ياهذا ، ازديا مرة وأوزاعيا مرة ؟ إن كنت خائفا آمناك ، وإن كنت فقيرا جبرناك ، فلما أمسى هرب ، وخلف فى منزله رقعة فيها :

إن التى أصبحت يعيا بها زفر … أعيت عياء(٥) على روح بن زنباع

ماز ل يسألنى حولا لأخبره … والناس من بين مخدوع (٦) وخداع

حتى إذا انقطعت (٧) عنى وسائله … كف السؤال ولم يولع إملاع(٨)

فاكفف كما كف عنى ، انى رجل … إما صميم (٩) وإما فقعة القاع

واكفف لسانك عن لومى ومسألتى … ماذا تريد إلى شيخ لأوزاع (١٠)

أما الصلاة فانى غير تاركها … كل امرىء للذى يعنى به ساع

أكرم بروح بن زنباع وأسرته … قوم دعا أوليهم (١١) للعلا داع

جاورتهم سنة فيما أسر به … عرضى صحيح ونومى غير تهجاع(١٢)

فاعمل فانك منعى (١٣) بواحدة … حسب اللبيب بهذا الشيب من ناع

---

(١) يقول : أنا يوما يمان على الرفع يريد أنه متنقل .

(٢) أى لنفس طاغية : أو يريد بالطاغية المذكر وزاد التاء للتوكيد والمبالغة كراوية وعلامة ونسابة. والطاغية الجبار

(٣) أبت لى : منعتنى الاستغفار لك . وطه وعمران : سورتان فى القرآن ، وكان الخوارج يعتقدون أن غيرهم على ضلال. (٤) أوزاعى: نسبة إلى أوزاع بطن من همدان

(٥) يعيا بها : يعجز عنها . وأعيت عليه : أعجزته . والمراد معرفة ذاته

(٦) مخدوع : مصدق لما أقول . وخداع : ماكر محتال (٧) انقطعت عنى وسائله : الوسائل جمع وسيلة وهى الذريعة والسبب (٨) بإملاعى : بإفزاعى وترويعى (٩) الصميم : الخالص من كل شىء ، أى من خالص قومه. الفقعة : الكمأة البيضاء . القاع : أرض سهلة (١٠) الأوزاع: الجماعات وبطن من همدان

(١١) أوليهم: جمع أول أى آباءهم فهم أمجاد

(١٢) تهجاع : نوم خفيف (١٣) مخبر بوفاتك

ثم ارتحل حتى أتى عمان ، فوجدهم يعظمون أمر أبى بلال ويظهرونه ، فأظهر أمره فيهم ، فبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى أهل عمان ، فارتحل عمران هارباً حتى أتى قوما من الأزد فلم يزل فيهم حتى مات ، وفى نزوله بهم يقول :

نزلنا بحمد الله فى خير منزل ... نسر بما فيه من الأنس (١) والخفر
نزلنا بقوم يجمع الله شملهم ... وليس لهم عود سوى المجد يعتصر
من الأزد إن الأزد أكرم معشر ... يمانية طابوا إذا نسب البشر
فأصبحت فيهم آمنا لا كمعشر ... أتونى فقالوا : من (٢) ربيعة أو مضر؟
أم الحى قحطان فتلكم سفاهة ... كما قال لى روح وصاحبه زفر
وما منهما (٣) إلا يسر بنسبة (٤) ... تقربنى منه وإن كان ذا نفر
فنحن (٥) بنو الإسلام والله واحد ... وأولى عباد الله بالله من شكر !

ومن شعر عمران هذه القصيدة التى خاطب بها روح بن زنباع لما دعاه لمقابلة عبد الملك بن مروان فارتحل عنه وترك له هذه الأبيات وقد تقدم بعضها :

يا روح كم من أخى مثوى نزلت به ... قد ظن ظنك من لخم وغسان (٦)
حتى إذا خفته فارقت منزله ... من بعد ما قيل : عمران بن حطان ! (٧)
قد كنت جارك حولا ما تروعنى ... فيه روائع من إنس ومن جان (٨)
حتى أردت بى العظمى فأدركنى ... ما أدرك الناس من خوف ابن مروان (٩)

---

(١) نسر . . الخ : أصل الخفر شدة الحياء . يقال امرأة خفرة : إذا كانت مستترة لاستحيائها .

(٢) يريد : أمن ربيعة أم من مضر ؟

(٣) وما منها واحد ، لحذف لعلم المخاطب .

(٤) النسبة : بالضم والكسر : النسب .

(٥) يقول : انقطعت الولاية إلا ولاية الإسلام لأن ولاية الاسلام قد قاربت بين الغرباء ، والله يقول : إنما المؤمنون إخوة .

(٦) المثوى : منزل الضيافة . أخو : صاحب . ظن ظنك : رأى فى رأيك من أنى رجل هين . لخم وغسان من اليمن من كهلان .

(٧) أى من بعد ما عرف حقيقتى . (٨) تروعنى : تفزعنى

(٩) العظمى : لقاء عبدالملك بن مروان الخليفة الأموى وكان حربا على الخوارج

فاعذر أخاك (ابن زنباع) فإن له   فى النائبات خطوبا ذات ألوان (١)
يوما يمان إذا لاقيت ذا يمن   وإن لقيت معدياً فعدنانى (٢)
لو كنت مستغفراً يوما لطاغية   كنت المقدم فى سرى وإعلانى (٣)
لكن أبت لى آيات مطهرة   عند الولاية فى طه وعمران (٤)

---

(١) الخطوب : جمع خطب الأمر العظيم
(٢) يمان : أى أنا يمان أنتسب إلى اليمن
(٣) الطاغية الجبار
(٤) أبت : منعتنى الاستغفار لك : الولاية : السياسة ، طه وعمران : سورتان فى القرآن الكريم

الأخطــل

٢٠ — ٩٠ هـ

٦٤٠ — ٧٠٨ م

شاعر أموى مشهور ، من شعراء السياسة والأحزاب ، كان هواه مع هوى بنى أمية ، وقربه الخلفاء إليهم وقارعه الفرزدق وجرير فطارت شهرته فى كل مكان

وهو أبو مالك غياث(١) بن غوث التغلبى النصرانى.

جده سالة بن طارقة من شجعان العرب وفرسانهم ، حتى إن النعمان بن المنذر أرسل أربعة سيوف لفرسان العرب فنال سلة سيفا منها .. وأم الأخطل هى ليلى من إياد ، وآباؤه من قبيلة تغلب المشهورة وكانت تقيم بأرض الجزيرة شمال الشام ، بقيت تدفع الجزية للسلمين تمسكا بنصرانيتها ، وانضمت إلى عبد الملك بن مروان فى حرب ابن الزبيرهى والقبائل المضرية المجاورة لها .

ولد الأخطل نحو عام ٢٠ هـ فى خلافة عمر . وقال الشعر وهو صغير ، وبدأ بهجاء امرأة أبيه..ثم اصطفاه يزيد بن معاوية وهو ولى عهد معاوية نديما وجليسا .

ولما شبب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية (٥) فقال :

---

(١) لقب بالأخطل وتختلف فى ذلك الروايات اختلافا كبيرا . يقال إنه هجا رجلا من قومه فقال : إنك ياغلام لأخطل فغلب عليه ، وقيل إن شاعر تغلب كعب بن جعيل قال : إن غلامكم هذا لأخطل . وقيل إن ابنى جعيل تحاكما إليه أيهما أشعر فقال :

لعمرك إننى وابنى جعيل وأمهما لأستار لئيم

فقيل له : إن هذا لخطل من قولك فسمى الأخطل (٢/٢٣١ الأمالى)

(٢) الأغانى ص ١٤٢ ج ١٤ ، مهذب الأغانى ص ٢٨ ج ٤

رمل هل تذكرين يوم غزال   إذ قطعنا   مسيرنا   بالتمنى
إذ تقولين : عمرك الله هل شـىء وإن جل سوف يسليك عنى

وبلغ ذلك يزيد بن معاوية ، فغضب ودخل على معاوية وقال : يا أمير المؤمنين ألا ترى إلى هذا العلج (١) من أهل يثرب يتهكم بأعراضنا ، ويتشبب بنسائنا ؟ قال : ومن هو ؟ قال : عبد الرحمن بن حسان ، وأنشده ماقال .

فقال : يا يزيد ، ليست العقوبة من أحد أقبح منها من ذوى القدرة ، ولكن أمهل حتى يقدم وفد الأنصار ، ثم ذكرنى .

فلما قدم وفد الأنصار ذكره به ، فلما دخلوا عليه قال : ياعبد الرحمن ، ألم يبلغنى أنك تشبب برملة بنت أمير المؤمنين ، قال : بلى ، ولو علمت أن أحداً أشرف به شعرى أشرف منها لذكرته ! قال : وأين أنت عن أختها هند ! قال : وإن لها لأختا ؟ قال : نعم ـ وإنما أراد معاوية أن يشبب بهما جميعا فيكذب نفسه ـ فلم يرض يزيد ما كان من معاوية فى ذلك أن يشبب بهما جميعا .

فأرسل إلى كعب بن جعيل فقال : اهج الأنصار ، فقال : أفرق من أمير المؤمنين، ولكن أدلك على الشاعر الكافر الماهر ، قال : ومن هو ؟ قال : الأخطل .

قال : فدعا به ، فقال : اهج الأنصار ، قال : أفرق من أمير المؤمنين ، فقال : لاتخف شيئا ، أنا لك بذلك ، فهجاهم فقال :

وإذا نسبت ابن الفريعة (٢) خلته   كالجحش بين حمارة وحمار
لعن الإله من اليهود عصابة   بالجزع بين جلاجل وصرار (٣)
قوم إذا هدر العصير رأيتهم   حمرا عيونهم من المسطار (٤)
خلوا المكارم لستمو من أهلها   وخذوا مساحيكم (٥) بنى النجار
ذهبت قريش بالمكارم والعلا   واللؤم تحت عمائم الأنصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير . فدخل على معاوية ، فحسر عن رأسه عمامته ، وقال : ياأمير المؤمنين أترى لؤما ! قال : لا ، أرى كرما وخيرا ، ماذاك ؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائمنا ، قال : أو فعل ! قال : نعم ، قال : لك لسانه

---

(١) العلج : الرجل الشديد الغليظ .
(٢) الفريعة : هى أم حسان بن ثابت .   (٣) صرار : اسم جبل ، وجلاجل مكان .   (٤) المسطار : من أسماء الخمر التى اعتصرت من أبكار العنب .
(٥) المساحى : جمع مسحاة وهى المجرفة من الحديد .

وكتب فيه أن يؤتى به ، فلما أتى به ، سأل الرسول ليدخل إلى يزيد أولا ، فأدخله عليه ، فقال : هذا الذى كنت أخاف ، قال : لا تخف شيئا ، ودخل على معاوية ، فقال : علام أرسل إلى هذا الرجل وهو يرمى من وراء جمرتنا !(١)، قال هجا الأنصار . قال : ومن زعم ذلك ؟ قال : النعمان بن بشير ، قال : لا يقبل قوله عليه ، وهو يدعى لنفسه ، ولكن تدعوه بالبينة ، فإن أثبت شيئاً أخذت به له ، فدعاه بالبينة ، فلم يات بها فخلى سبيله .

فقال الأخطل من قصيدة يمدح يزيد :

وانى غداة استعبرت أم مالك — لراض من السلطان ان يتهددا
ولولا يزيد ابن الملوك وسيبه — تجللت حدبارآ(٢) من الشرأ نكدا
وكم انقذنى من جرور (٣) حبالكم — وخرساء (٤) لو يرمى بها الفيل بلدا
ودافع عنى يوم جلق (٥) غمرة — وهما ينسينى السلاف المهودا (٦)
وبات نجيا فى دمشق لحية — إذا عض لم ينم السليم وأقصدا
يخفته طورا وطورا إذا رأى — من الوجه إقبالا ألح وأجهدا
أبا خالد (٧) دافعت عنى عظيمة — وأدركت لحمى قبل أن يتبددا
وأطفأت عنى نار نعمان بعد ما — أغذ لأمر عاجز وتجردا
ولما رأى النعمان دونى ابن حرة — طوى الكشح(٨) إذ لم يستطعنى وعردا
ولاق امرأ لا ينقض القوم عهده — أمر القوى دون الوشاة وأحصدا
تخمط فحل الحرب حتى تواضعت — له واعتلاها ذا مشيب وأمردا
وما وجدت فيها قريش لأمرها — أعف وأوفى من أبيك وأمجدا
وأصلب عودا حين ضاقت أمورهم — وهمت معد أن تخيم وتخمدا
وأورى بزنديه ولو كان غيره — غداة اختلاف الأمر أكبا واصلدا

والقصيدة ،وهى طويلة غاية فى الجودة

ولما ولى يزيد الخلافة اجمل معاملة الأخطل. وكذلك صنع الخلفاء بعده ولاسيما عبد الملك ،فكان يدخل على الملوك فى مجالسهم ويحظى عندهم ، فانتشر له صيت بعيد

---

(١) الجمرة : اجتماع القبيلة الواحدة على من ناوأها .
(٢) الناقة الذاهبة السنام العارية العظام (٣) البئر البعيدة القعرة (٤) الداهية
(٥) دمشق (٦) المسكن (٧) يزيد بن معاوية (٨) الخصر

واتصل بالحجاج ومدحه بقصيدة منها

أحيـا الاله لنا الإمام فانه ... خـير البرية للذنوب غفـور
نور أضاء لنا البلاد وقد دجت ... ظلم تـكاد بهـا الهـداة تجـور
الفاخرون بكل يوم صالح ... واخو المكارم بالفعال فخور
فعليك بالحجاج لاتعدل به ... احدا إذا نزلت عليك أمور
ولقد علمت وانت أعلمنا به ... أن ابن يوسف حازم منصور
وأخو الصفاء فما تزال غنيمة ... منه يجيء بها إليك بشير

ومنها :

ولقد علمت بلاءه فى معشر ... تغلى شناة صدورهم وتفور
والقوم زأرهم وأعلى صوتهم ... تحت السيوف غماغم وهرير

إلى أن قال :

طلب الأزارق بالكتائب اذ هوت ... بشبيب غائلة النفوس غدور

وكان الجحاف (١) بن حكيم السلمى من فتاك العرب ، وكان من خبر ابن عمه عمير ابن الحباب السلمى أنه نهض فى الفتنة التى كانت بالشام بين قيس وكلب بسبب الزبيرية والمروانية ، فلقى فى بعض تلك المغاورات (٢) خيلا لبنى تغلب، فقتلوه ، فلما اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان ووضعت تلك الحرب أو زارها، دخل الجحاف على عبد الملك والأخطل عنده ، فالتفت إليه الأخطل فقال :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر ... لقتلى أصيبت من سليم وعامر !

فقال الجحاف مجيباً له :

بلى ، سوف أبكيهم بكل مهند ... وأبكى عميراً بالرماح الخواطر (٣)

ثم قال : يابن النصرانية ، ماظننتك تجترىء على بمثل هذا ولو كنت مأسوراً ! فحم الأخطل فرقاً من الجحاف ، فقال عبد الملك : لاترع فانى جارك منه ، فقال الأخطل : ياأمير المؤمنين ، هبك تجيرنى منه فى اليقظة ، فكيف تجيرنى فى النوم !

---

(١) مجمع الأمثال ص ٢٤ ج ٢ ، معجم البلدان ص ١٨٦ ج ٢ ، والجحاف فاتك ثائر ، شاعر ، كان معاصرا لعبد الملك بن مروان ، توفى نحو سنة ٩٠ هـ

(٢) أغار وهم : أغير عليهم ويغيرون على ، والمغاورة مفاعلة (٣) خطر الرمح : اهتز

ثم نهض الجحاف من عند عبد الملك يسحب كساءه ، فقال عبد الملك : إن فى قفاه لغدرا ، ومر الجحاف لطيته ، وجمع قومه وأتى الرصافة ، ثم سار إلى بنى تغلب فصادف فى طريقه أربعمائة منهم فقتلهم ، ومضى إلى البشر (١) فصادف عليه جمعا من تغلب ، فقتل منهم خمسمائة رجل ، وتعدى الرجال إلى قتل النساء والولدان ، فنادته عجوز منهم ، وقالت : ياجحاف ، أتقتل النساء ! فانخزل ورجع .

فبلغ الخبر الأخطل ، فدخل على عبد الملك ، وقال :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكى والمعول

فأهدر عبدالملك دم الجحاف ، فهرب إلى الروم ، فكان بها سبع سنين ، ومات عبد الملك ، وقام الوليد بن عبد الملك ، فاستؤمن للجحاف . فأمنه ، فرجع !

واستمر الأخطل على اتصال بالخلفاء مقربا لديهم أثيرا عندهم ، واتخذه عبدالملك ابن مروان شاعر دولته ، وأغدق عليه العطاء .

وكذلك كانت منزلته عند الوليد بن عبد الملك

وله مدائح جيدة فى خلفاء بنى أمية وأمرائهم وولاتهم ، وظل كذلك حتى توفى عام ٩٠ هـ

قصائد الأخطل :

وقد اشتهر الاخطل بقصائده الطوال الجياد الممتازة فى البلاغة والروعة والفصاحة والبيان.. .وسنذكر لك بعض هذه القصائد

قال الأخطل يمدح يزيد لما شفع فيه عند النعمان بن بشير الانصارى وقد حلف ليقطعن لسانه بقصيدة طويلة عدها أبو زيد فى جمهرته من الملحمات :

تغير الرسم من سلمى باجفار (٢) وأقفرت من سليمى دمنة الدار
وقد تكون بها سلمى تحدثنى تساقط الحلى حاجاتى واسرارى

الى أن قال

ومهمه طامس تخشى غوائله قطعته بكلوء العين مسهار
بجرة كأتان الضحل اضمرها بعد الربالة ترحالى وتسيارى

الى أن قال

وشارب مربح بالكاس نادمنى لا بالحصور ، ولا فيها بسوار

(١) البشر : ماء لبنى تغلب
(٢) موضع لتغلب

نازعته طيب الراح "شمول وقد ... صاح الدجاج وحانت وقعة السارى
من خمر عانة ينصاع الفرات لها ... بجدول صخب الآذى جرار
ليست بسوداء من ميثاء مظلمة ... ولم تعذب بادناء من النار
لها رداآن نسج العنكبوت وقد ... حفت بآخر من ليف ومن قار
صهباء قد كلفت من طول ما حبست ... فى مخدع بين جنات وأنهار
عذراء لم تجتل الخطاب بهجتها ... حتى اجتلاها عبادى بدينار

الى أن قال

انى حلفت برب الراقصات وما ... أضحى بمكة من حجب واستار
وما بزمزم من شمط محلقة ... وما بيثرب من عون (١) وابكار
لا لجأني قريش خائفا وجلا ... وموّلتنى قريش بعد اقتار
المنعمون بنو حرب (٢) وقد حدقت ... بى المنية واستبطأت أنصارى
قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت باطهار

وقال الاخطل لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين: زعم ابن المراغة يعنى جريرا أنه يبلغ مدحتك فى ثلاثة أيام وقد أقمت فى مدحتك خف القطين فراحوا منك أو بكروا، سنة فما بلغت ما اردت . فقال عبد الملك ماسمعناها يا أخطل . فلما انشدها جعل عبد الملك يتطاول لها . ثم قال : اتريد يا أخطل أن اكتب الى الآفاق انك اشعر العرب ؟ قال: أكتفى بقول أمير المؤمنين ، ثم خرج به مولى لعبد الملك بعد أن خلع عليه وحباه بالاموال الكثيرة وهو يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين هذا أشعر العرب . وكان عبد الملك يقول ان لكل قوم شاعرا وشاعر بنى أمية الاخطل . ومطلع القصيدة .

خف القطين فراحوا منك أو بكروا (٣) ... وأزعجتهم (٤) نوى فى صرفها غير
كانى شارب يوم استبد بهم ... من قرقف (٥) ضمنتها حمص اوجدر

---

(١) العوان النصف من النساء بفتح الصاد والجمع عون

(٢) حرب جد معاوية بن ابى سفيان

(٣) ابتكروا (٤) اقلقتهم (٥) بفتح فسكون ففتح قهوة

جادت بها من ذوات القار مترعة (١) كلفاء (٢) ينحت (٣) عن خرطومها (٤) المدر
لذا أصابت حمياها مقاتله فلم تكد تنجلى عن قلبه الخمر
كانى ذاك أو ذرلوعة خبلت (٥) اوصاله أو اصابت قلبه النشر
حثوا المطى (٦) فولتنا مناكبها وفى الخدور اذا باغمتها الصور
ياقاتل الله وصل الغانيات اذا أيقن أنك ممن قد زها الكبر
أعرضن لما حنى قوسى موترها وابيض بعد سواد اللمة الشعر
ما يرعوين الى داع لحاجته ولا لهن الى ذى شيبة وطر
شرقن اذا عصر العيدان بارحها وأيبست غير مجرى السنة الخضر
فالعين عانية بالماء تسفحه من نية فى تلاقى أهلها ضرر
منقضبين (٧) انقضاب الحبل يتبعهم بين الشقيق (٨) وعين المقسم البصر
حتى هبطن من الوادى لغضبته ارضا تحل بها شيبان أوغبر (٩)
حتى اذا هن وركن القصيم وقد اشرفن أوقلن هذا الخندق (١٠) الحفر (١١)
وقعن (١٢) أصلا وعجنا من نجائبنا وقد تحين من ذى حاجة سفر
الى امرىء لا تعرينا نوافله أظفره الله فليهنأ له الظفر
الخائض الغمر (١٣) والميمون طائره خليفة الله يستسقى به المطر
والهم بعد نجى النفس يبعثه
بالحزم والأصمعان (١٤) القلب والحذر
والمستمر به أمر الجميع فما يغتره بعد توكيد له غرر

---

(١) مملوءة (٢) قانية فى لونها (٣) ينكشف (٤) فم (٥) خنلت
(٦) المطايا
(٧) منقطعين (٨) موضع فى ديار بنى سليم بالجزيرة (٩) غبر بضم ففتح من بنى تيم من بنى يشكر (١٠) موضع (١١) المحفور
(١٢) نزلن عشيا (١٣) الماء الكثير
(١٤) الاصمع الذكى القلب المتيقظ والرأى الحازم

وما الفرات إذا جاشت جواليه (١)   فى حافتيه وفى أوساطه العشر (٢)

وزعزعته رياح الصيف واضطربت   فوق الجآجىء من آذيه عذر

مسحنفر من جبال الروم يستره   منها أكافيف فيها دونه زور

يوما بأجود منه حين تسأله   ولا بأجهر منه حين يجتهر

ولم يزل بك واشيهم ومكرهمو   حتى أشاطوا بغيب لحم من يسروا

فمن يكن طاوياً عنا نصيحته   وفى يديه بدنيا دوننا حصر

فهو فداء أمير المؤمنين إذا   أبدى النواجذ يوما باسل ذكر

مفترش كافتراش الليث كلكله   لوقعة (٣) كائن فيها له جزر

مقدما مائتى ألف لمنزله   ما إن رأى مثلهم جن ولا بشر

يغشى القناطر يبنيها ويهدمها   مسوم فوقه الرايات والقتر

حتى تكون لهم بالطف (٤) ملحمة   وبالثوية (٥) لم ينبض بها وتر (٦)

وتستبين لأقوام ضلالتهم   ويستقيم الذى فى خده صعر (٧)

ثم استقل بأثقال العراق وقد   كانت له نعمة فيها ومدخر

فى نبعة من قريش يعصبون بها   ما إن يوازى بأعلى نبتها الشجر

علوا الهضاب وحلوا فى أرومتها   أهل الرياء وأهل الفخر إن فخروا

حشد على الحق عيافو الخنا أنف   إذا ألمت بهم مكروهة صبروا

وإن تدجت (٨) على الآفاق مظلمة   كان لهم مخرج منها ومعتصر (٩)

أعطاهم الله جدا ينصرون به   لاجد إلا صغير بعد محتقر

لم يأشروا فيه إذ كانوا مواليه   ولو يكون لقوم غيرهم أشروا

شمس العداوة حتى يستقاد لهم   وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا (١٠)

---

(١) أمواجه (٢) نبت (٣) لوثبة (٤) الذى بالطف مصعب بن الزبير

(٥) بظهر الكوفة وبها قبر زياد بن أبيه وسميت بالثوية لأنها كانت سجنا لآل المنذر إذا حبسوا فيها الرجل ثوى فيها (٦) يريد أنها حرب صعبة ليس فيها رمى وإنما الطعن والضرب (٧) ميل الخد من الكبر (٨) اظلمت والاسم الدجنة

(٩) ملجأ (١٠) هذا أجزل بيت وأرزنه وامدحه ، ولما طرق اذن عبد الملك قال : هذه المزمارة لو وضعت على زبر الحديد لاذابتها . . وعن عمر بن شبة قال قيل لأبى العباس السفاح ان رجلا شاعرا قد مدحك فتسمع شعره، قال وما عسى أن يقول فى بعد قول ابن النصرانية فى بنى أمية : « شمس العداوة ـ البيت »

لا يستقل ذوو الأضغان حربهم ولايبين فى عيدانهم خور
هم الذين يبارون الرياح اذا قل الطعام على العافين أوقتروا
بنى أمية نعماكم مجللة تمت فلا منة فيها ولا كدر
بنى أمية قد ناضلت دونكم أبناء قوم هم آووا وهم نصروا
أفحمت عنكم بنى النجار قد علمت عليا معد وكانوا طالما هدروا
حتى استكانوا وهم منى على مضض والقول ينفذ مالا تنفذ الابر
بنى أمية إنى ناصح لكم فلا يبيتن فيكم آمنا زفر
واتخذوه عدوا إن شاهده وما تغيب من اخلاقه دعر (١)
إن الضغينة(٢) تلقاها وان قدمت كالعر يكمن حينا ثم ينتشر
وقد نصرت أمير المؤمنين بنا لما أتاك ببطن الغوطة الخبر
يعرفونك رأس ابن الحباب وقد أضحى وللسيف فى خيسومه أثر
لايسمع الصوت مستكا مسامعه وليس ينطق حتى ينطق الحجر
أمست إلى جانب الحشاك جيفته ورأسه دونه اليحموم والصور
يسأله الصبر من غسان اذ حضروا والحزن(٣) كيف قراك الغلمة الجشر(٤)
والحرث بن أبى عوف لعبن به حتى تعاوره العقبان(٥) والسبر
وقيس عيلان حتى أقبلوا ركضا فبايعوك جهارا بعد ما كفروا
فلا هدى الله قيسا من ضلالتهم ولا لعا(٦) لبنى ذكوان(٧) اذا عثروا
ضجوا من الحرب اذ عضت غواربهم وقيس عيلان من أخلاقها الضجر
كانوا ذوى أمة (٨) إذا علقت بهم حبائل للشيطان وابتهروا
صكوا على شارف صعب مراكبها حصاء(٩) ليس لها هلب(١٠) ولا وبر(١١)
ولم يزل بسليم أمر جاهلها حتى تعايا بها الايراد والصدر
اذ ينظرون وهم يجنون حنظلهم(١٢) إلى الزوانى فقلنا بعد ما نظروا

---

(١) شراسة وفساد خلق (٢) العداوة
(٣) يريد معاوية بن عمرو بن عدى بن مازن بن الأسد (٤) الذين يضربون على على إبلهم يقال رجل جاشر وقوم جشر بفتحتين (٥) طائر شبيه بالصقر أصغر من الحداة (٦) لا ارتفعوا (٧) رهط عمير بن الحباب (٨) ذوى نعمة (٩) الناقة الكبيرة المسنة ، والمعنى حملوا خطة صعبة كالناقة الشارف (١٠) التى لاذيل لها هلب جمع أهلب يعنى شعر الذنب (١٢) شبه الحرب بالحنظل لمرارته

كرو الى حرتيكم (١) تعمرونهما ... كما تكر إلى أوطانهـــا البقر
وأصبحت منهم سنجار خالية ... والمحلبيات فالخـــابور فالسرر
وما يلاقون فراصا (٢) إلى نسب ... حتى يلاقى جدى الفرقد القمر
ولا الضباب (٣) اذا اخضرت عيونهم ... ولا عصية إلا أنهم بشر
وما سعى منهم ساع ليدركنا ... الا تقاصر عنا وهو منبهر
وقد أصابت كلاب من عداوتنا ... إحدى الدواهى التى تخشى وتنتظر
وقد تفاقم أمر غـــير ملتئم ... ما بيننا رحم فيه ولا عـــذر
أما كليب بن يربوع فليس لهم ... عند التفارط (٤) إيراد ولا صدر
مخلفون ويقضى الناس أمرهم ... وهم بغيب وفى عمياء ماشعروا
ملطمون بأعقاد الحياض فما ... ينفك من دارمى فيهم أثر
بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم ... إذا جرى فيهم المزاء (٥) والسكر
قوم تناهت إليهم كل مخزية ... وكل فاحشة سبت بها مضر
على العيارات هداجون قد بلغت ... نجران أو حدثت سوآتهم هجر
الآكلون خبيث الزاد وحدهم ... والسائلون بظهر الغيب ما الخبر
واذكر غدانة (٦) عدانا (٧) مزنمة ... من الحبلق (٨) تبنى حولها الصير
تمذى (٩) إذا سخنت فى قبل أذرعها ... وتزرئم إذا ما بلها المطـــر
وما غدانة فى شىء مكانهم ... الحابسون الشاء حتى يفضل السؤر (١٠)
يتصلون بيربوع ورفدهم (١١) ... عند الترافد مغمور ومحتقـــر
صفر المحامن وقود الادخنات إذا ... رد الرفاد وكف الحالب القرر

---

(١) حرة سليم وغيرها (٢) هو ابن معن بن مالك القيسى من باهلة (٣) معاوية ابن كلاب من قيس وكان يقال بنى فراص من بنى تغلب

(٤) التقدم فى طلب الماء . (٥) بين الحموضة والحلاوة .

(٦) غدانة بن يربوع (٧) العدان جمع عتود وهو الجذع من المعزى

(٨) بفتحتين فلام مشددة مفتوحة غنم صغار لا تكبر وقصار المعز ودمامها

(٩) تطول إذا ضربها الحر وتنقبض فى البرد (١٠) جمع سؤر وهو ما يفضل فى الإناء (١١) القدح الضخم

وهذه قصيدة أخرى له يفضل فيها الفرزدق على جرير :

بكر العواذل يبتدرن ملامتى ... والعاذلون فكلهم يلحانى(١)
فى أن سقيت بشربة مقذية ... صرف مشعشعة بماء شنان(٢)
فظللت أسقى صاحبى من بردها ... عمداً لأرويه كما أروانى
وذكرت إذ جرت الشمال فهيجت ... شوقاً لنا — رياً وأم أبان(٣)
والحارثية ، إننى مهد لها ... مدحا يشب بهن كل مكان(٤)
لاقيتهن بجمع ، فأريننى ... صور المها بزخارف البنيان(٥)
ونحورهن دياسق من فضة ... ونواهد كنواعم الرمان(٦)
ومرمل الحناء يصبح قانئا ... كدم الذبيح بأروح وبنان(٧)
ينظرن من خلل الستور بأعين ... نجل يهتن العاشقين حسان(٨)
نظراً مخالسة وهن صوائد ... بخدورهن وأحسن الألوان(٩)
وإذا رأين الشيب لم يقربنه ... والغانيات عن الكبير غوانى
يقطعن منه حبل كل مودة ... جهلا وهن إلى الشباب روانى(١٠)

---

(١) العواذل : جمع عاذلة ، اللائمة . يبتدرن ملامتى : يسرعن إلى لومى . يلحانى يعيبنى
(٢) مقذية : نظيفة ليس فيها قذى . صرف : نقية جيدة . مشعشعة : ممزوجة . شنان : ماء بارد ، وواد بالشام .
(٣) ذكرت : تذكرت . الشمال : ريح تهب بين الشرق وبنات نعش . ريا وأم أبان : علمان لامرأتين — أى ذكرت هؤلاء النسوة حين هبت الشمال
(٤) يشب الخ : يذكرن فى كل مكان .
(٥) المها : جمع مهاة البقرة الوحشية ، تشبه بها المرأة فى جمال العينين . الصورة الشكل — يعنى أنهن يشبهن الصور التى تزين بها الأبنية .
(٦) نحور : جمع نحر ، أعلى الصدر . دياسق : جمع ديسق ، وهو الصحن من الفضة — يشبه نحورهن بالفضة صفاء وصقلا .
(٧) مرمل الحناء : يقصد الحناء المرمل أى المزينة به المرأة يديها ورجليها . قانئا : شديد الحمرة . أروح : جمع راحة وهى باطن الكف دون الأصابع . البنان أطراف الأصابع ، المفرد بنانة . والمراد أروحهن وبنانهن .
(٨) خلل : جمع خلة الثقبة . نجل : جمع نجلاء الواسعة العين الحسنة .
(٩) مخالسة : مسروقا بسرعة وختل . الخدور : جمع خدر الستر أو البيت .
(١٠) الجهل هنا الجفاء ، روانى : دائمات النظر ، المفرد رانية .

إنى أديم لذى الصفاء مودتى ... وإذا تغير كنت ذا ألوان(١)
وأصدعن صرم الصديق تكرما ... حينا ، وما دهرى له بهوان (٢)
وأفارق الخلان عن غير القلى ... وأميت عندى السر بالكتمان(٣)
ولقد غدوت على القنيص بنهدة ... عند البديهة سهوة القذفان (٤)
تنقض فى أثر الأوابد مثل ما ... تنقض كاسرة من العقبان (٥)
ما بال قوم لاتغب أذاتهم ... قعس الظهور من الحبين بطان(٦)
هم هيجوا حربى وما لهم بها ... لو واجهتهم باللقاء يدان (٧)
حرب امرىء ما إن ترث سلاحه ... أبدا ولا يغتر بالحدثان (٨)
قبح الاله بنى كليب إنهم ... لايحفظون محارم الجيران (٩)

---

(١) كنت ذا ألوان : أى تغيرت له كما تغير .

(٢) صرم : قطيعة وهجر ، يقول : ماهمى هوانه .

(٣) الخلان : جمع خليل الصديق ، القلى : البغض ، أميت السر : لا أبديه فكأنه ميت .

(٤) غدوت : بكرت . القنيص : المصيد . نهدة : فرس حسن جسيم ، عند البديهة أى مستعدة للجرى حين تفجؤها به . السهوة : الموانية . القذفان ، سرعة الركض — يصف فرس الصيد

(٥) الأوابد : جمع آبدة وهى الوحش . كاسرة : منقضة . العقبان : جمع عقاب بضم العين طائر من الجوارح

(٦) ما بالهم : أى ماحالهم وماحصل لهم . لاتغب : لاتنقطع ، قعس الظهور مفرده أقعس ، وهو من خرج صدره ودخل ظهره ، ضد الاحدب ، الحبين : وجع فى البطن . بطان : عظام البطون ، المفرد بطن وبطين وبطان صفة لقوم (جرير)

(٧) مالهم بها يدان : أى ليست لهم عليها قدرة . اللقاء : الحرب

(٨) ترث : تبلى . الحدثان : النوائب . لايغتر بالحدثان : لاتأخذه النوائب على غرة لاستعداده لها دائما

(٩) بنو كليب : رهط جرير . محارم جمع محرمة مالا يحل انتهاكه

وإذا تنودب للمكارم والعلا	لم يندبوا لترادف الأعوان (١)
أجرير إنك والذى تسمو له	كاسيفة فخرت بحدج حصان (٢)
حملت لربتها فلما عوليت	نسلت تعارضها مع الاظعان (٣)
أتعد مأثرة لغيرك فخرها	وسناؤها فى سالف الازمان (٤)
تاج الملوك وفخرهم فى دارم	أيام يربوع مع الرعيان (٥)
متلفف فى فى بردة حبقية	بفناء بيت مذلة وهوان (٦)
يغذو بنيه بثلة مذمومة	ويكون أكبر همه ربقان (٧)
سبقوا أباك بكل مجمع تلعة	بالمجد عند مواقف الركبان (٨)
إخسأ كليب، إليك، إن مجاشعا	وأبا الفوارس نهشلا أخوان (٩)
قوم إذا خطرت عليك قرومهم	طرحوك بين كلاكل وجراز (١٠)

---

(١) تنودب: ندب الناس ودعا بعضهم بعضا، الترادف هنا: التعاون

(٢) تسمو له: تتعلق به من مفاخر ليست لك. الاسيفة: الامة: الحدج مركب النساء على البعير كالهودج، الحصان هنا: الحرة ضد الامة — يقول ان فخرك بما ليس لك كفخر الامة بحدج سيدتها

(٣) أى حملت حدج سيدتها. عوليت: علت الحدج. نسلت: أسرعت، تعارضها أى تعدو حيالها. الاظعان: النساء فى الهودج

(٤) مأثرة: محمدة ومفخرة. السناء: الشرف. سالف الأزمان: ماضيها. يقول له: تفخر بمآثر مضر وأنت من فخذ حقير هو يربوع لا مجد له.

(٥) دارم رهط الفرزدق، ويريد الأخطل تفضيله على جرير بهذا الشعر: الرعيان جمع راع: من يقوم على الماشية يخدمها

(٦) حبقية: نسبة إلى صانع أو الى نوع من الغنم

(٧) الثلة: الصوف أو جماعة الغنم. الربقان مثنى ربق: حبل يشد فى عنق البهم

(٨) التلعة: ما تعلا من الأرض. عند مواقف الركبان: أى عند المفاخرة والتحاكم

(٩) اخسأ: ابتعد محتقرا. اليك: تنح وابعد. مجاشع: قبيلة الفرزدق. نهشل قبيلة من تميم كمجاشع

(١٠) خطر الجمل بذنبه: رفعه مرة بعد أخرى. القروم: الفحول والأماجد جمع قرم، والكلاكل: جمع كلكل وهو الصدر، والجران: صفحة العنق

منزلته فى الشعر :

كان يونس يقدمه على الفرزدق وجرير لأنه أكثرهم عدد قصائد طوال جياد ليس فيها لحن ولا سقط

وكان أبوعبيدة يقول : شعراء الاسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق ، ويشبه شعر الأخطل بالنابغة لصحة شعره .. وقد سئل حماد الراوية عن الاخطل فقال : لاتسألونى عن رجل هو من أشعر شعراء النصرانية ، وقال: أشعر العرب شيخا وائل الأعشى فى الجاهلية وهو صناج العرب والأخطل فى الاسلام ، وكان يفضله على جرير والفرزدق فقال له الفرزدق لانه فاسق مثلك؟ فقال لو فضلته بالفسق لفضلتك ،وفضله سلمة بن عياش عليهما ، وكان اذا ذكر الاخطل يقول ومن مثل الاخطل ؟

وقال اسحق الشيبانى: الاخطل عندنا أشعر الثلاثة، فقلت : يقال إنه أمدحهم قال لاوالله ولكنه أهجاهم، من منهما يحسن أن يقول :

ونحن رفعنا عن سلول رماحنا وعمدا رغبنا عن دماء بنى نصر

وسأل سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز :أجرير أشعر أم الاخطل ؟ فقال له: أعفنى والله ، فقال لا أعفيك ، قال إن الاخطل ضيق عليه كفره القول وان جريرا أوسع عليه إسلامه قوله وقد لغ الأخطل منه حيث رأيت — وقد وصف خالد بن صفوان الاخطل لهشام بن عبد الملك وعنده الفرزدق وجرير والاخطل بقوله: أما أحسنهم نعتا وامدحهم بيتا وأقلهم فوتا الذى إن هجا وضع وان مدح رفع فالاخطل

وعن رجل من بنى سعد قال : كنت مع نوح بن جرير فى ظل شجرة فقلت له : قبحك الله وقبح أباك أما أبوك فافنى عمره فى مدح عبد ثقيف يعنى الحجاج وأما انت فامتدحت ثم بن العباس فلم تهتد لمناقبه ومناقب آبائه حتى امتدحته بقصر بناه ، فقال والله لئن سؤتنى فى هذا الموضع لقد سؤت فيه أبى ، بينا أنا آكل معه يوما وفى فيه لقمة وفى يده أخرى فقلت يا أبت أنت أشعر أم الاخطل ؟ فجرض باللقمة التى فيه ورمى بالتى فى يده وقال : يابنى لقد سررتنى وسؤتنى فاما سرورك إياى فلتعهدك لى مثل هذا وسؤالك عنه وأما ما سؤتنى به فلذكرك رجلا قد مات ، يابنى أدركت الاخطل وله ناب واحد ولو أدركته وله ناب آخر لأكلنى به ،ولكن أعاننى عليه خصلتان كبرسن وخبث دين ـ وقال الاصمعى: انما أدرك جرير

الاخطل وهو شيخ قد تحطم ، وقال أيضا : قيل لجرير ما تقول فى الأخطل ؟ قال كان أشدنا اجتزاء بالعليل ونعتا للخمر ، وقال أبو الخطاب حدثنى نوح بن جرير قال قلت لابى أنت أشعر أم الأخطل؟ فنهرنى وقال بئس ماقلت وما أنت وذاك لا أم لك ، فقلت وما أنا وغيره ، قال : لقد أعنت عليه بكفر وكبرسن ومارأيته الاخشيت أن يبتلعنى ، ثم قال : ما أخرج ابن النصرانية ما فى باطنه من الشعر حتى مات

وعن سماك بن حرب أن الفرزدق دخل الكوفة فلقيه ضوء بن الحلاج فقال له من أمدح أهل الاسلام ؟ فقال له وما تريد الى ذلك ؟ قال : الاخطل أمدح العرب

وكان الأخطل واثقا بنفسه عارفا انه راسخ القدم فى صناعة الشعر طويل الباع فيها حتى انه لم يكن يرى مزية عليه لشاعر الا من كان فى طبقة الاعشى — اخبر المدائنى قال : قال الأخطل: أشعر الناس قبيلة بنو قيس بن ثعلبة ، واشعر الناس بيتاً آل ابى سلمة واشعر الناس رجل فى قميصى ، وقال الأخطل فضلت الشعراء فى المديح والهجاء والنسيب بما لا يلحق بى فيه ، فأما النسيب فقولى

الا يااسلمى ياهند هند بنى بدر	وان كان حى قاعدا آخر الدهر
من الخفرات البيض اما وشاحها	فيجرى واما القلب منها فلا يجرى
تموت وتحيا بالضجيع وتلتوى	بمطرد المتنين منبتر الخصر

وقولى فى المديح

نفسى فداء امير المؤمنين اذا	ابدى النواجذ يوما صارم ذكر
الخائض الغمر والميمون طائره	خليفة الله يستسقى به المطر

وقولى فى الهجاء

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم	قالوا لأمهم : بولى على النـــار

وسأل عمر بن الوليد الاخطل عن أشعر الناس قال الذى كان اذا مدح رفع واذاهجا وضع، قال ومن هو؟ قال الاعشى ، قال ثم من قال ابن العشرين يعنى طرفة ، قال ثم من؟ قال أنا ، وسئل الأخطل: من اشعر الناس؟ قال الأعشى، قيل ثم من ؟ قال أنا

وخرج الفرزدق يوم بعض الملوك من بنى أمية فوقع له فى طريقه بيت أحمر من أدم فدنا منه وسأل فقيل له الأخطل، فأتاه فقال انزل فلما نزل قام اليه الأخطل وهو لا يعرفه الا أنه ضيف، فقعدا يتحدثان فقال له الاخطل ممن الرجل؟ قال من تميم، قال فانك اذن من رهط أخى الفرزدق فقال تحفظ من شعره شيئاً قال نعم كثيرا فما زالا

يتناشدان ويتعجب الأخطل من حفظه شعر الفرزدق الى أن عمل فيه الشراب فقال: أنا والله الذى أقول فى جرير فانشده فقام اليه الاخطل فقبل رأسه وقال لاجزاك الله عنى خيرا لم كتمتنى نفسك منذ اليوم وأخذا فى شرابهما وتناشدهما الى أن قال الأخطل : والله انك واياى لاشعر منه ولكنه أوتى من سيد الشعر مالم نؤته قلت أنا بيتا ماأعلم أن أحدا قال أهجى منه ، قلت:

قوم إذا استنبح الاضياف كلبهم   قالوا لأمهم بولى على النار

فلم يروه الاحكماء أهل الشعر ، وقال هو

والتغلبى اذا تنحنح للقرى   حك استه وتمثل الامثالا

فلم يبق سقاء ولا أمة له الا رووه، فقضيا له أنه أسير شعرا منهما .. وقال الأصمعى: كان الأخطل يقول تسعين بيتا ثم يختار منها ثلاثين فيظهرها .. وحضر جرير والفرزدق والاخطل هشاما فاحضر هشام ناقة فقال متمثلا ، أنيخها مابدالى ثم أرحلها ، ثم قال : أيكم أتم البيت كما أريد فهى له فقال جرير ، كانها معتق (١) يعدو بصحراء، فقال لم تصنع شيئاً فقال الفرزدق ، كانها كاسر بالدو (٢) فتخاء (٣) ، فقال لم تغن شيئا، فقال الأخطل: ترخى المشافر (٤) واللحيين (٥) إرخاء ، فقال اركبها لاحملت .. وامتدح الأخطل هشام بن عبدالملك فاعطاه خمسمائة دينار فتسخطها واشترى بها تفاحا وفرقه على الصبيان ولما بلغ ذلك هشاما قال قبحه الله ماضر الا نفسه ثم قال

ابنى أمية أن أخذت نوالكم   فلما أخذتم من مديحى أكثر

ابنى أمية لى مدائح فيكمو   تنسون إن طال الزمان وتذكر

ووفد الأخطل على معاوية فقال: إنى امتدحتك بابيات فقال : ان كنت شبهتنى بالحية والاسد والصقر فلا حاجة لى بها وان كنت قلت كما قالت الخنساء :

فما بلغ المهدون للناس مدحة   وان أطنبوا إلا الذى فيك أفضل

فقال الاخطل : والله لقد أحسنت ، وقد قلت فيك بيتين ما هما بدونهما

---

(١) أعتق فلان فرسه أعجلها وأنجاها (٢) الفلاة (٣) العقاب اللينة الجناح
(٤) جمع مشفر وهى من البعير كالشفة من الانسان (٥) اللحيان عظما الحنك اللذان عليهما الاسنان

إذا مات العرف وانقطع الندى　　فلم يبق الا من قليـل مصرد
وردت أكف السائلين وأمسكوا　　عن الدين والدنيا بحزن مجدد(١)

وهذا لعمرى أقبح ما يكون فى المدح ، وكأنه لم يجد فى مدح الخليفة إلا حديث الموت فابتدأ به .

الفرزدق

١٩ — ١١٠ هـ

شاعر مشهور ، ذائع الذكر ، معدود من أعلام الشعر العربى

وهو أبو فراس همام الفرزدق بن غالب بن صعصعة التميمى الدارمى

ولد عام ١٩ هـ فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وكان قومه بنو مجاشع بن دارم ممن نزلوا البصرة من بطون تميم بعد اختطاطها عندما فتحت العراق . ولجده صعصعة مآثر بيض فى الجاهلية ، منها أنه كان يفتدى الموءودات من ماله ، وقد افتخر الفرزدق بذلك قال :

وجدى منع الوائدات　　واحيا الوئيد فلم يوأد

وكان صعصعة شاعراً ايضاً وهو الذى يقول :

إذا المرء عادى من يودك صدره　　وكان لمن عاداك خدنا مصافيا
فلا تسألنى عمـــا لديه فانه　　هو الداء لايخفى بذلك خافيـا

وأما أبوه غالب بن صعصعة فقد اشتهر بالجود والكرم ، وفيه يفتخر الفرزدق بقوله :

على نفر هم من نزار ذوى العلا　　واهل الجراثيم التى لم تهدم
فلم يجز عن احسابهم غير غالب　　جرى لعنان كل ابيض خضرم

ولد الفرزدق فى خلافة عمر بن الخطاب ، واتى به أبوه غالب بعد واقعة الجمل

(١) ٧١ / ٤ زهر الآداب

إلى أمير المؤمنين على ابن أبي طالب بالبصرة فقال : ان بنى هذا من شعراء مضر فاسمع منه ، قال علمه القرآن فكان ذلك فى نفس الفرزدق ، فقيد نفسه فى وقت وآلى ان لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن وحفظه ، ومات غالب فى أول أيام معاوية ودفن بكاظمة ، فقال الفرزدق يرثيه :

لقد ضمت الاكفان من آل دارم فتى فائض الكفين محض الضرائب

ونشأ الفرزدق فى البصرة ولكنه خرج منها إلى الكوفة هارباً خوفاً من والى العراق زياد بن سفيان وكان حاقداً عليه لكثرة هجائه الناس وخصوصاً بنى نهشل، وكان سعيد منهم ثم هرب منه الى المدينة وكان العامل فيها من قبل معاوية سعيد بن العاص ، فأتاه الفرزدق ملتجئاً إليه ومدحه فقبله سعيد وأنعم عليه وعاش الفرزدق فى المدينة حتى تولى امارة المدينة مروان بن الحكم وكان لا يحب الفرزدق لهجوه ورديء سيرته واجتمع الى مروان أهل المدينة وشكوا إليه سفه الفرزدق وما قاله من الأشعار فى نسائهم وحرمهم فأجمعوا على حده وطرده من المدينة فلما علم بذلك الفرزدق خرج هارباً حتى اتى سعيد بن العاص واخبره بالخبر وكانت عنده حينئذ أولاد على بن أبي طالب واحفاده فأعطاه كل واحد منهم مئة دينار وراحلة وساعدوه على السفر من المدينة فرحل عنها متوجهاً إلى مكة وأخبر فى طريقه بموت زياد بن سفيان فرجع الى البصرة آمناً ، واتى عبيد الله بن زياد وامتدحه فقبله عبيد الله ووصله .

تزوج الفرزدق بالنوار ، ويروى ان رجلا من بنى امية خطب النوار بنت اعين المجاشعية فرضيته وجعلت امرها الى الفرزدق فقال: أشهدى على نفسك شهوداً ففعلت ، واجتمع الناس لذلك فقال الفرزدق لقد أشهدتكم النوار انها جعلت امرها لى وانا اشهدكم انى قد تزوجتها وأصدقتها كذا وكذا فانا ابن عمها واحق بها فبلغ ذلك النوار فابته واستترت منه فألح عليها فجزعت ولجأت الى بنى قيس ثم الى غيرهم ولم يزل يتتبع الفرزدق بالهجاء من كانت النوار تلجأ اليهم ، حتى اتت اخيراً مكة ونزلت لدى خولة بنت منظورة زوجة عبد الله بن الزبير واستشفعت بها إليه فانضم الفرزدق الى حمزة بن عبد الله واستشفع به الى أبيه فجعل امر الفرزدق يضعف وأمر النوار يقوى حتى حكم عبد الله على الفرزدق وأمره أن يختار إما طلاقها

وأما النفي الا أن النوار اذنت بعد ذلك لعبد الله بتزويجها بالفرزدق على مهر عشرة آلاف درهم فتزوجها واصطلحا وتزوجت به ورضيت به وولدت له الاولاد ولكن السعادة لم تدم له فانه خرج بها من مكة وكانت في الطريق تخالفه وتعيبه على فعاله لأنها كانت حسنة الدين وتكره كثيراً من امره ، فتزوج عليها حدراء بنت بسطام وكانت هذه أعرابية نصرانية فجعلت النوار تلومه وعيره بها جرير والشعراء

وبعد ذلك تزوج الفرزدق على النوار رهيمة بنت غنيم بن درهم من اليرابيع ثم طلقها لمنافرة امها له وهجا امها ولم تزل النوار ترققه وتستعطفه حتى اجابها إلى طلاقها واخذ عليها أن لاتفارقه ولا تبرح من منزله ولاتتزوج رجلا بعده ولاتقطع من مالها ما كانت تبذله له وأخذت عليه ان يشهد الحسن البصري على طلاقها ففعل ثم ندم على ذلك ، وقال :

ندمت ندامة الكسعى لما — غدت مني مطلقة نوار
ولو انى ملكت يدي وقلبي — لكان على للقدر الخيار
وكانت جنتي فخرجت منها — كآدم حين أخرجه الضرار
وكنت كفقيء عينيه عمداً — فأصبح ما يضيء له النهار

اشتهر الفرزدق بحبه الشديد لآل على بن أبي طالب ، لم يرده عن ذلك سطوة بني أمية وكان يجاهر في ذلك . روى صاحب الأغاني أن الفرزدق لقي الحسين بن علي متوجها إلى الكوفة خارجاً من مكة في اليوم السادس من ذي الحجة فقال له الحسين ماوراءك ؟ قال يا ابن الرسول أنفس الناس معك وأيديهم عليك . فقال ويحك معي وقر بعير من كتبهم يدعونني ويناشدونني . فلما قتل الحسين قال الفرزدق : فان غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا أنه سيدوم عزها وتبقى هيبتها وان صبرت عليه ولم تتغير لم يزدها الله الا ذلا الى آخر الدهر ، وأنشد :

فان أنتم لم تثأروا لابن خيركم — فالقوا السلاح واغزلوا بالمغازل

وروى أنه لما حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه فطاف وجهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه فلم يقدر لكثرة الزحام نصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أهل الشام فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبي طالب فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر تنحى له الناس حتى استلمه فقال رجل من أهل الشام من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا أعرفه

مخافة أن يرغب فيه أهل الشام فيملكوه ، وكان الفرزدق حاضرا فقال أنا أعرفه فقال الشامي ومن هو يا أبا فراس؟ فانشأ يقول قصيدة يمدحه :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم

وهى سبعة وعشرون بيتا فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وأمر بحبس الفرزدق بين مكة والمدينة فقال :

أتحبسنى بين المدينة والتى إليها قلوب الناس يهوى منيبها

فبلغ شعره هشاما فاطلقه . وبعث إليه زين العابدين بعشرة آلاف درهم :

وقدم الفرزدق إلى المدينة (١) فى سنة مجدبة ، فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز ، فقالوا له : أيها الأمير : إن الفرزدق قدم مدينتنا فى هذه السنة الجدبة التى قد أهلكت عامة الأموال التى لأهل المدينة ، وليس عند أحد منهم مايعطيه شاعرا . فلو أن الأمير بعث إليه فأرضاه ، وتقدم اليه ألا يعرض لأحد بمدح ولا هجاء !

فبعث اليه عمر : إنك يافرزدق قدمت مدينتنا فى هذه السنة الجدبة ، وليس عند أحد مايعطيه شاعرا . وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم ، فخذها ولا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء .

فأخذها الفرزدق . ومر بعبد الله بن عمر بن عثمان ، وهو جالس فى سقيفة داره ، عليه مطرف (٢) خز أحمر ، وجبة خز أحمر ، فوقف عليه ، وقال :

أعبد الله أنت أحق ماش وساع بالجماهير الكبار
نما الفاروق أمك وابن أروى أبوك فأنت منصدع النهار
هما قمرا السماء وأنت نجم به فى الليل يدلج (٣) كل سار

فخلع عليه الجبة والعمامة والمطرف ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

---

(١) الأغانى ص ٥٢ ج ١٩

(٢) رداء من خز مربع له أعلام (٣) أدلج : سار من أول الليل .

ويروى أنه لما ولى الحجاج(١) تميم بن زيد القينى السند دخل البصرة ، فجعل يخرج من أهلها من شاء ، فجاءت عجوز إلى الفرزدق ، فقالت : إنى استجرت بقبر أبيك وأتت منه بحصيات ـ فقال لها : وما شأنك ؟ قالت : إن تميم بن زيد خرج بابن لى معه ، ولا قرة لعينى ، ولا كاسب لى غيره ، فقال لها : وما اسم ابنك ؟ فقالت : خنيس

فكتب إلى تميم بن زيد مع بعض من شخص :

تميم بن زيد لا تكونن حاجتى	بظهر فلا يعيا على جوابها
وهب لى خنيسا واحتسب فيه منة	لعبرة أم ما يسوغ شرابها
أتتنى فعاذت يا تميم بغالب	وبالحفرة السافى عليها ترابها
وقد علم الأقوام أنك ماجد	وليث إذا ما الحرب شب شهابها

فلما ورد الكتاب على تميم تشكك فى الاسم ، فقال : أحبيش أم خنيس ؟ أنظروا من له مثل هذا الاسم فى عسكرنا . فأصيب ستة ما بين حبيش وخنيس . فوجه بهم إليه .

وقال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبى وقاص الزهرى :(٢) قدم الفرزدق المدينة فى إمارة أبان بن عثمان .

قال : فانى والفرزدق وكثيرا لجلوس فى المسجد نتناشد الأشعار ، إذ طلع علينا غلام شخت (٣) آدم فى ثوبين ممصرين (٤) ، ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلم . فقال : أيكم الفرزدق ؟ فقلت ـ مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ! فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا له ، فقال له الفرزدق : ومن أنت لا أم لك ! قال : رجل من بنى الأنصار ، ثم من بنى النجار ، ثم أنا ابن أبى بكر بن حزم . بلغنى أنك تزعم أنك أشعر العرب ، وتزعم مضر ذلك لك ، وقد قال صاحبنا حسان

---

(١) الكامل ص ٢٩١ ج ١

(٢) الأغانى ص ٣٣٧ ج ٩

(٣) الشخت : الدقيق الضامر أصلا لا هزالا

(٤) ممصران : أى مصبوغان بصفرة غير شديدة .

شعرا . فأردت أن أعرضه عليك وأؤجلك سنة ، فان قلت مثله فأنت أشعر العرب وإلا فانت كذاب منتحل ، ثم أنشده قول حسان :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحا	وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
متى ماتزرنا من معد عصابة	وغسان(١) تمنع حوضنا أن يهدما
أبى فعلنا المعروف أن ننطق الخنا	وقائلنـــا بالعرف إلا تكلما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق	فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

وأنشده القصيدة إلى آخرها ، وقال له : إني قد أجلتك فيها حولا ، ثم انصرف .

وانصرف الفرزدق مغضباً يسحب رداءه ما يدري أي طريق يسلك ، حتى خرج من المسجد .

قال : فأقبل كثير علي فقال : قاتل الله الأنصاري ! ما أفصح لهجته ، وأوضح حجته ، وأجود شعره ! ثم لم نزل في حديث الفرزدق والأنصاري بقية يومنا ،حتى إذا كان الغد خرجت من منزلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس ، وأتاني كثير فجلس معي ، فإنا لنتذاكر الفرزدق ونقول : ليت شعري ما فعل ؟ إذ طلع علينا في حلة أفواف (٢) يمانية موشاة ، له غديرتان ، حتى جلس في مجلسه بالأمس ، ثم قال : ما فعل الأنصاري ؟ فنلنا منه وشتمناه ، فقال : قاتله الله ! ما رميت بمثله ، ولا سمعت بمثل شعره ! فارقتكما فأتيت منزلي ، فأقبلت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر ، فكأني مفحم أو لم أقل قط شعراً حتى نادى المنادي بالفجر ، فرحلت ناقتي ، ثم أخذت بزمامها ، فقدتها حتى أتيت ذباباً (٣) ، ثم ناديت بأعلى صوتي : أخاكم أبا لبنى ! فجاش صدري كما يجيش المرجل ، ثم عقلت ناقتي ، وتوسدت ذراعها ، فما قمت حتى قلت مائة وثلاثة عشر بيتاً .

فبينما هو ينشدنا ، إذ طلع علينا الأنصاري حتى انتهى إلينا ، فسلم ثم قال : أما إني لم آتك لأعجلك عن الأجل الذي وقته لك . ولكني أحببت ألا أراك إلا سألتك عما صنعت ، فقال : اجلس ، ثم أنشده قصيدته :

---

(١) وغسان : الواو هاهنا للقسم .

(٢) أفواف : جمع فوف وهو القطن (٣) ذباب : جبل بالمدينة .

عرفت بأعشاش (١) وما كدت تعرف ... وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف
ولج بك الهجـــران حتى كأنما ... ترى الموت فى البيت الذى كنت تألف

فلما فرغ الفرزدق من إنشاده قام الأنصارى كئيباً ، فلما توارى طلع ابوه فى مشيخة من الأنصار فسلموا علينا وقالوا يا أبا فراس قد عرفت حالنا ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصيته بنا ، وقد بلغنا أن سفيها من سفهائنا تعرض لك ، فنسألك بالله لما حفظت فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووهبته لنا ولم تفضحنا . قال إبراهيم : فأقبلت أكلمه أنا وكثير ، فلما أكثرنا عليه قال . اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشى .

ودخل الفرزدق (٢) على سليمان بن عبد الملك ، فقال له : من أنت ؟ وتجهم له كأنه لا يعرفه ، فقال له الفرزدق : او ما تعرفنى يا أمير المؤمنين ؟! قال : لا ، قال : إنا من قوم منهم أوفى العرب ، وأسود العرب ، وأجود العرب ، وأحلم العرب ، وأفرس العرب ، وأشعر العرب .

قال : والله لتبينن ما قلت ، أو لأوجعن ظهرك ، ولأهدمن دارك .

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أما أوفى العرب فحاجب بن زرارة الذى رهن قوسه عن جميع العرب فوفى بها .

وأما أسود العرب فقيس بن عاصم الذى وفد على رسول الله صلى الله عليه فبسط له رداءه ، وقال : هذا سيد العرب .

وأما أحلم العرب فعتاب بن ورقاء الرياحى ، وأما أفرس العرب فالحريش ابن عبد الله السعدى ، وأما أشعر العرب فهأنذا بين يديك يا أمير المؤمنين ؟

فاغتم سليمان مما سمع من فخره ولم ينكره ، وقال : ارجع على عقبيك ، فما لك عندى شىء من خير ! فرجع الفرزدق وقال :

أتيناك لا من حاجة عرضت لنا ... إليك ولا من قلة فى مجاشع (٣)

---

(١) أعشاش : موضع فى بلاد بنى تميم .

(٢) العقد الفريد س ٢٥٥ ج ١

(٣) هو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة من تميم .

وكان كثير الزهو بنفسه والفخر بآبائه فى شعره . وكان قوى الذاكرة يحفظ من شعر العرب وأخبارها وأيامها الشيء الكثير ، ويضمن كل ذلك شعره ، مع ميل فيه إلى الغرابة ومداخلة بعض الكلام فى بعض.

ومن فخره قوله :

لنا العزة الغلباء والعدد الذى   عليه إذا عد الحصى يتحلف (١)
ولا عز إلا عزنا قاهر له   ويسألنا النصف الذليل فينصف (٢)
ومنا الذى لا ينطق الناس عنده   ولكن هو المستأذن المتنصف (٣)
تراهم تعوداً حوله وعيونهم   مكسرة أطرافها ما تصرف
إذا هبط الناس المحصب من منى   عشية يوم النحر من حيث عرفوا (٤)
ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا   وإن نحن أومأنا الى الناس وقفوا (٥)

والهجاء والمدح والفخر هى الفنون التى غلبت على شعره ، وقد تناول شعره غيرها فى التشبيب والوصف والسياسة .

ومن أبياته المتداخلة الأجزاء قوله يمدح هشام بن اسماعيل المخزومى خال هشام ابن عبد الملك :

وأصبح ما فى الناس إلا مملكا   أبو أمه حى أبوه يقاربه

وقوله :

وكل رفيق كل رحل ـ وإن هما   تعاطى القنا قوما هما ـ أخوان (٦)

ويقل فى شعره الحشو وقلق القوافى وعيوبها ، وعلى الجملة كان شعره فى لفظه وأسلوبه رصيفاً حصيفاً ، قوى الأسر شديد الروعة ، عميق الأثر .

وكانت أبياته التى يتمثل بها منه أكثر مما كان يتمثل به من شعر الأخطل وجرير

---

(١) أى يحلف الناس أنه عدد الحصى.

(٢) النصف بكسر النون وسكون الصاد : الانصاف .

(٣) المتنصف : المطلوب منه الانصاف .

(٤) المحصب موضع رمى الجمار بمنى . وعرفوا أى من حيث هبطوا من جبل عرفات.

(٥) كان الذى يؤم الناس ويدفع بهم من عرفات فى الجاهلية من تميم فيسيرون بسيره ويقفون بوقوفه

(٦) أى وكل رفيق فى سفر اخوان وصديقان وإن تعادى قوماهما من قبل

من ذلك قوله :

ركنا إذا الجبار صعر خده ضربناه حتى تستقيم الأخادع (١)

وقوله :

وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما أحال على الدم (٢)

وقوله :

ترى كل مظلوم إلينا فراره ويهرب منا جهده كل ظالم

وقوله :

ترجى ربيع أن تجيء صغارها بخير ، وقد أعيا ربيعا كبارها

وقال الفرزدق يذكر تفضيل الاخطل إياه على الشعراء ، ويمدح بنى تغلب ، ويهجو جريرا :

يابن المراغة والهجاء إذا التقت أعناقه وتماحك الخصمان(٣)

يابن المراغة ان تغلب وائل رفعوا عنانى فوق كل عنان(٤)

كان الهذيل يقود كل طمرة دهماء مقربة وكل حصان(٥)

---

(١) صعر خده : أماله عن الناس . والأخادع : جمع أخدع وهو عرق فى الرقبة أى ضربنا عنقه حتى يعتدل — أى إنما نعدل تصعير الجبارين خدودهم بضرب رقابهم

(٢) أحال على الدم : أقبل عليه يلغ فيه — يرميه بعدم الوفاء كالذئب الذى يربيه رجل فاذا رأى فى الرجل دما نسى اكرامه وتربيته وأقبل على دمه

(٣) ابن المراغة : جرير . خبر الهجاء : متعلق إذا أى حاصل وذائع إذا ... الخ . أعناقه : جماعته أى يكون إذا تناشده القوم بعضهم على بعض : تماحك : تخاصم وتمارى .

(٤) تغلب من ربيعة : قوم الأخطل . العنان بالكسر : سير اللجام ، وبالفتح: الجانب وهو الأنسب هنا .

(٥) أى الهذيل بن هبيرة ، الطمرة: الفرس الطويلة السريعة . الدهماء: السوداء . مقربة أى قريبة اليهم لكرمها وسرعتها يعمدون اليها حين الفزع .

يصهلن بالنظر البعيد كأنما ... إرنانها ببوائن الأشطان (١)
يقطعن كل مدى بعيد غوله ... خبب السباع يقدن بالأرسان (٢)
وكأن رايات الهذيل إذا بدت ... فوق الخميس كواسر العقبان (٣)
وردوا إراب بجحفل من وائل ... لجب العشى ضبارم الأركان (٤)
ويبيت فيه من الخافة عائذا ... ألف عليه قوانس الأبدان (٥)
تركوا لتغلب إذ راوا أرماحهم ... بإراب كل لئيمة مدران (٦)

---

(١) الصهيل : صوت الخيل . الارنان : التصويت . البوائن : الآبار المفرد بيون وهى البئر التى يصيب حبالها نواحيها . الأشطان جمع شطن : الحبل . يقول: كأنها تصهل من آبار بوائن لسعة أجوافها . ومعنى يصهلن بالنظر البعيد أنها تصهل إذا رأت شبحا من بعيد لحدة نظرها ونشاطها .

(٢) كل مدى : كل غاية بعيدة . غوله : بعده . الخبب للفرس : عدو فيه يقوم على رجليه تارة وعلى يديه أخرى . الأرسان جمع رسن : الحبل . يشبه الخيل بالسباع فى العدو .

(٣) الخميس : الجيش الضخم ، كواسر العقبان : أى المنقضة من العقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح - وهذا وصف لاسراع الخيل .

(٤) إراب : موضع . وهو يوم بين بنى يربوع وبكر بن وائل يقودهم الهذيل هذا . الجحفل : الجيش الكثير الخيل . لجب العشى : كثير الأصوات بالعشى وقت النزول للعلف فالأصوات كثيرة . الضبارم ، الغليظ ، الأركان : النواحى ، فأركان هذا الجيش شديدة ضخمة

(٥) عائذا : محتميا ، القوانس : أعالى البيض من الحديد ، المفرد : قونس ، الابدان : الدروع غير السوابغ

(٦) مدران : كثيرة الوسخ ، أى خلوا نساءهم وهربوا

تدمى ـ وتغلب يمنعون بناتهم ـ أقدامهن حجارة الصوان(١)
يمشين فى أثر الهذيل وتارة يردفن خلف أواخر الركبان(٢)
لولا أناتهم وفضل حلومهم اعوا أباك بأوكس الأثمان(٣)
والحوفزان أميرهم متضائل فى جمع تغلب ضارب بجران(٤)

أحبين تغلب إذ هبطن بلادهم لما سمن وكن غير سمان
يمشين بالفضلات وسط شروبهم يتبعن كل عقيرة ودخان(٥)
يتبايعون إذا انتشوا ببناتكم عند الاياب بأوكس الأثمان(٦)
واسأل بتغلب كيف كان قديمها وقديم قومك أول الأزمان
قوم همو قتلوا ابن هند عنوة عمراً ، وهم قسطوا على النعمان(٧)
قتلوا الصنائع والملوك ، وأوقدوا نارين قد علتا على النيران(٨)
لولا فوارس تغلب ابنة وائل نزل العدو عليك كل مكان

---

(١) تدمى : تسيل دمها ، والفاعل حجارة ، وأقدامهن مفعوله ، وذلك لأنهن يسقن حفاة

(٢) يردفن : الردف الراكب خلف الراكب

(٣) أوكس : أبخس

(٤) يظهر معنى هذا البيت من أن الهذيل غزا بلاد سعد فى تغلب ، وكذلك غزاها الحوفزان فى بكر بن وائل ، فلما التقى الجيشان سار الحوفزان تحت لواء الهذيل متضائلا متصاغرا . الجران : مقدم عنق البعير ، وضرب بجرانه : برك

(٥) الفضلات : الخمور أى يسقين الرجال ويخدمنهم ، الشروب : القوم يشربون الخمر . يتبعن كل عقيرة : يتسمعن الغناء . دخان : أى موضع الطبخ والشواء

(٦) انتشوا : سكروا .

(٧) ابن هند : عمرو بن هند : ملك الحيرة . يروون أن عمرو بن أم كلثوم التغلبى قتله فى قصة مشهورة . قسطوا : جاروا ، النعمان بن المنذر من ملوك الحيرة أيضا .

(٨) صنائع الملوك : أنصارهم ، المفرد صنيعة . أوقدوا نارين : إشارة إلى يوم خزازى لتغلب على كندة وعلى بكر بن وائل

حبسوا ابن قيصر وابتنوا برماحهم ... يوم الكلاب كأكرم البنيان(١)
إن الأراقم لن ينال قديمها ... كلب عوى متهتم الأسنان(٢)
قوم إذا وزنوا بقوم فضلوا ... مثلى موازنهم على الميزان

وقال يمدح سعيد بن العاص بالمدينة وقد فر إليه لما طلبه زياد بالعراق بسبب هجوه الشائع :

وكوم تنعم الأضياف عينا ... وتصبح فى مباركها ثقالا(٣)
حواسات العشاء خبعثنات ... إذا النكباء راوحت الشمالا(٤)
كأن فصالها حبش جعاد ... تخال على مباركها جفالا(٥)
لأكلف أمه دهماء منها ... كأن عليه من جلد جلالا(٦)
أرقت فلم أنم ليلا طويلا ... أراقب هل أرى النسرين زالا(٧)

---

(١) يوم الكلاب الأول حيث قتلوا شرحبيل بن الحرث الكندى عم امرىء القيس

(٢) الأراقم : حى من تغلب ، متهتم : متكسر ، والمراد بالكلب : جرير الذى يهجوهم .

(٣) الكوم : الجمال ذات السنام الضخم ، الواحد أكوم . تنعم : تقر وتسر المبارك : جمع مبرك موضع البروك . ثقالا : ضخاما . كوم مبتدا بعد واو رب خبره تنعم

(٤) الحواسات بضم الحاء : الإبل المجتمعة والكثيرة الأكل . خبعثنات : ضخام شديدات ، المفرد خبعثنة . النكباء : ريح انحرفت عن مهاب الرياح راوحت عارضت . الشمال : ريح تهب ما بين مطلع الشمس وبنات نعش

(٥) الفصال : جمع فصيل ولد الناقة إذا فصل عنها ، الجعاد : جمع جعد عكس المسترسل ، جفال : صوف كثير ـ يشبه الفصال بالحبش ذوى الشعر الجعد حتى لنظنها صوفا

(٦) الأكلف : الفحل المائل إلى السواد ، دهماء : سوداء الجلد : جلد البو . الجلال : جمع جل : وهو للدابة كالثوب للانسان .

(٧) أرقت : سهرت . النسران : كوكبان ، يقال لأحدهما النسر الطائر وللاخر النسر الواقع . يقول : أرى هل زالا فيطلع الصباح ، وذلك بسبب همه .

فأرقنى نوائب من همومى	على ، ولم يكن أمرى عيالا(١)
وكان قرى الهموم إذا اعترتنى	زماعا لا أريد به بدالا(٢)
فعادلت المسالك نصف حول	وحولا بعده حتى أحالا(٣)
فقال لى الذى يعنيه شأنى	نصيحة قوله سرا وقالا(٤)
عليك بنى أمية ، فاستجرهم	وخذ منهم لما تخشى حبالا(٥)
فإن بنى أمية فى قريش	بنوا لبيوتهم عمداً طوالا(٦)
فروحت القلوص إلى سعيد	إذا ما الشاة فى الأرطاة قالا(٧)
تخطى الحرة الرجلاء ليلا	وتقطع فى مخارمها نعالا (٨)
حلفت بمن أنى كنفى حراء	ومن وافى بحجته إلالا (٩)

(١) أرقنى : أسهرنى . النوائب : المصائب مفرد نائبة ، عيالا : جمع عيل الفرد أى ليس همى بسبب أبنائى الذين أعولهم .

(٢) قرى : إكرام ، الزماع : المضاء والعزم . بدال : عوض .

(٣) عادلت الخ : وازنت بين المسالك لا ادرى لأيها أصير . أحال : انقضى الحول (٤) يعينه : يهمه . شأنى : أمرى وحالى .

(٥) عليك بنى أمية : اقصدهم : وسعيد بن العاص أموى . استجرهم : استغث بهم : حبال جمع حبل : العهد والذمة .

(٦) العمد : جمع عمود مايقوم عليه البيت ، والمراد أنهم بنوا مجدا وشرفا .

(٧) روحت : سقت . القلوص من الإبل : الطويلة القوائم . الأرطاة : شجرة مرة تأكلها الإبل غضة . قال : نام فى منتصف النهار . يعنى شدة الحر .

(٨) الحرة الأرض ذات حجارة نخرة كأنها أحرقت بالنار . الرجلاء الخشنة يترجل فيها أو الكثيرة الحجارة : المخارم الطرق ، المفرد مخرم . النعل هنا طبق من جلد يوقى به الخف ، يصف وعورة الطرق .

(٩) الكنف : الظل أو الجانب . حراء : غار خارج مكة آوى اليه الرسول حين الهجرة اختفاء من أعدائه . إلال : جبل بعرفات حيث يقف الحاج ـ والمعنى أنه أظهر دينه فى مكة .

إذا رفعوا سمعت لهم عجيجا   عجيج محلىء نعما نهالا (١)
ومن سمك السماء له فقامت   وسخر لابن داود الشمالا (٢)
ومن نجى من الغمرات نوحا   وأرسى فى مواضعها الجبالا (٣)
لئن عافيتنى ونظرت حلمى   لأعتنن إن الحدثان آلا (٤)
إليك فررت منك ومن زياد   ولم أحسب دمى لكما حلالا (٥)
ولكنى هجوت ، وقد هجتنى   معاشر قد رضخت لهم سجالا (٦)
فان يكن الهجاء أحل قتلى   فقد قلنا لشاعرهم وقالا (٧)
وإن تك فى الهجاء تريد قتلى   فلم تدرك لمنتصر مقالا (٨)
ترى الشم الجحاجح من قريش   إذاما الأمر فى الحدثان عالا (٩)

---

(١) أى رفعوا أيديهم وأصواتهم بالتلبية : العجيج : رفع الصوت والصياح المحلىء هنا : مانع الإبل عن الماء . النعم : الابل . نهالا شاربة يشبه صوت الحاج بصوت المحلى . . الخ

(٢) سمك : رفع . ابن داود : هو سيدنا سليمان . الشمال : الريح يشير الى معجزة سليمان وتسخير الريح له . والشاعر يقسم بالله كما أقسم قبل بالرسول

(٣) الغمرات . جمع غمرة معظم البحر . نوح الرسول فى عهده كان الطوفان

(٤) عافيتنى : دفعت عنى البلاء والسوء وكان الشاعر فارا من زياد حاكم العراق . نظرت حلمى راعيت عقلى وأناتى . اعتن : أشتد وقوى الحدثان النوائب . آل رجع

(٥) زياد أبن أبيه ، والى العراق ، وقد طلب الفرزدق حين رفع أمره اليه لشدة هجائه ، ولكن الشاعر فر إلى سعيد هذا

(٦) رضخت لهم : أعطيتهم قليلا من هجائى . السجال جمع سجل : الدلو العظيمة ـ ويقال الحرب بينهم سجال أى تارة لهم وتارة عليهم

(٧) قلنا لشاعرهم وقال : أى تهاجينا ، فلم أقتل أنا دونه ؟

(٨) فى الهجاء أى بسببه . ومعنى الشطر الثانى : فلم تسمع مقال المستجير . المنتصر : المستظهر على عدوه

(٩) الشم جمع أشم وهو السيد العزيز . الجحاجح جمع جحجح ، السيد : عال اشتد وتفاقم

بنى عم النبي ورهط عمرو　　وعثمان الذين علوا فعالا (١)
قياما ينظرون إلى سعيد　　كأنهم يرون به هلالا (٢)
ضروب للقوانس غير هد　　إذا خطرت مسومة رعالا (٣)

وقال يرثى جارية ماتت وهى حامل

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح　　عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى جوفه من دارم ذو حفيظة　　لو أن المنايا أنسأته (٤) لياليا
ولكن ريب الدهر يعثر بالفتى　　فلم يستطع ردا لما كان جانيا

وقال يمدح بنى المهلب

فلأمدحن بنى يزيد مدحة　　غراء ظاهرة على الأشعار
مثل النجوم أمامها قمراؤها　　تجلو العمى وتضىء ليل السارى
ورثوا الطعان عن المهلب والقرى　　وخلائقا كتدافع الأنهار
كان المهلب للعراق　　رحيا الربيع ومعقل الكرار
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم　　خضع الرقاب نواكس الأبصار

وقال يفتخر من قصيدة فياضة

لنا العزة القعساء والعدد الذى　　عليه إذا عد الحصا يتخلف
ولا عز إلا عزنا قاهر له　　ويسألنا النصف الذليل فننصف
ومنا الذى لاينطق الناس عنده　　ولكن هو المستأذن المتنصف
تراهم قعودا حوله وعيونهم　　مكسرة أبصارها ما تصرف

---

(١) الرهط : قوم الرجل . الفعال : الفعل الحسن

(٢) قياما : حال من مفعول نرى فى البيت الذى قبل السابق . ومعنى يرون به يرونه فالباء للتجريد

(٣) القوانس : أعالى البيض من الحديد ، المفرد قونس . الهد : الرجل الضعيف ، المسومة : الخيل المعلمة لكرمها . الرعال : جمع رعلة ، القطعة من الخيل ـ يصفه بالشجاعة والإقدام

(٤) أمهلته

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا
وانك إن تسعى لتدرك دارما لأنت المعنى ياجرير المكلف

وقال يمدح زين العابدين حين سأل سائل عند طوافه بالبيت : من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة ؟ فقال هشام بن عبد الملك لاأعرفه ، والأصح نسبتها للحزين الكنانى :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هـذا ابن خـير عباد الله كلهـم هـذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هـذا ينتهى الكرم
ينمى إلى ذروة العز التى قصرت عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ماجاء يستلم
فى كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته فـلا يكلم إلا حين يبتسم
ينشق نور الهدى عن نور غرته كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم
منشقة من رسول الله نبعته طابت عناصره والخيم والشيم
فليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما تستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
ما قال لا قط إلا فى تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم
عم البرية بالاحسان فانقشعت عنها الغياهب والاملاق والعدم

الفرزدق والنقاد :

كان أبو حية النميرى جيد الطبع مألوف الكلام رقيق حواشى الشعر(١) . وكان كثير الرواية عن الفرزدق وعمر (٢)

وسأل سليمان بن عبد الملك الفرزدق : من أشعر الناس ، فقال : أنا (٣)

---

(١) ٢٦٥ / ١ زهر (٢) ١٦٩ / ١ زهر الآداب (٣) ٥١ / ٢ زهر

ويقول يونس: لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس (١). وكان الفرزدق أروى الناس لأخبار امرىء القيس وأشعاره (٢)

وراجع دالية عدى بن الرقاع وإعجاب جرير والفرزدق بها (٣)

وحكم الصلتان العبدى بن الفرزدق وجرير أيهما أشعر ، فقال فى ذلك قصيدة طويلة ، منها :

أنا الصلتانى الذى قد علمتمو ... متى ما يحكم فهو بالحق صادع

ومنها :

أرى الخطفى بذ الفرزدق شعره ... ولكن خيرا من كليب مجاشع (٤)

وقال شيخ من أهل المدينة : ما كنت أجلس إلى قوم إلا وفيهم من يحدث عن الحسن البصرى وينشد للفرزدق (٥)

وقيل للفرزدق : أحسن الكميت فى قصائده الهاشميات تلك ، قال : وجد أجراً وجصاً فبنى (٦)

وسمع الفرزدق قول لبيد :

وجلا السيول على الطلول كأنها ... زبر تجد متونها أقلامها

فسجد ، وقال: هذه سجدة الشعر(٧)،ويشبه هذا أن دعبلا ومسلما وأبا الشيص وأبا نواس اجتمعوا وتناشدوا الشعر فأنشدهم أبو نواس قصيدته :

لاتبك ليلى ولا تطرب إلى دعد ... واشرب على الورد من حمراء كالورد

فقاموا كلهم فسجدوا (٨)

وينسب الكثيرون القصيدة :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

---

(١) ٢١٠ / ١ البيان والتبيين (٢) ٣٥٣ / ٤ العقد (٣) ٤٠٦ / ٣ العقد

(٤) ٢/١٤١ الامالى (٥) ٣/١٣٢ البيان والتبيين (٦) ٣/١٧٢ المرجع.

(٧) خاص الخاص للثعالبى

(٨) ٤ ج ٢ العقد الفريد و ٧/٤٢٤ مهذب الأغانى ، ٣ج ٤ العقد الفريد أيضا

للفرزدق والصحيح إنها للحزين الكناني وهو شاعر أموي (١) ، وتحدث الحسن البصري مع الفرزدق طويلا يحضه على التوبة (٢)

جـــرير

٣٢ — ١١١ هـ

أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي من أشهر وأشعر شعراء الدولة الأموية ، وأحد الأعلام الخالدين في تاريخ الأدب العربي ، والذي ملأ ذكره جميع أسفار الادب العربي القديم والحديث، وقرين الفرزدق والأخطل ،والشاعر الموجع المؤلم الهجاء .

ينزع جرير إلى بني يربوع بن حنظلة ، وهم بطن من تميم من القبائل العدنانية المشهورة .

وكانت قبيلته يربوع تقيم باليمامة ، واليمامة إحدى أقاليم الجزيرة العربية المشهورة .وكان أبوه عطية بن الخطفي خاملا شحيحا فقيرا يرعى عدة أعنز له ، وله أولاد كثيرون منهم جرير ، وغلب لقب الخطفي على جده حذيفة لوقوع هذا اللفظ في شعر له (٣). ومعناه السير السريع ، وكان جرير يكنى بابن المراغة وبأبي حزرة ، وحزرة اسم بنت له

فجرير من كليب من يربوع من تميم من عدنان ، وأسرته القريبة ليس لها مجال

---

(١) ٢/٢٨٤ مختصر الحماسة للرافعي ط ١٩٢٧

(٢) ٢/٣٠٧ الامالي

(٣) قال جرير : وعنقا باقي الرسيم خيطفي

فى الفخر وأحاديث المجد الأولى ، وبيته بيت خامل فقير ، ليس له ذكر بين العرب ولا فى صحف الفخار(١)

كان قومه ينزلون بقرية « حجر » من قرى اليمامة بالجنوب الشرقى من نجد . ولد جرير باليمامة فى خلافة عثمان ، ونشأ بين عشيرته بنى الخطفى نشأة البدوى الفقير ، وكان يرعى على أبيه غنيمات له من الضأن والمعزى . وكان أهل بيته بنو الخطفى على فقرهم يغلب عليهم الشعر ويتهاجون مع شعراء قومهم ، فظهر عليهم شاعر من بنى عمومتهم يسمى غسان السليطى ، فرآه جرير يهجو قومه ، والناس مجتمعون عليه ، فحمى ونطق بالشعر رجزا هجاه به أفحش هجاء ، فطرب له قومه واعتزوا به وتمادى الهجاء بينه وبين غسان وجرير يظهر عليه ، فأعان غسان شاعر يدعى البعيث من بنى مجاشع ، وهم قوم الفرزدق من بنى تميم ، فهجاهما جرير وظهر عليهما . وسب نساء مجاشع سبا منكرا ، وكان الفرزدق فى ذلك الحين قد اشتهر بالشعر وبذفيه الفحول ، ولكنه كان عند اشتباك البعيث مع جرير تائبا عن الهجاء مقيدا نفسه بقيد من حديد . وقد آلى ألا يبرح منزله حتى يحفظ القرآن . فجاءته نساء مجاشع يلمنه على عزلته وتركه جريرا ينهش أعراضهن ، فحمى لهن ، ونفض القيد ، وهجا جريرا ، فاحتدم بينهما الهجاء . وسقط البعيث ، وتدخل بينهما فى تهاجيهما نحو ثمانين شاعرا منهم الأخطل ، فأسقطهم جرير جميعهم ، وثبت له الفرزدق والأخطل

ومكث جرير يهجو الفرزدق عشر سنين . وهو مقيم باليمامة والفرزدق مقيم بالبصرة حيث تقيم جمهرة العرب وعلماء اللغة والنحو والأدب والفقه وحيث

---

(١) وهجاه أحد الشعراء فلقبه بابن المراغة والمراغة من الأسماء المستكرهة للأتان . وذلك لأن كليبا كانوا رعاة حمير وعنز . وجرير هو اسمه . والجرير الحبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة والزمام وسمى جريرا « أبو حزرة » لأن أمه رأت فى منامها وهى حبلى به كأنها ولدت جريراً من شعر أسود ، فلما سقط منها جعل ينزو فيقع فى عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثيرة فانتبهت فزعة ، فأولت الرؤيا فقيل لها : تلدين غلاماً شاعراً ذا شر وشدة وشكيمة وبلاء على الناس . فسمته جريراً

يكثر الرواة والمتعلمون فيحفظون شعره ويشيدون به . فاستقدمت يربوع البصرة جريرا من البادية ليهاجى الفرزدق وجها لوجه، ويستمع له الرواة والأدباء فانحدر إلى البصرة، وأكثر الاقامة فيها، واتصل بولاة العراق كبشر بن مروان أخى عبد الملك، والحجاج بن يوسف، وكاد يختص به حتى حسده عبد الملك عليه .

وفادة جرير على يزيد بن معاوية :

حدث جرير عن نفسه قال : وفدت على يزيد بن معاوية وأنا شاب فاستؤذن لى عليه فى جملة من قصد اليه من الشعراء ، فخرج الآذن إلى وقال : يقول لك أمير المؤمنين إنه لا يصل الينا شاعر لا نعرفه بشىء من شعره وما سمعنا لك بشىء فنأذن لك على بصيرة فقلت له : تقول لأمير المؤمنين أنا القائل

وإنى لعف الفقر مشترك الغنى   سريع إذا لم أرض دارى انتقاليا
جرىء جنان لا أخاف من الردى   إذا ما جعلت السيف من عن شماليا

فدخل الحاجب اليه وأنشده الأبيات ثم خرج إلى وأذن لى وأنشدته وأخذت الجائزة فكانت أول جائزة أخذتها من خليفة . ومن هذا يظهر أن أول من عرف جريرا من الخلفاء يزيد بن معاوية

وفادة جرير على الحجاج :

ويروى أن جريرا أول ما اتصل بالحجاج ذهب الى واسط ونزل على عنبسة (١) بن سعيد بواسط ولم يكن أحد يدخلها إلا بإذن الحجاج . فلما دخل على عنبسة، قال له : ويحك ! لقد غررت بنفسك! فما حملك على مافعلت؟ قال : شعر قاله اعتلج فى صدرى ، وجاشت به نفسى ، وأحببت أن يسمعه الأمير ، فعنفه وأدخله بيتا فى جانب داره ، وقال : لا تطلعن رأسك حتى تنظر كيف تكون الحيلة لك .
قال : فأتاه رسول الحجاج من ساعته يدعوه فى يوم قائظ ، وهو قاعدة فى الخضراء(٢)

---

(١) الأغانى ص ٧٥ ج ٨ ، الكامل ص ٣١٢ ج ١

وعنبسة هو ابن سعيد بن العاص أحد أشراف بنى أمية ، حبسه عبد الملك بن مروان يوم قتل أخيه عمرو بن سعيد الأشدق (٢) الخضراء : يراد بها خضراء واسط ، وتعرف بالقبة الخضراء بناها الحجاج مع قصره فى هذه المدينة

وقد صب فيها ما استنقع (١) في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسى موضوع ناحية .

قال عنبسة : فقعدت على الكرسى ، وأقبل على الحجاج يحدثنى . فلما رأيت تطلقه وطيب نفسه قلت : أصلح الله الأمير ! رجل من شعراء العرب قال فيك شعر ، جاد فيه ، فاستحقه عجبه به حتى دعاه إلى أن رحل إليك ، ودخل مدينتك من غير أن يستأذن له . قال : ومن هو ؟ قلت : ابن الخطفى . قال : وأين هو ؟ قلت فى المنزل . قال : ياغلام ! فأقبل الغلمان يتسارعون . قال : صف لهم موضعه من دارك ، فوصفت لهم البيت الذى هو فيه .

فانطلقوا حتى جاءوا به ، فأدخل عليه وهو مأخوذ بضبعيه (٢) حتى رمى به فى الخضراء ، فوقع على وجهه فى الماء ، ثم قام يتنفش كما يتنفش الفرخ . فقال له : هيه ؟ ما أقدمك علينا بغير إذننا ؟ لا أم لك ! قال : أصلح الله الأمير ؟ قلت فى الأمير شعرا لم يقل مثله أحد ، فجاش به صدرى ، وأحببت أن يسمعه منى الأمير ، فأقبلت به إليه .

قال : فتطلق الحجاج وسكن ، واستنشده فأنشده ، ثم قال : ياغلام ؟ فجاءوا يسعون . فقال : على بالجارية التى بعث بها إلينا عامل اليمامة ، فأتى بجارية بيضاء مديدة القامة . فقال : إن أصبت صفتها فهى لك . فقال : مالى أن أقول فيها وهى جارية الأمير ! فقال : بلى ، فتأملها واسألها ، فقال لها : ما اسمك ؟ فأمسكت ، فقال لها الحجاج : خبريه ، فقالت : أمامة ، فأنشأ :

ودع أمامة حان منك رحيل إن الوداع لمن تحب قليل
مثل الكثيب تمايلت أعطافه فالريح تجبر متنه وتميل
هذى القلوب صوادياً تيمتها ورأى الشفاء وما إليه سبيل

فقال الحجاج : قد جعل الله لك السبيل إليها ، فخذها هى لك .

فضرب بيده إلى يدها ، فتمنعت عليه . فقال :

إن كان طبكم (٣) الدلال فإنه حسن دلالك يا أمام جميل

---

(١) استنقع الماء : اجتمع . (٢) الضبع : العضد كلها وأوسطها بلحمها
(٣) الطب : المذهب . والدلال : الدالة

فاستضحك الحجاج ، وأمر بتجهيزها معه إلى اليمامة . وكانت من أهل الرى، وكان أخوتها أحرارا ، فاتبعوه ، فأعطوه بها حتى بلغوا عشرين ألفا فلم يقبل ، فى ذلك يقول :

إذا عرضوا عشرين ألفاً تعرضت   لأم حكيم حاجة هى ماهيا
لقد زدت أهل الرى عندى مودة   وحببت أضعافاً إلى المواليا

فأولدها حكيما وبلالا وحرزة بنيه

وكان الحجاج بن يوسف الثقفى والياعلى العراق من قبل عبد الملك بن مروان . والحجاج من خطباء العرب المشهورين وجبابرتهم المعدودين ، وسيف من سيوف الأمويين الذين سلوه على أعدائهم فذهب بملك ابن الزبير وثبت به ملكهم فى العراق. من أجل هذا كانت له الحظوة من لدن الخليفة عبد الملك حتى جعله للعراق أشبه بحاكم مستقر ، وقد وفد جرير على الحجاج فعاش فى حماه يمدحه وينال عطاياه . فأعلى ذلك من منزلة جرير ورفع من شأنه وذاع شعره وسار قوله وتناقله الناس ، حتى حسده الشعراء على شرف اتصاله بالحجاج وحتى حسد الأمراء الحجاج على اتصال جرير به مما دعى الحجاج أن يوفد جريرا على الخليفة ليمدحه ودفع جريرا أن يترضى الخليفة بمدحه حتى يزداد شرفا ويبلغ من سمو المكانة ما تصبو اليه نفسه . فكان لجرير ما أراد . وإنه ليملأ نفسك روعة ويأخذ بلبك ما قلد به جرير عنق الحجاج من مدائح لا يأتى الزمان على جمالها ، ولا تذهب الأيام ببهائها . ومن ذلك قوله : —

دعا الحجاج مثل دعاء نوح   فأسمع ذا المعارج فاستجابا
صبرت النفس يا ابن أبى عقيل   محافظة فكيف ترى الثوابا ؟
ولو لم يرض ربك لم ينزل   مع النصر الملائكة الغضابا
إذا سعر الخليفة نار حرب   رأى الحجاج أثقبها شهابا
ترى نصر الامام عليك حقا   إذا لبسوا بدينهم ارتيابا
أشد فلا تكذب يوم زحف   إذا الغمرات زعزعت العقابا (١)

---

(١) طائر أو هو حجر ناتىء فى جوف البئر أو صخرة ناتئة فى عرض الجبل

عفاريت العراق شفيت منهم ... فأمسوا خاضعين لك الرقابا
إذا أخذوا وكيدهم ضعيف ... بباب يمكرون فتحت بابا

ومن مدائحه للحجاج :

هاج الهوى لفؤادك المهتاج ... فانظر بتوضح باكر الأحداج (١)
إن الغراب بما كرهت لمولع ... بنوى (٢) الأحبة دائم التشحاج (٣)
ليت الغراب غداة ينعب بالنوى ... كان الغراب مقطع الأوداج (٤)
ولقد رمينك حين رحن بأعين ... ينظرن من خلل الستور سواجي
وبمنطق شغف الفؤاد كأنه ... عسل بجدن به بغير مزاج
قل للجبان إذا تأخر سرجه ... هل أنت من شرك المنية ناج ؟
فتعلقن ببنـــات نعش هاربا ... أو بالبحور وشدة الأمواج
من سد مطلع النفاق عليهم ... أم من يصول كصولة الحجاج
أم من يغار على النساء حفيظة ... إذ لا يثقن بغيرة الأزواج
إن ابن يوسف فاعلموا وتيقنوا ... ماضى البصيرة واضح المنهاج
ماض على الغمرات يمضى همة ... والليل مختلف الطرائق داج
منع الرشى وأراكم سبل الهدى ... واللص نكله على الإدلاج
فاستوثقوا وتبينوا سبل الهدى ... ودعوا النجى فليس حين تناجى

ومنها

إنى لمرتقب لمـــا خولتنى ... ولفضل سيبك يا ابن يوسف راجى
ولقد كسرت سنان كل مناطق ... ولقد منعت حقائب الحجاج .

---

(١) الأحداج جمع حدج مركب من مراكب النساء .

(٢) أى بعد الأحبة .

(٣) صوت الغراب ونعيبه .

(٤) عرق إذا قطع لا تبقى حياة وللودج فى كل عضو اسم فهو فى العنق الودج ، وفى الظهر النياط ، وفى الفخذ النسا ، وودجت الدابة قطعت ودجها .

وفادة جرير على عبد الملك :

ووفد جرير مع محمد بن الحجاج على عبدالملك فسأل الخليفة عنه ، قال :
من هذا يامحمد ؟ فقال : هذا يا أمير المؤمنين ابن الخطفى ، قال مادح الحجاج ؟ قلت : ومادحك يا أميرالمؤمنين ، فأذن لى أنشدك ، فقال : هات ما قلت فى الحجاج فاندفعت فى قولى :

صبرت النفس يابن أبى عقيل ... محافظة فكيف ترى الثوابا
ولو لم يرض ربك لم ينزل ... مع النصر الملائكة الغضابا
إذا سعر الخليفة نار حرب ... رأى الحجاج أثقبها شهابا

فقال : صدقت ، ووراثى الأخطل جالسا ولاأراه ، ثم قال : هات بالحجاج ، فأنشدته :

طربت لعهد هيجته المنازل ... وكيف تصابى المرء والشيب شامل

ثم فرغت منها حتى خيلت فى وجه أمير المؤمنين الغضب ، وقال :هات بالحجاج فانشدته :

هاج الهوى لفؤادك المهتاج ... فانظر بتوضح باكر الأحداج

حتى أتيت على قولى :

من سد مطلع النفاق عليهم ... أم من يصول كصولة الحجاج؟
أم من يغار على النساء حفيظة ... إذ لايثقن بغيرة الأزواج؟

فتكلم الأخطل وقال : أين أمير المؤمنين يابن المراغة ! فعلمت أنه الأخطل . فذببت حيال وجهى بكمى وقلت : اخسأ ، ومضيت حتى أنشدته كلها ، فقال الخليفة اجلس ، فجسست ، ثم قال : قم يا أخطل ، هات مديح أمير المؤمنين ، فقام حيالى فأنشد أشعر الناس وأمدح الناس ، فقال له الخليفة : أنت شاعرناومادحنا ،اركبه فرمى بردائه وألقى قميصه على منكبه ووضع يده على عنقى ، فقلت يا أميرالمؤمنين إن النصرانى الكافر لايعلو ولا يظهر على المسلم ولا يركبه، فقال أهل المجلس:صدق يا أمير المؤمنين . فقال : دعه ، وانفض المجلس وخرجنا . فدخل الوفد عليه ثمانية أيام مع محمد كاهن أحجب فلا أدخل عليه : ثم دخلوا فى التاسع وأخذوا جوائزهم وتهيأوا فى العاشر للدخول والتوديع للرحيل ، فقال محمد : يا أبا حزرة . مالى أراك

تتجهز ؟ قلت : وكيف وأمير المؤمنين على ساخط ! ما أنا ببارح أو يرضى عنى ، فلما دخل عليه محمد ليودعه ، قال : يا أمير المؤمنين، إن ابن الخطفى مادحك وشاعرك ومادح الحجاج سيفك وأمينك . وقد لزمنا له صحبة وذمام ، فان رأيت أن تأذن له ! فانه أبى أن يخرج معنا وأنت غضبان ، وآلى أنه لا يخرج أو ترضى عنه . فيدخل ويودعك ، فأذن لى . فدخلت عليه ودعوت له ، فقال : إنما أنت للحجاج . قلت : ولك يا أمير المؤمنين ثم استأذنته فى الانشاد، فسكت ولم يأذن لى فاندفعت فقلت :

أتصحو أم فؤادك غير صاح؟

فقال بل فـؤادك

عشية هم صحبك بالرواح

حتى فرغت منها وعلمت أنى إن خرجت بغير جائزة كان إسقاطى آخر الدهر ، فلما بلغت الى شـكوى أم حزرة قلت فى أثر ذلك :

ألستم خير من ركب المطايا　　وأندى العالمين بطون راح ؟

فجعل يقول : نحن كذلك ، ثم قال : ردها على ، فردها فطرب لذلك ، وقال : ويحك ! أتراها ترويها مائة من الإبل ؟ قلت : نعم إن كانت من نعم كلب ، وقد كنت رأيت خمسمائة من نعم كلب مخصفة ذراها ثنيانا وجذعانا ، فقال : أخرجوا له مائة من النعم التى جاءت من عنـد كلب ولا ترذلوها ، فشكرت له وشـكر له أصحابى ومن شهدنى من العرب ، ثم قلت : يا أمير المومنين ، إنما نحن أشياخ من أهل العراق وليس فى واحد منا فضل عن راحلته ، قال : أفنجعل لك أثمانها ؟ قلت لا ، ولـكن الرعاء يا أمير المؤمنين ، فنظر جنبتيه ثم قال لجلسائه : كم يجزى مائة من الابل ؟ قالوا ثمانية يا أمير المؤمنين ! فأمر لى بثمانية أعبد : أربعة صقالبة ، وأربعة نوبية ، وإذا قد أهدى إليه بعض الدهاقين ثلاث صحاف فضة وهن بين يديه يقرعهن بالخيزرانة ، فقلت : المحلب يا أمير المؤمنين . فندس (١) إلى منهن واحدة وقال : خذها لا نفعتك ! قلت : بلى كل ما أخذته منك ينفعنى إن شاء الله ، وانصرفنا وودعناه . وكتب محمد الى أبيه بالحديث كله ، فلما قدمنا على الحجاج قال لى : أما والله لولا ان يبلغ أمير المؤمنين فيجد عليه لأعطيتك مثلها ولـكن هذه خمسون راحلة أحمالها حنطة يأتى بها أهلك فتميرهم ، فقبضتها وانصرفت .

---

(١) ندس الى منهن واحدة : قذفنى بها .

جرير والشعراء عند عمر بن عبد العزيز (١) :

ولما استخلف عمر (٢) بن عبد العزيز وفدت إليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله ، فأقاموا ببابه أياما لا يأذن لهم بالدخول حتى قدم عدى بن أرطاة على عمر — وكانت له منه مكانة — فقال جرير :

يأيها الرجل المزجى مطيته هذا زمانك إنى قد مضى زمنى
أبلغ خليفة الله إن كنت لاقيه أنى لدى الباب كالمصفود (٣) فى قرن
وحش المكانة من أهلى ومن ولدى نائى المحلة عن دارى وعن وطنى

فقال : نعم أبا حرزة ونعمى عين ، فلما دخل على عمر قال : يا أمير المؤمنين ، إن الشعراء ببابك ، وأقوالهم باقية ، وسهامهم مسمومة

قال : ياعدى : مالى وللشعراء؟

فقال يا أمير المؤمنين : إن رسول الله قد مدح وأعطى ، وفيه أسوة لكل مسلم

قال : من مدحه ؟

قال : عباس بن مرادس ، فكساه حلة قطع بها لسانه ، قال : صدقت ، فمن بالباب منهم ؟

قال : ابن عمك عمر بن أبى ربيعة القرشى . قال : لاقرب الله قرابته ولا حيا وجهه ، أليس هو القائل :

ألا ليت يوم تدنو منى شممت الذى ما بين عينيك والفم
وليت طهورى كان ريقك كله وليت حنوطى من مشاشك (٤) والدم
ويا ليت سلمى فى القبور ضجيعتى هنالك أو فى جنة أو جهنم

فليته تمنى لقاءها فى الدنيا ، ثم يعمل عملا صالحا ، والله لا يدخل على أبدا .

---

(١) العقد الفريد لابن عبدربه ص ٢٠٨ ج ١ ، ثمرات الأوراق ص ٧١ ج ١

(٢) ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بعد سليمان بن عبدالملك سنة ٩٨ هـ ، وكان من خيار الخلفاء ، عالماً ، زاهداً ، عابداً تقياً ، سار سيرة مرضية ، وسلك المثل الأعلى فى الحكم توفى سنة ١٠١ هـ

(٣) صفده : أوثقه

(٤) المشاش : رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين .

فن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : جميل بن معمر العذرى .
قال : أليس هو القائل :

ألا ليتنا نحيا جميعا وإن نمت — يوافى لدى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا فى طول الحياة براغب — إذا قيل قد سوى عليها صفيحها
أظل نهارى لا أراها وتلتقى — مع الليل روحى فى المنام وروحها

والله لا يدخل على أبدا . فن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : كثير عزة .
قال : أليس هو القائل :

رهبان مكة والذين عهدتهم — يبكون من حذر الفراق قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها — خروا لعزة ركعا وسجودا

أبعده الله ، فو الله لا يدخل على أبدا ، فن فى الباب غيره ممن ذكرت ؟ قال الأحوص الأنصارى . قال : لا دخل على أبدا ، أليس هو القائل — وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه :

الله بينى وبين سيدها — يفر عنى بها وأتبع

فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال همام بن غالب الفرزدق قال أليس هو القائل:

هما دلتانى من ثمانين قامة — كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا — أحى يرجى أم قتيل نحاذره ؟
فقلت ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا — ووليت فى أعقاب ليل أبادره

والله لا دخل على أبدا ، فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال . الأخطل التغلبى
قال أليس القائل :

ولست بصائم رمضان عمرى — ولست بآكل لحم الأضاحى(١)
ولست بزاجر عيسا بكورا — إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعبد يدعو — قبيل الصبح : حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا(٢) — وأسجد عند منبلج الصباح

أبعده ، أبعده الله عنى ! فو الله لا دخل على أبداً ، ولا وطىء لى بساطا ، فمن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت ؟ قال : جرير ، قال ، أليس هو القائل :

---

(١) الأضاحى : جمع أضحية وهى شاة يضحى بها
(٢) الشمول : البارد من الخمر .

ذم المنازل بعد منزلة اللوى   والعيش بعد أولئك الأيام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا   وقت الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولا بد فهذا ، فأذن له .

قال عدى بن أرطاة : فخرجت إليه ، فقلت : ادخل يا جرير ، فدخل وهو يقول :

إن الذى بعث النبي محمداً   جعل الخلافة فى إمام عادل
وسع الخلائق عدله ووفاؤه   حتى ارعووا وأقام ميل المائل
والله أنزل فى الكتاب فريضة   لابن السبيل وللفقير العائل
إنى لأرجو منك خيرا عاجلا   والنفس مولعة بحب العاجل

فلما مثل بين يديه قال ياجرير اتق الله ، ولا تقل إلا حقا ، فأنشأ يقول

كم باليمامة من شعثاء أرملة   ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يعدك تكفى فقد والده   كالفرخ فى العش لم يدرج(١) ولم يطر
أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت   أم قد كفانى ما بلغت من خبرى
إنا لنرجو - إذا ما الغيث أخلفنا -   من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة أو كانت له قدراً   كما أتى ربه موسى على قدر
هذى الأرامل قد قضيت حاجتها   فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر ؟
الخير ما دمت حيا لا يفارقنا   بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال يا جرير ، ما أرى لك فيما ههنا حقا ، قال يا أمير المؤمنين ، إنى ابن سبيل ومنقطع ، فقال له ويحك يا جرير قد ولينا هذا الأمر ، ولا نملك إلا ثلثمائة درهم ، فمائة أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله . يا غلام . أعطه المائة الباقية .

فأخذها جرير وقال : والله يا أمير المؤمنين لهى أحب مال اكتسبته ، ثم خرج فقال له الشعراء : ما وراءك ؟ قال ما يسوؤكم ، خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء ، وإنى عنه لراض ، وأنشد :

---

(١) درج : مشى .

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه ... وقد كان شيطانى من الجن راقيا

هجاء جرير لبنى نمير :

وكان راعى(١) الابل يقضى للفرزدق على جرير(٢) ويفضله . فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه ، فقال : هلا تعجبون لهذا الرجل الذى يقضى للفرزدق على ، وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم

ثم خرج ذات يوم يمشى ولم يركب دابته — وكان لراعى الإبل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها ـ قال جرير : فخرجت أتعرض له لألقاه حيث كنت أراه يمر إذا انصرف من مجلسه ، وما يسرنى أن يعلم أحد ، حتى إذا مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مهر له أحوى(٣) محذوف الذنب ، فلما استقبلته قلت : مرحباً بك يا أبا جندل وضربت بشمالى على معرفة بغلته ، ثم قلت : يا أبا جندل إن قولك يستمع ، وإنك تفضل الفرزدق على تفضيلا قبيحاً ، وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم ، ويكفيك من ذلك إذا ذكرنا أن تقول : كلاهما شاعر كريم ، ولا تحتمل منى ولا منه لائمة .

فبينا أنا وهو كذلك وما رد على شيئا إذ لحق به ابنه جنـــدل ، فرفع كرمانية(٢) معه ، فضرب بها عجز بغلته ثم قال : لا أراك واقفاً على كلب من بنى كليب كأنك تخشى منه شرا أو ترجو منه خيرا

وضرب البغلة ضربة فرمحتنى(٤) رمحة وقعت منها قلنسوتى ، فوالله لو عرج

---

(١) الأغانى ص ٣٠ ج ٨

والراعى هو عبيد بن حصين ، ويكنى أبا جندل ، والراعى لقب غلب عليه لكثرة وصفه الابل وجودة نعته إياها (٢) هو جرير بن عطية بن الخطفى أشهر شعراء عصره ، وأصفاهم ديباجة ، عاش عمره كله يناضل الشعراء ويساجلهم ، وكان هجاء مرا ، لم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل مات سنة ١١٠ هـ

(٣) الأحوى : الذى يضرب إلى السواد من شدة خضرته . ومحذوف الذنب : مقطوع طرفه .

(٤) نوع من السياط

على الراعى انلت : سفيه غوى — يعنى جندلا ابنه — ولكن لا والله ماعاج على، فأخذت قلنسوتى فمسحتها ، ثم أعدتها على رأسى ، ثم سمعت الراعى قال لابنه : أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشئومة .

فانصرف جرير غضبان حتى صلى العشاء بمنزله فى علية(١) له ، ثم قال : ارفعوا إلى باطية(٢) من نبيذ وأسرجوا لى ، فأسرجوا له ، وأتوه بباطية من نبيذ . قال : فجعل يهمهم(٣) ، فسمعت صوته عجوز فى الدار ، فاطلعت فى الدرجة حتى نظرت إليه ، فاذا هو يحبو على الفراش عريانا لما هو فيه ، فانحدرت فقالت : ضيفكم مجنون ، رأيت منه كذا وكذا ، فقالوا لها : اذهبى لطيتك ، نحن أعلم به وبما يمارس : فما زال كذلك حتى كان السحر ، ثم إذا هو يكبر ، قد قالها ثمانين بيتاً فى بنى نمير ، فلما ختمها بقوله :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلاباً

كبر ، ثم قال : أخزيته ورب الكعبة . ثم أصبح ، حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا فى مجالسهم بالمربد . وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق ، دعا بدهن فادهن ، وكف(٤) رأسه — وكان حسن الشعر — ثم قال : يا غلام ، أسرج لى ، فأسرج له حصانا ، ثم قصد مجلسهم ، حتى إذا كان بموضع السلام ، قال : يا غلام — ولم يسلم — قل لعبيد(٥) ، أبعثك نسوتك تكسبهن المال بالعراق ؟ أما والذى نفس جرير بيده لترجعن إليهن بمير(٦) يسوؤهن ولا يسرهن

ثم اندفع فيها فأنشدها ، فنكس الفرزدق وراعى الابل ، وأرم(٧) القوم ، حتى إذا فرغ منها سار ، وثبت راعى الإبل ساعة . ثم ركب بغلته بشر وعر(٨) وخلى المجلس حتى ترقى إلى منزله الذى ينزله ، ثم قال لأصحابه : ركابكم ركابكم ، فليس لكم ها هنا مقام ، فضحكم والله جرير ، فقال له بعض القوم : ذاك شؤمك وشؤم ابنك .ثم رحل بنو نمير فوجدوا البيت قد سبقهم.

---

(١) العلية : الغرفة (٢) الباطية : الناجود ، وهو إناء الخمر (٣) الهمهمة الصوت الخفى (٤) كف شعره : جمعه وضم أطرافه .

(٥) هو راعى الابل (٦) الميرة : الطعام يمتاره الإنسان وقد مار ميراً (٧) أرم القوم : سكتوا (٨) أصل العر : الجرب .

حول شاعرية جرير والفرزدق

أتى سليمان بن عبد الملك(١) بأسارى ، وكان الفرزدق حاضراً ، فأمره سليمان بضرب واحد منهم فاستعفاه نأبى ، وقد أشير إلى سيف غير صالح للضرب ليستعمله ، فقال الفرزدق : بل أضرب بسيف أبي رغوان(٢) سيف مجاشع ، يعنى نفسه ، وكأنه قال : لا يستعمل ذلك السيف إلا ظالم أو ابن ظالم ، ثم ضرب بسيفه الأسير واتفق أن نبا السيف ، فضحك سليمان ومن حوله ، فقال الفرزدق :

أيعجب الناس أن أضحكت سيدهم ... خليفة الله يستسقى به المطر

لم ينب (٣) سيفى من رعب ولادهش ... عن الأسير ، ولكن أخر القدر

ولن يقدم نفسا قبل ميتتها ... جمع اليدين ولا الصمصامة(٤) الذكر

ثم أغمد سيفه وهو يقول :

ما إن يعاب سيد إذا صبا (٥) ... ولا يعاب صارم إذا نبا

ولا يعاب شاعر إذا كبا

ثم جلس يقول : كأنى بابن المراغة (٦) قد هجانى فقال :

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

وقام وانصرف .

وحضر جرير ، فخبر الخبر : ولم ينشد الشعر ، فأنشأ يقول :

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٧ ، بلوغ الأرب ص ٢٠ ج ١
وقد بويع سليمان بن عبد الملك بالخلافة سنة ٩٦ هـ وكان فصيحا لبقا ، كما كان غيورا شديد الغيرة ، اتسعت الفتوح فى أيامه وتوفى سنة ٩٩ هـ

(٢) رغوان . لقب مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة ؛ لقب به لفصاحته وجهارة صوته . ويقال : قالت امرأة سمعته : ما هذا إلا يرغو ، فلقب رغوان

(٣) لم ينب : لم يكل عن الضريبة (٤) الصمصامة . السيف لاينثنى والذكر أيبس الحديد وأشده (٥) صبا : حن (٦) يريد جريرا .

فأعجب سليمان ماشاهد ، ثم قال جرير : يا أمير المؤمنين . كأنى بابن القين(١) قد أجابنى فقال :

ولا نقتل الأسرى ، ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

ثم أخبر الفرزدق بالهجو دون ما عداه ، فقال مجيبا :

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها(٢) وتقطع أحيانا مناط التمائم
ولن نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم
وهل ضربة الرومى جاعلة لكم أبا عن كليب أو اخا مثل دارم

وشاع حديث الفرزدق بها حتى كان زمان المهدى فأتى بأسرى من الروم وأمر بقتلهم — وكان عنده شبيب (٣) بن شبة — فقال له اضرب عنق هذا العلج فقال : يا أمير المؤمنين ، قد علمت ما ابتلى به الفرزدق فعير به قومه إلى اليوم فقال : إنما أردت تشريفك وقد أعفيتك . وكان شاعر حاضراً فقال :

جزعت من الرومى وهو مقيد فكيف ولو لاقيته وهو مطلق
دعاك أمير المؤمنين لقتله فكاد شبيب عند ذلك يفرق
فنح شبيبا عن قراع كتيبة وأدن شبيبا من كلام يلفق

---

(١) القين : العبد والحداد وهو يريد الفرزدق
(٢) الظباة : جمع ظبة وهى حد السيف
(٣) خطيب البصرة فى زمانه ، كان فى حاشية المهدى حينما كان وليا للعهد وبقى كذلك حتى ولى الخلافة فكان من سماره المقربين . توفى سنة ١٧٠

بين جرير والفرزدق(١)

وقدم الفرزدق على عمر بن عبد العزيز ، وهو على المدينة واليها من قبل الوليد بن عبد الملك ، فأنزله عمر منزلا قريبا منه وأكرمه ، وأحسن ضيافته ، ثم إنه بلغه عنه أنه صاحب فجور فبعث إليه عمر بألطاف مع جارية له ، وقال : اغسلى رأسك وألطفيه جهدك(٢) وأراد اختباره بذلك ليعلم حاله .

فأتته الجارية ، وفعلت ما أمرها به مولاها ، ثم قالت له : أما تريد أن تغسل رأسك ؟ قال بلى ، فقربت إليه الغسل(٣) ثم ذهبت لتغسل رأسه ، فأقبل عليها ، وذلك بعين عمر ، وهو يتطلع عليه من خوخة(٤) له .

ولما خرجت الجارية إلى عمر بعث إليه ، أن اخرج عن المدينة ، ولئن أخذتك فيها — ما دام لى سلطان — لأعاقبنك ونفاه عمر عن المدينة .

فلما خرج وصار على راحلته قال : قاتل الله ابن المراغة(٥) كأنه كان ينظر إلى حيث يقول :

وكنت إذا نزلت بدار قوم   رحلت بخزية وتركت عارا

ثم قدم جرير على عمر فأنزله فى منزل الفرزدق ، وبعث إليه بتلك الجارية بعينها ، وأمرها أن تفعل بجرير ما فعلت بالفرزدق ، فألطفته ، وفعلت به مثل

---

(١) نقائض جرير والفرزدق ص ٣٩٧ ج ١ طبع ليدن

وكان جرير بن عطية الخطفى أحد فحول الشعراء الاسلاميين . ولد باليمامة ونشأ بالبادية وفيها قال الشعر ونبغ فيه ولما عظم أمره اتصل بالحجاج ومدحه ثم اتصل بعبد الملك بن مروان ، وعد من مداح بنى أمية . مات سنة ١١٠ هـ

والفرزدق : هو أبو فراس همام بن غالب ، نشأ بالبصرة وأخذه أبوه برواية الشعر ونظمه فرواه ونبغ فيه ، وتعرف بولاة البصرة ومدحهم وهجاهم ، ثم رحل إلى خلفاء بنى أمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم . ومات سنة ١١٠ هـ

(٢) الجهد : الطاقة   (٣) الغسل : مايغسل به الرأس   (٤) الخوخة : كوة فى الجدار تؤدى الضوء   (٥) ابن المراغة : هو جرير .

ما فعلت بالفرزدق ، وقالت له : قم أيها الشيخ ، فاغسل رأسك ، فقام ، وقال لها تنحى عنى ، قالت له الجارية : سبحان الله ، إنما بعثنى سيدى لأخدمك ، فقال : لا حاجة لى فى خدمتك ، ثم أخرجها من الحجرة ، وأغلق الباب عليه واتزر ، فغسل رأسه ، وعمر ينظر إليه من حين بعث بالجارية إلى أن خرجت من عنده .

فلما راح أهل المدينة من منازلهم إلى عمر حدثهم بفعل الفرزدق وجرير ، وما كان من أمرهما ، ثم قال : عجبت لقوم يفضلون الفرزدق على جرير مع عفة بطن جرير وفجور الفرزدق ، وقلة ورعه ، وخوفه الله عز وجل .

ألوان من شعره

قال جرير يهجو الفرزدق :

ألسنا للمجاور نحن أوفى ... واصبر عند معترك الضراب

وأحمد حين يحمد بالمقارى ... وحال المربعات من السحاب(١)

أقمنا يوم طخفة قد علمتم ... صدور الخيل تنحط فى الحراب

وطئن مجاشعا وأخذن غصبا ... بنى النجار فى رهج الضباب (٢)

وعزنا يوم ذى نجب وعذتم ... بسعد يوم واردة الكلاب(٣)

ويربوع هو أخذو قديما ... عليك من المكارم كل باب

فلا تفخر وأنت مجاشعى ... نخيب القلب منهتك الحجاب(٤)

إذا عدت مكارمها تميم ... فخرت بمرجل وبعقر ناب(٥)

لقد أخزاك فى ندوات قيس ... وفى سعد عياذك من ذباب

وسيف أبى الفرزدق فاعلموه ... قدوم غير ثابته النصاب

---

(١) المقارى : جمع مقرى ، وهو مكان القرى أو أداته . حال تغير . المربعات : السحب تمطر بالربيع والجملة حالية ، أى وقد حال أمر السحب فلم تمطر ، أى نحن نجود فى أيام الجدب .

(٢) يريد قابوس وحسان ابنى المنذر ، أسرتهما بنو يربوع فى يوم طخفة .

(٣) عزنا : اشتددنا . ذو نجب ، واد لمحارب وله يوم هو هذا .

(٤) نخيب القلب : جبان .

(٥) تميم : هم قوم جرير ، يقول إذا عددت تميم مكارمها الكثيرة التى لا تنتهى حد فإن مكارم قوم الفرزدق تنتهى عند إطعام الضيفان .

أتجعل يافرزدق قين ليلى … إلى كعب ورابيتى كلاب
وفى غطفان فاجتنبوا حماهم … ليوث الحرب فى أجم وغاب
ألم تسمع بخيل بنى نفيل … إذا ركبوا وخيل بنى الحباب
هموقتلوا بنى جشم بن بكر … بلى بعد يوم قرى الروابى

وقال كذلك يهجوه

كذب الفرزدق لن يجارى عامرا … يوم الرهان بمقرف مبهور (١)
فانه الفرزدق أن يعيب فوارسا … حملوا أباه على أزب نفور (٢)
ولقد جهلت بشتم قيس بعد ما … ذهبوا بريش جناحك المكسور (٣)
قيس ـ وجد أبيك فى أكياره ـ … قواد كل كتيبة جمهور (٤)
لن تدركوا غطفان لو أجريتم … يابن القيون ولا بنى منصور (٥)
فخروا عليك بكل سام معلم … فافخر بصاحب كلبتين وكير (٦)
كم أنجبوا بخليفة وخليفة … وأمير صائفتين وابن أمير (٧)

وقال يهجو الأخطل :

إنى جعلت فلن أعافى تغلباً … للظالمين عقوبة ونكالا
قبح الاله وجوه تغلب إنها … هانت على مراسنا وسبالا
قبح الإله وجوه تغلب كلما … شبح الحجيج وكبروا إهلالا (٨)
عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد … وبجبرئيل وكذبوا ميكالا

---

(١) المقرف بصيغة اسم الفاعل من الخيل والانسان : ما كانت أمه عربية وأبوه غير عربى . المبهور : المقطوع النفس

(٢) الأزب منا ومن الابل : الكثير شعر الوجه . (٣) جهل : حمق :

(٤) جد مرفوعة على الابتداء وخبرها فى أكياره ، فهو يقول : قيس قواد الكتائب وجدك حداد بين أدوات صناعته . ويصح أن تجر كلمة جد وتكون الواو قبلها للقسم ويكون ذلك تهكما بالغا حد الايلام ان يحلف به وهو فى نظره ممتهن

(٥) غطفان بن سعد بن قيس عيلان (٦) يقال فارس معلم بالكسر والفتح ، وهو على الكسر : الذى جعل نفسه علامة ليعرف بلاؤه فى القتال :

(٧) الصائفة : الكتيبة تغزو الروم لأنهم يغزون صيفاً لمكان البرد فى تلك البلاد

(٨) الشبح : رفع اليدين بالدعاء : الإهلال : رفع الصوت

المعرسين إذا انتشوا ببناتهم ... والدائبين إجارة وسؤالا (١)
والتغلبي إذا تحنح للقرى ... حك استه وتمثل الأمثالا
أنسيت يومك بالجزيرة بعدما ... كانت عواقبه عليك وبالا

وقال يهجو الفرزدق :

إن ابن آكلة النخالة قد جنى ... حربا عليه ثقيلة الأجرام (٢)
خاق الفرزدق سوءة فى مالك ... ولخلف ضبة كان شر غلام (٣)
مهلا فرزدق إن قومك فيهم ... خور القلوب وخفة الأحلام
بئس الفوارس يوم نعف تشاوة ... والخيـل عادية على بسطام
لو غيركم علق الزبير ورحله ... أدى الجوار إلى بنى العوام (٤)
كان العنان على أبيك محرما ... والكير كان عليه غير حرام
عمدا أعرف بالهوان مجاشما ... إن اللئام على غير كرام

ومن قوله يتغزل وقد رق جدا :

بان الخليط ولو طووعت مابانا ... وقطعوا من حبال الوصل أقرانا
حى المنازل إذ لا نبتغى بدلا ... بالدار دارا ولا الجيران جيرانا
أحبب إلى بذاك الجزع منزلة ... بالطلح طلحا وبالأعطان أعطانا (٥)

---

(١) أى هم بين سائل وأجير : وقد ذمهم أبلغ ذم حين ادعى أنهم يخالطون بناتهم فى حالة سكرهم مخالطة الأزواج.

(٢) يريد بابن آكلة النخالة البعيث الشاعر . الجرم : الجسد كله . يقال رماه بأجرامه أى رماه بجسده كله .

(٣) يريد بخلف ضبة مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٤) يريد الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصى بن كلاب. أى ولو كان الزبير حل فى أحد سواكم لأدى جواره أى لمنعه حتى يرجع إلى بنى العوام ويسلم .

(٥) الطلح : من شجرة العضاه . وهو أعظم الشجر أو شجرة الخمط أو ذو الشوك أو ما عظم منه ، والأعطان مبارك الابل ، وقوله بالطلح طلحا : الباء فيه البدل : أى وجدنا بدل طلح موطننا الأولى طلحا مثله ، وكذلك قوله قبل : بالدار دارا وبالجيران جيرانا .

ياليت ذا القلب لاقى من يعلله ... أو ساقيا فسقاه اليوم سلوانا
ما كنت أول مشتاق أخى طرب ... هاجت له غدوات البين أحزانا
يا أم عمرو جزاك الله مغفرة ... ردى على فؤادى كالذى كانا
ألست أحسن من يمشى على قدم ... يا أملح الناس كل الناس إنسانا
يلقى غريمكم من غير عسرتكم ... بالبذل بخلا وبالاحسان حرمانا
لقد كتمت الهوى حتى تهيمنى ... لا أستطيع لهذا الحب كتمانا
لابارك الله فى الدنيا إذا انقطعت ... أسباب دنياك من أسباب دنيانا
ما أحدث الدهر مما تعلمين لكم ... للحبل صرما ولا للعهد نسيانا
أبدل الليل لا تسرى كواكبه ... أم طال حتى حسبت النجم حيرانا؟
إن العيون التى فى طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا
يا حبذا جبل الريان من جبل ... وحبذا ساكن الريان من كانا
وحبذا نفحات من يمانية ... تأتيك من قبل الريان أحيانا

ومن قوله يرثى الفرزدق ، وقد مات قبله بقليل :

لعمرى قد أشجى تميما وهدها ... على نكبات الدهر موت الفرزدق
عشية راحوا للفراق بنعشه ... إلى جدث من هوة الأرض معمق
لقد غادروا فى اللحد من كان ينتمى ... إلى كل نجم فى السماء محلق
عماد تميم كلها ولسانها ... وناطقها البذاخ فى كل منطق
فمن لذوى الأرحام بعد ابن غالب ... لجار وعان فى السلاسل موثق (١)
ومن ليتيم بعد موت ابن غالب ... وأم عيال ساغبين ودردق (٢)
ومن يطلق الأسرى ومن يحقن الدما ... يداه ويشفى صدر حران محنق؟
فتى عاش يبنى المجد تسعين حجة ... وكان إلى الخيرات والمجد يرتقى

---

(١) العانى الأسير . موثق : مقيد.

(٢) ساغب : جوعان . دردق : أطفال

وقال جرير يمدح عمر بن عبدالعزيز وقد سبق بعضها

كم باليمامة من شعثاء أرملة (١)	ومن يتيم ضعيف الصوت والبصر
ممن يعدك تكفى فقد والده	كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به	خبلا من الجن أو مسا من البشر
خليفة الله ماذا تأمرن بنا	لسنا إليكم ولا فى دار منتظر
إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا	من الخليفة ما نرجو من المطر
أتى الخلافة إذ كانت له قدرا	كما أتى ربه موسى على قدر
هذى الأرامل قد قضيت حاجتها	فمن لحاجة هذا الأرمل (٢) الذكر

وقال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته التى مطلعها ـ يابن المراغة ـ ويهجو الأخطل ومحمد بن عمير بن عطارد :

لمن الديار ببرقة الروحان	إذ لا نبيع زماننا بزمان (٣)
إن زرت أهلك لم ينالوا حاجتى	وإذا هجرتك شفنى هجرانى (٤)
هل رام جو سويقتين مكانه	أو حل بعد محلنا البردان (٥)

---

(١) الأرملة : من فقدت زوجها مع الفقر أو بدونه

(٢) لايقال: رجل أرمل وإنما هو وصف خاص بالمرأة ، إلاأن جريرا تظرف باستعماله .

(٣) البرقة ، الأرض الغليظة ، وبرق بلاد العرب كثيرة منها برقة الروحان ، يقول : لمن هذه الديار بتلك البرقة حيث قضينا زمنا لانبغى به سواه والاستفهام للتعظيم أى هى لمحبوبة كريمة على

(٤) شفنى أحزننى وهزلنى

(٥) رام ، فارق مضارعه يريم ، السويقتان واحده سويقة : اسم لعدة مواضع بالحجاز وغيره . ولعل موضعهما هنا نجد .

البردان مثنى برد بضم فسكون غدران بنجد ، والاستفهام معناه الحسرة والتلهف على أماكن لهوه المزعومة .

راجعت بعد سلوهن صبابة — وعرفت رسم منازل أبكانى (١)

أصبحن بعد نعيم عيش مؤنق — قفرا وبعد نواعم أخدان (٢)

قد رابنى نزع وشيب شائع — بعد الشباب وعصره الفينان (٣)

شعف القلوب وما تقضى حاجة — مثل المها بصريمة الحومان (٤)

نزل المشيب على الشباب فراعنى — وعرفت منزله على أخدانى (٥)

حور العيون يمسن غير جوادف — هز الجنوب نواعم العيدان (٦)

واذا وعدنك نائلا أخلفنه — واذا غنيت فهن عنك غوان (٧)

أصحا فؤادك أى حين أوان — أم لم يرعك تفرق الجيران (٨)

أخطا الربيع بلادهم فتيمموا — ولحبهم أحببت كل يمانى (٩)

بكرت حمامة ايكة محزونة — تدعو الهديل فهيجت أحزانى (١٠)

لا زلت فى غلل يسرك ناقع — وظلال أخضر ناعم الأغصان (١١)

---

(١) الصبابة : الشوق والولع الشديد . رسم الدار : آثارها . يقول : لما رأيت خراب المنازل ودرسها أبكانى ذلك

(٢) مؤنق . حسن معجب . أخدان جمع خدن : الصاحب .

(٣) النزع : انحسار الشعر من جانبى الجبهة . الفينان : الحسن الشعر الطويله .

(٤) شعف : غلب : المها مفردة مهاة : البقرة الوحشية . الصريمة : القطعة من معظم الرمل . الحومان جمع حومانه : المكان الغليظ ، يقول : ان النساء الجميلات يتعبن قلبي دون فائدة أحظى بها

(٥) راعى : أفزعنى ، عرفت : تبينت

(٦) حور جمع حوراء : شديدة سواد العين مع شدة بياضها ، يمسن يختلن ويتبخترن ، جوادف : قصيرات . الجنوب : ريح تخالف الشمال ، العيدان : النخل الطويل المفرد عيدانة ، يشبه النساء متبخترات بالنخيل تهزها الريح

(٧) نائلا : وصلا ، غوان مستغنيات لايبالين من ينصرف عنهن

(٨) أى هل ترن لذلك العشق ، وقد حان وقت ذلك ، يروع : يفزع

(٩) أخطأ الربيع : لم ينزل المطر ، تيمموا : قصدوا اليمن

(١٠) بكرت : قامت مبكرة صباحا . الأيكة : الشجرة العظيمة . الهديل : صوت الحمام أى تغرد .

(١١) غلل : ماء يجرى بين الأشجار . أخضر : أى روض خصب ناضر

ولقد أبيت ضجيع كل مخضب رخص الأنامل طيب الأردان (١)
عطر الثياب من العبير مذيل يمشى الهوينى مشية السكران (٢)
صدع الظعائن يوم من فؤاده صدع الزجاجة ما لذاك تدان (٣)
هل تؤنسان ودير أروى بيننا، بالأعزلين بواكر الأظعان (٤)
رفعت مائرة الدفوف أملها طول الوجيف على وجى الأمراز (٥)
حرفا أضر بها السفار كأنها جفن طويت به نجاد يمان (٦)
وإذا لقيت على زرود مجاشعا تركوا زرود خبيثة الأعطان (٧)
قتلوا الزبير وقيل إن مجاشعا شهدوا بجمع ضياطر عزلان (٨)
من كل منتفخ الوريد كأنه بغل تقاعس، فوقه خرجان (٩)
يامستجير مجاشع يخشى الردى لا تأمنن مجاشعاً بأمان (١٠)

(١) رخص : ناعم. الأردان جمع ردن : أصل الكم. طيب : عطر.

(٢) العبير : أخلاط من الطيب. الهوينى : التودة والرفق تصغير هونى مؤنث أهون. يشبه تمايل المرأة وهى ماشية بمشية السكران.

(٣) صدع : شق، تدان : التئام.

(٤) تؤنسان : تبصران والخطاب لصاحبيه المفروضين على عادة العرب فى ذلك. دير أروى : بالشام. الأعزلان : واديان، الريان والظمآن، لبنى حنظلة.

(٥) رفع البعير : حمله على الإسراع. مائرة : ناقة سهلة السير سريعة. الدفوف جمع دف : الجنب أملها : أسأمها. الوجيف : ضرب من سير الإبل والخيل. الوجى: الحفا

(٦) حرفا : ناقة ضامرة أو مهزولة، الجفن : الغمد : نجاد السيف : حمائله. يمان : منسوب إلى اليمن : أصلها يمنى بياء النسب أتى بالألف بدون إحدى الياءين وحذف هنا الأخرى على قاعدة المنقوص كقاض، يشبه ناقته فى الضمور بغمد السيف

(٧) زرود : مكان فيه يوم بين تغلب ويربوع، وماء لبنى مجاشع على طريق مكة. الأعطان جمع عطن : موطن الإبل ومبركها حول الحوض.

(٨) كان الزبير بن العوام جارا المجاشعى فلم يجره وذلك بعد وقعة الجمل. ضياطر جمع ضيطر : الضخم اللئيم. عزلان جمع أعزل.

(٩) الوريد : أحد عرقين عظيمين فى العنق. تقاعس تأخر.

(١٠) الردى : الهلاك. ومجاشع قبيلة الفرزدق كما سبق.

إن ابن شعرة والقرين وضوطرى بئس الفوارس ليلة الحدثان (١)
أبنى شعرة إن سعدا لم تلد قينا بليتيه عصيم دخان (٢)
أبنا عدلت بنى خضاف مجاشعا وعدلت خالك بالأشد سنان (٣)
شهدت عشية رحرحان مجاشع بجوارف جحف الخزير بطان (٤)
وعدت سنابك خيل قيس منكم قتلى مصرعة على الأعطان (٥)
أنسيت ـ ويل أبيك ـ غدر مجاشع وبجر جعثن ليلة السيدان (٦)
ونسيت أعين والرباب وجاركم ونوار حيث تصاصل الحجلان (٧)
لله در يزيد . يوم دعاكم والخيل مجلبة على حلبان (٨)

(١) حدثان الدهر : نوبه . ابن شعرة محمد بن عمير . القرين حكيم بن زياد المجاشعي . وضوطرى من مجاشع كذلك .

(٢) القين : الحداد . الليتان مثنى ليت (بكسر اللام) : صفحة العنق . عصيم أثر . أى ليس فينا حدادون .

(٣) عدلت : سويت . سنان بن خالد : خال جرير ، وخال الفرزدق العلاء الضبي . أى كيف تسوى بين قومى وقومك أو بين خالى وخالك مع بعد ما بينهما فى المجد والشرف ؟

(٤) رحرحان : جبل قرب عكاظ فيه يوم لعامر على دارم . جوارف ، جمع جارفة مبالغة فى شدة شرههم ، والمعنى أنهم يلتهمون الطعام . جحف : مرضى البطون من الجحاف ، وهو مشيها . الخزير : طعام يشبه عصيدة . بطان : عظام البطون.

(٥) سنابك : أطراف الحوافر ، المفرد حينئذ كقنفذ . قيس : أصل بنى عامر قرينة تغلب . مصرعة : مطروحة .

(٦ ، ٧) ويل أبيك : كلمة دعاء ، أى شر وهلاك له . غدر مجاشع أى بالزبير جعثن : بنت غالب أخت الفرزدق ، وقصتها أن غالبا جاور طلبة بن قيس بن عاصم بالسيدان ، فكانت ظمياء بنت طلبة تتحدث إلى جعثن فاشتهى الفرزدق حديثها وشغلت أخته ليلة فأخذ الفرزدق الجلاجل الذى كانت جعثن تصفق به لظمياء لتجىء ثم حرك الجلجل فجاءت ظمياء للعادة فارتابت بالفرزدق وهتفت وعادت إلى رحلها ، فلما سمع بأمرها تجمع فتيان من مقاعس فاستخرجوا جعثن من خبائها ثم سحبوها ليشهروا بها ، فعيره بذلك جرير وبالغ فيه .

(٨) مجلبة : مجتمعة . حلبان موضع باليمن قرب نجران . يذكر الشاعر وقعة لهم

لاقوا فوارس يطعنون ظهورهم ... نشط البزاة عواتق الخربان (١)

لا يخفين عليك أن محمدا ... من نسل كل صفنة مبطان (٢)

إن رمت عبد بنى أسيدة عزنا ... فانقل مناكب يذبل وذقان (٣)

إنا لنعرف ما أبوك بحاجب ... فالحق بأصلك من بنى دهمان (٤)

لما انهزمت كفى الثغور مشيع ... مناغداة جبنت ، غير جبان (٥)

شبث فخرت به عليك ومعقل ... وبمالك وبفارس العلهان (٦)

هلا طعنت الخيل يوم لقيتها ... طعن الفوارس من بنى عقفان (٧)

ألقوا السلاح إلى آل عطارد ... وتعاظموا ضرطا على الدكان (٨)

وإذا العباءة إن بشرا قد قضى ... ألا تجوز حكومة النشوان (٩)

---

(١) نشط : جذب خفيف . البزاة : الصقور جمع باز . عواتق جمع عاتق : فرخ الطائر أول مايطير : الخربان ، جمع خرب : الحبارى الذكر . يقول انهم هزموا فولوا ظهورهم حيث طعنوا طعنا عنيفا سريعا كما تفعل البزاة بالخربان .

(٢) محمد بن عمير بن عطارد . الصفنة من النساء الضخمة المسترخية . يعيره بذلك . المبطان : من همه بطنه .

(٣) عبد بنى أسيدة : محمد بن عمير . أسيدة أم مالك القشيرى ، يذبل ، وذقان : جبلان . يقول له : إن أحسابنا كالجبال الراسية ، فهل تستطيع نقلها حتى تفاخرنا

(٤) أبوك : يعنى عمير بن عطارد . بنو دهمان من بنى نصر بن معاوية .

(٥) انهزمت : يعنى أن محمد بن عمير كان على أذربيجان فأغار على أهل موقان فهزموه وأخذوا لواءه فسار اليهم عتاب بن ورقاء الرياحى فاستردلواء محمد . كفى الثغور : حمى الحدود ، مشيع : شجاع وغير صفته .

(٦) شبث ومعقل الرياحيان : العلهان : عبد الله بن الحارث اليربوعى . لأنه فى يوم (بنى غير جذيم) ثأر لأخيه بناس كثير وأصل العلهان الذى لا يعقل .

(٧) بنو عقفان بن يربوع : حى من خزاعة دفعوا الخوارج عن الكوفة أيام الحجاج ، ففرض لهم ألفى درهم فى السنة وهى درجة الشرف وهذا يسمى يوم البطين الخارجى

(٨) آل عطارد من تميم رهط الفرزدق . الدكان : الحانوت جمعه دكاكين

(٩) ذو العباءة الأخطل والعباءة مسح نصرانى كساء : بشر بن مروان بن الحكم . النشوان : السكران : يعيره بما رشاه به محمد بن عطارد من زق خمر وحلة ليفضل الفرزدق على جرير

فدعوا الحكومة لستم من أهلها ... إن الحكومة فى بنى شيبان (١)
بكر احق بأن يكونوا مقنعا ... أو أن يفوا بحقيقة الجيران (٢)
قتلوا كليبكم بلقحة جارهم ... يا خزر تغلب لستم بهجان (٣)
كذب الأخيطل إن قومى فيهم ... تاج الملوك وراية النعمان (٤)
منهم عتيبة والمحل وقعنب ... والحنتفان ومنهم الردفان (٥)
إنى ليعرف فى السرادق منزلى ... عند الملوك وعند كل رهان (٦)
ما زال عيص بنى كليب فى حمى ... أشب ألف منابت العيصان (٧)
الضاربين إذا الكماة تنازلوا ... ضربا يقد عواتق الأبدان (٨)
وحمى الفوارس من غدانة إنهم ... نعم الحماة عشية الإرنان (٩)
إنا لنستلب الجبابر تاجهم ... قابوس يعلم ذاك والجونان (١٠)

(١) بنو شيبان من بكر، والأخطل تغلبي وكانت بين بكر وتغلب عداوة ومنافسة

(٢) مقنع إقناع وكفاية ، حقيقة ، حق وحمى .

(٣) كليب ، فارس وشاعر جاهلى ، وهو خال امرىء القيس ، وكان تغلبيا قتل فى حرب البسوس ، لقحة : ناقة ، خزر : ضيقو العيون أى لئام ، الهجان : الخيار .

(٤) تاج الملوك يشير الى أن الخلافة فى قومه إذ ذاك . راية النعمان : أى قديما لأنهم أسروا قابوس بن المنذر .

(٥) هؤلاء المذكورون من يربوع رهط جرير يفخر بمحامدهم .

(٦) السرادق : ما يمد فوق صحن البيت . ويريد المجتمع أو النادى .

(٧) العيص . الأصل . أشب : شجر متكاثف . العيصان : جمع عيص . بنو كليب : قبيلة جرير من تميم . يقول : إن أصلنا عزيز منيع لا يرام .

(٨) يقد : يقطع .عواتق جمع عاتق . ما بين المنكب والعنق . الكماة : الأبطال المفرد كمى ، الأبدان : الدروع المفرد بدن .

(٩) الفوارس : هم وكيع بن حسان ومن شهده من بنى غدانة حين قتل قتيبة بن مسلم وغلب على منابر خراسان ، عشية الأرنان : يريد عشية تكثر فيها الأصوات

(١٠) نستلب ألخ : نغتصب الملوك نفوسهم يشير إلى حادثة قابوس.الجونان : حسان ومعاوية من كندة .

ولقد شفوك من المكوى جنبه ... والله أنزله بدار هوان (١)
جاريت مطلع الجراء بنابه ... روق شبيبته وعمرك فانى (٢)
مازلت مد عظم الخطار معاودا ... ضبر المئين وسبق كل رهان (٣)
ما زال منزلنا لتغلب غالبا ... والله شرف فوقهم بنيانى (٤)
فاقبض يديك فاننى فى مشرف ... صعب الذرا متمنع الأركان (٥)
ولقد سبقت فما ورائى لاحق ... بدءا وخلى فى الجراء عنانى (٦)
نزع الأخيطل حين جد جراؤنا ... حطم الشوى متكسر الأسنان (٧)
قل للمعرض والمشور نفسه ... من شاء قاس عنانه بعنانى (٨)

وقد توفى جرير باليمامة عام ١١١ هـ ، وقيل عام ١١٠ هـ ، وقيل عام ١١٤هـ

---

(١) المكوى جنبه : رجل يسمى الشمرذى من بكر حرق جنبه ثم قتلته قيس بالبليخ .

(٢) المطلع : الضابط الأمر القوى عليه . الجراء : المفاخرة . روق الشباب أوله . أى فاخرت من هو أقوى منك .

(٣) الخطار : جمع خطر . السبق يتراهن عليه . الضبر : الوثب . المئين : أراد المئين من الغلاء جمع غلوة : رمية السهم : والمعنى أنى ما زلت غالبا منذ قامت المهاجاة والمفاخرة بيننا .

(٤) أى أعلى منزلتنا وشرفنا عليهم .

(٥) المشرف العالى ، يريد نسبه . صعب الذرا لايرام لصعوبته والذرا جمع ذروة أعلى الشىء ، متمنع الأركان : صعب الجوانب لا يرتقى .

(٦) بدء : أولى الأمر . أى منذ بدأ السباق . العنان : سير اللجام ، وترك العنان يكون للفرس غير الصعب معتاد السباق ، وإنما يصف الشاعر نفسه باعتياده المفاخرة والفوز فيها .

(٧) نزع : كف لما علم أنه مسبوق بالشرف . حطم : متكسر . الشوى : القوائم ، يشبه الأخطل فى تخلفه بالكلب الذى تكسرت قوائمه وأسنانه فى العراك ففرهاربا

(٨) المشور : المجمل أو المروض المختبر ، يريد من شاء مفاخرتى بالمجد تقدم ليرى مكانتى .

نفسية الشاعر :

ولد ونشأ جرير فى البادية فتخلق بأخلاق أهلها : من الأنفة وحب الانتقام والأخذ بالثأر بيده أو بلسانه ، وكان حاد العاطفة ، متأجج الشعور ، يظلمه الرجل أو يهجوه الشاعر ، فيبادر إلى الانتقام والأخذ بالثأر ، ويتخذ من شعره أداة طيعة لنضاله وخصومته ومعاركه مع الشعراء ، فشب مطبوعا فى الهجاء شديد اللذع ، يرهب الناس والشعراء جانبه: لما فى هجائه من إيجاع وشدة، وكثرة ابتداع واختلاق.. وهو مع ذلك لا يبالى بالحرمات والعورات ، ولا يأنف أن يسب الرجل بأمه وأبيه .

ومع ذلك كله فقد كان فى قرارة نفسه يرهب الله والحكام والسلطان والخلفاء ، متدينا ، كثير الصلاة والدعاء والتسبيح ، فى عفة وندم على ما يبدر منه من قذف المحصنات ، واعتراف بما يختلقه فى هجائه من أكاذيب وأساطير .

شاعريته :

وقد ساعد على تكوين شاعريته عوامل كثيرة ، أهمها : بيئته وعصره ونشأته فى البادية ، وما فطر عليه من حب للشعر وتذوق له ، وثقافته الأدبية باختلاطه بالعرب الفصحاء وبالشعراء البلغاء والخطباء الأبيناء ، ثم هذه المعارك والخصومات الأدبية العنيفة التى خاضها والتى كان خصومه فيها فطاحل الشعراء فى عصره مما أجج من شاعريته وبعث من حيويته الأدبية والفنية ، ثم استجداؤه للأمراء والخلفاء ووفادته عليهم ورغبته فى كسب جوائزهم... إلى غير ذلك من أسباب الشعر وبواعثه فى نفسه .

ولقد كان جرير ينظم الشعر عن طبع موهوب، وملكات سليمة قوية ، وفطرة أدبية عالية ، وسليقة بيانية جياشة .

وكان ينظمه صورة لنفسيته الصريحة وطبعه البدوى وملكاته الأدبية المرهفة ، فجاء عاليا فى بلاغته ووضوحه وجماله وقوته وشدة تأثيره ، وسلامته وعذوبته، حتى اتخذ للغناء ، ولحنه الملحنون وغنت به الجوارى فى قصور الخلفاء والأمراء والولاة والعظماء .

كان شعره متسق الأسلوب ، منتظم المعانى ، مطرد القافية ، مؤتلف الألفاظ

وكان الشاعر أشبه شيء برجل واقف على شاطىء نهر كبير يغترف من نميره كلما شاء .

وهكذا نحت جرير أرجازه وقصائده ومقطوعاته وقوافيه ، مما دعا إلى إعجاب الناس الشديد بشعره ، وإطراء النقاد له ، وشيوعه فى كل مجلس وناد وعلى ألسنة الناس والنشء والمغنين .

وكان جرير محل إعجاب العلماء والأدباء والنقاد والخلفاء فى عصره ، مما علمت الكثير منه فى هذه الترجمة ، ولقد علمت مدى إعجاب خليفة عظيم وأديب ناقد ، هو عبد الملك بن مروان ، بحائيته وببيته فيها :

ألستم خير من ركب المطايا　　　وأندى العالمين بطون راح؟

على ما فى البيت من سذاجة وبداوة .

معانى الشاعر :

ومعانى جرير تجد فيها بوضوح روح البداوة وسذاجتها وقلة تكلفها ، وتجد فيها أثر البادية وصور حياتها وتفكيرها وثقافتها ومعارفها وألوان عاداتها وتقاليدها ومفاخرها ومثالبها .

كما تجد فيها أثر الاسلام وشرائعه وآدابه وحكمه وعبادته .

ولا بدع فشعره صورة حية لحياة البادية فى القرن الأول الهجرى ، هذه الحياة التى تجمع بين القديم الموروث والجديد الطريف من دين وملك ودولة وسلطان ، ويمثل الحياة البدوية الاسلامية أتم تمثيل .

وكانت الحياة العقلية آنذاك بعيدة عن الترف العقلى والتعمق فى العلوم والفنون والأدب، مما بلغته بعد ذلك فى العهد العباسى . فظهرت على معانى الشاعر هذه الصبغة ، إذ لم يكن دخل على الشعر بعد شيء من معارف وحضارات الامم القديمة من هنود وفرس ويونان ، بل كان الشعر ينبع من ينابيع الفطرة والطبع لا غير ، وهكذا كانت معانى جرير فطرية قريبة الغور سهلة المنزع ، تخطر بالبال لأول وهلة .

ولم يكن جرير فى هذا كالفرزدق الذى نشأ بالبصرة وتثقف على العلماء وحضر مجالسهم ووعى لألوان كثيرة من الثقافة الإسلامية والعربية والأدبية فى البصرة

مما ظهر فى شعره ، ولكن جريرا رجل بدوى نشأ فى اليمامة ، ولما كملت عقليته وتم شبابه ذهب إلى البصرة وأقام فيها ، فكان الفرق بينه وبين الفرزدق فى الثقافة والعقلية جد كبير .

ومع ذلك كله فقد استبد جرير بالأعجاب ، وسر ذلك هذه السذاجة وتلك البداوة الفطرية ، وذلك الوضوح الظاهر فى معانيه ، مع الجمال والسحر والقوة والجزالة النادرة

وأبياته المشهورة مثل قوله لعبد الملك :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح؟

وقوله للفرزدق فى تهكم وسخرية :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع

وقوله فى الغزل :

إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وقوله فى الحكمة :

إنى لأرجو منك خيراً عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل

وقوله فى الهجاء يخاطب الراعى النميرى :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقوله فى الفخر:

إذا غضبت عليك بنو تميم رأيت الناس كلهم غضابا

إلى غير ذلك من روائعه ، هذه الأبيات وماشا بهها لاتستبد بإعجابك ، لمعانيها الجليلة العميقة ، بل كلها معان قريبة من الفطرة والوضوح والبداوة والأمكان والعامية ، إنما تستبد بالاعجاب لمافيها من جمال وقوة ووضوح وصدق تأثير ، وأبلغ قصد إلى ما يعجب ويؤثر ويسحر عقول الناس ، ولهذا صدق حكم النقاد بأن جريرا أسير من الأخطل والفرزدق شعرا .

أسلوب الشاعر

أسلوب جرير نمط فريد من البساطة والسذاجة والسلاسة والسهولة والبعد

عن الحوشية والإغراب والتكلف والتعقيد والتقعير ، مع الجزالة والفحولة وروعة التعبير وفخامة التصوير ، ومع حسن الجرس وخفة الوقع وعذوبة الأداء وقوة التأثير وجمال الانسجام والائتلاف ، ومع السحر والبلاغة والطبع والموهبة الفنية القادرة ، التي تتناول الأشياء من قريب ، وهي مع ذلك تعجز الشعراء ، وبحق إن أسلوبه هو السهولة الممتنعة والعذوبة الساحرة والفصاحة الباهرة والجزالة النادرة .

فنون الشعر عند جرير :

وقد أجاد جرير في كثير من ألوان الشعر وفنونه وضروبه وأغراضه :

١ — فله نصيب كبير في الشعر السياسي في عصر بني أمية فقد وقف في صف الأمويين يؤيد عرشهم وسلطانهم ولم يكن زبيريا ولا علويا ولا خارجيا ، ولذلك كان شعره في مدح خلفاء بني أمية وأمرائهم وولاتهم .

وكان لشعر جرير السياسي أثر بعيد في جذب القلوب والأفئدة حول عرش بني أمية ، مما كان يعرفه الخلفاء ويذكرونه ويقدرونه ويشكرونه بهذه الألطاف السنية التي كانوا يهدونها لجرير .

٢ — وأجاد في المدح إجادة بالغة ، وكان له حذق في استجلاب رضاء الخلفاء ورجال الدولة وفي استخراج أموالهم وهداياهم ولطائفهم ، ومدائحه في الحجاج وعبد الملك وغيرهما مشهورة . كما أنه مدح القيسية أعداء تميم في الجاهلية والاسلام .

ومدحه فيه إطالة وجودة واستقصاء لمعاني المدح أوصاف الممدوح ، وهو في هذا الباب أعرق من الفرزدق الذي كان يجيد الفخر لا المدح وإن بذه الأخطل أحيانا .

٣ — وأجاد جرير وأوجع في الهجاء ، وحسبك أنه وقف له فحول الشعراء في عصره ببواعث العصبية القبلية والسياسية والأدبية ، فصال فيهم وانتصر عليهم ، وفي هجائه تهكم ساخر واستهزاء شديد وكثرة تعجب من مكابرة الخصوم ورمي بكل آبدة تكون هي سبة الدهر وعار الأبد .

وقد وقف له الفرزدق والأخطل ، ولكنه كان يغبر في وجوههم ، وقصيدته في مناقضة الفرزدق التي يقول منها :

أخزى الذي رفع السماء مجاشعا   وبنى بناء بالحضيض الأسفل

مشهورة .

ومن لاذع هجائه وتهكمه قوله :

فغض الطرف إنك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقوله :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا   أبشر بطول سلامة يامربع

٤ — ولجرير كثير من القصائد في الفخر .. افتخر بعشيرته بني يربوع وهم قبيلته العليا وكان لهم شرف ومجد ونباهة في الجاهلية والاسلام، وهجا الأخطل بالنصرانية وافتخر عليه بأن النبوة والخلافة في مضر :

إن الذى حرم المكارم تغلبا   جعل الخلافة والنبوة فينا

مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم   ياخزر تغلب من أب كأبينا ؟

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة   لو شئت ساقكم إلى قطينا

والقطين . الخادم .

٥ — وغزل جرير من روائع شاعريته ، وله فيه الكثير من الروعة والاحسان والاجادة والسحر .

ويمتاز بالعذوبة والرقة والجمال والبلاغة وخفة الوزن والموسيقى والقافية ، وله فى هذا الفن الكثير من القصائد الساحرات البينات البليغة

ومن ذلك قوله

ودع أمامة حان منك رحيل   إن الوداع لمن تحب قليل
مثل الكثيب تهيلت أعطافه   فالريح تجبر متنه وتهيل
تلك القلوب صواديا تيمتها   وأرى الشفاء وما إليه سبيل

وقوله :

إن الذين غدوا بلبك غادروا   وشلا بعينك لايزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى :   ماذا لقيت من الهوى ولقينا ؟

وقوله :

بنفسى من تجنبه عزيز   على ومن زيارته لمام

ومن أمسى وأصبح لاأراه ويطرقنى إذا هجر النيام

وقوله:

إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

وهو فى ذلك وفى سواه من بليغ نسيبه وغزله يقف مع أشهر الشعراء الغزلين فى عصره .

على أن هؤلاء ليس لهم من الغزل إلا قصائد مفردة كابن الدمينة الذى لم يشتهر إلا بقصائد مفردة منها :

الا ياصبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادنى مسراك وجدا على وجد

وعروة بن أذينة الذى كان أظهر شاعريته فى الغزل قوله :

إن التى زعمت فؤادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها

أما جرير فلم يكن يحب ولم يكن ينظم الغزل فنا مستقلا لايتعداه إلى سواه ، لم يكن صاحب غزل قصصى كعمر ، ولم يكن من العذريين كقيس وجميل . إنما كان شاعراً كأغلب الشعراء فى عصره ، يتغزل وينسب فى مطالع قصائده فيأتى بالمعجب المطرب من آيات الشاعرية والنسيب .

آراء لجرير فى النقد :

يقول جرير فى عمر بن أبى ربيعة :

مازال يهذى حتى قال الشعر (١) ، وأعجب ببيتين للمجنون (٢)

ويقول جرير : لولا شغلى بالشعراء لشببت تشبيبا تحن منه العجوز إلى أيام الشباب (٣)

ولما قدم جرير المدينة اجتمع إليه أهلها وقالوا : أنشدنا من شعرك ؟ فقال : ماتصنعون به وفيكم من يقول :

أنى سربت وكنت غير سروب(٤)

---

(١) ٨ و ٩ / ٤ العقد (٢) ٤ جـ ٤ العقد (٣) ١٠٣ / ٤ العقد
(٤) ٢٩ / ٤ زهر الآداب

وقال حجناء لأبيه جرير :

يا أبت إنك لم تهج أحداً إلا وضعتهم إلا التيم ، قال : إنى لم أجد حسباً فأضعه ، ولا بناء فأهدمه(١)

جرير ورأيه فى شعره :

دخل جرير على بعض الخلفاء فقال : ألا تحدثنى عن الشعراء ؟ فقلت : بلى ، قال : من أشعر النـــاس ، قلت : ابن العشرين ، يعنى طرفة ، قال : فما تقول فى امرىء القيس ؟ قال : اتخذ الخبيث الشعر نعلين ، يطؤهما كيف يشاء ، قال فما تقول فى ذى الرمة ، قلت : قدر من الشعر على ما لم يقـدر عليه أحد ، قال فما تقول فى الأخطل ؟ قلت ما باح بما فى صدره من الشعر حتى مات ، قال فما تقول فى الفرزدق قلت بيده نبعة الشعر قابضا عليها ، قال فما أبقيت لنفسـك شيئا ، قلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، أنا مدينة الشعر التى يخرج منها ويعود اليها ، ولأنا سبحت الشعر تسبيحا ما سبحه أحدا قبلى ، قال وما التسبيح ؟ قلت : نسبت فأطرفت ، وهجوت فأرذيت (٢) ، ومـدحت فأسنيت ، ورملت فأغزرت ، ورجزت فأبحرت ، فأنا قلت ضروبا من الشعر لم يقلها أحد قبلى (٣)

النقاد وجرير :

ويقول بعض الشعراء :

أشعر الناس النابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، وجرير إذا غضب (٤) ، ويروى : النابغة اذارهب ، وزهير إذا غضب ، وجرير إذا رغب (٥).. ونقد ابن جأ جريرا (٦)

وكان أبو نواس يقدم جريرا وخالفه البحترى فقدم الفرزدق ، فقيل له : كيف وجرير أشبه بك طبعا منه ؟ فقال : إنما يزعم هـذا الـكلام من لا علم له بالشعر ، جرير لا يعدو فى هجائه الفرزدق ذكر القين وقتـل الزبير والفرزدق يرمـيه فى كل قصيدة بآبدة (٧)

(١) ١٧٢ / ٣ البيان
(٢) أسقطت (٣) ١٧٩ و ١٨٠ / ٢ الامالى
(٤) ٣٨٠ ج ٣ العقد (٥) ٤١٣ ج ٣ العقد
(٦) ٤٣٧ ج ٣ العقد (٧) ١٧١ ج١ المواهب الفتحية

وقدم الفرزدق المدينة فنزل على الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم ، فقال الأحوص : ألا أسمعك غناء فغناه :

أتنسى إذا تودعنا سليمى بعود بشامة سقى البشام
بنفسى من تجنبه عزيز على ومن زيارته لمام
ومن أمسى وأصبح لا أراه ويطرقنى إذا هجع النيام

فقال الفرزدق : لمن هذا الشعر قال : لجرير ثم غناه

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك ما يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال لمن ذا الشعر فقال : لجرير ، ثم غناه

أسرى لخالدة الخيال ولا أرى شيئاً ألذ من الخيال الطارق
ان البلية من يمل حديثه فانقع فؤادك من حديث الوامق

فقال لمن هذا الشعر ؟ فقال : لجرير ، فقال : ما أحوجه مع عفافه إلى خشونة شعرى ، وما أحوجنى مع فسوقى إلى رقة شعره

وصحح خلف للاصمعى رواية بيت لجرير وقال له . اروه هكذا ، فقد كانت الرواة قديما تصلح أشعار الأوائل (١)

وروى صاحب الأغانى قال : ان رجلا قال لجرير : من أشعر الناس ؟ قال له قم حتى أعرفك بالجواب ، فأخذ بيده وجاء به إلى بيت أبيه عطيه وقد أخذ عنزا فاعتقلها وأخذ يمص ضرعها فصاح به : أخرج يا أبت ، فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته فقال : أترى هذا ، قال : نعم ، قال : أو تعرفه ؟ قال لا ، قال هذا أبى ، أفتدرى لم كان يشرب من ضرع العنز ؟ قال لا ، قال : مخافه أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن ، ثم قال : أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعرا وقارعهم به فغلبهم جميعا . . . أورد صاحب الأغانى عن محمد ابن سلام قال العلاء بن جرير العنبرى وكان شيخا قد جالس الناس ، اذا لم يجىء الأخطل سابقا فهو سكيت والفرزدق لايجىء سابقا ولا سكيتا وجرير يجى سابقا ومصليا وسكيتا .

---

(١) ١٣ ج ٢ زهر الآداب

وذكر صاحب الأغانى أيضا عن محمد بن سلام قال رأيت أعرابيا من بنى أسيد أعجبنى ظرفه وروايته فقلت له أيهما ـ أى جرير والفرزدق ـ عندكم أشعر؟ قال بيوت الشعر أربعة: فخر ومديح وهجاء ونسيب، وفى كلها غلب جرير قال فى الفخر:

إذا غضبت عليك بنو تميم   حسبت الناس كلهم غضابا

والمديح قوله:

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح

والهجاء قوله:

فغض الطرف إنك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

والنسيب قوله:

إن العيون التى فى طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له   وهن أضعف خلق الله إنسانا

وقال الحجاج لجرير وللفرزدق وهو فى قصره بحرى البصرة: أتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهلية، فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد فى قبة، وشاور جرير دهاة بنى يربوع فقالوا له ما لباس آبائنا إلا الحديد فلبس جرير درعا وتقلد سيفاً وأخذ رمحاً وركب فرساً لعباد بن الحصين يقال له المنجاز وأقبل فى أربعين فارساً من بنى يربوع، وجاء الفرزدق فى هيئته، فقال جرير:

لبست سلاحى والفرزدق لعبة   عليه وشاحا كرج وخلاخله

أعدوا مع الخز الملاء فإنما   جرير لكم بعل وأنتم حلائله

وقد شاع شعر جرير بين الناس فى عصره وحفظوه وأنشدوه وتغنوا به، حتى إن سكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب كانت من الذين يفضلون شعره على شعر الفرزدق، وقد حفظت منه شيئا كثيراً، ويقال إن جريراً عاش ثمانين سنة فلما بلغه موت الفرزدق بكى وقال أما والله لأنى قليل البقاء بعده، ولقد كان نجمنا واحداً وكل منا مشغول بصاحبه، وقلما مات ضد أو صديق إلا وتبعه صاحبه.

ذيوع شعر جرير

وقد وهب جرير سيرورة الشعر وذيوع الذكر، حتى إنه لما ماتت امرأة الفرزدق لم تندبها النوادب إلا بشعر جرير فى رثاء امرأته، وكان الفرزدق يحسده على رقة شعره ويقول: ما أحوج جريراً مع عفافه إلى صلابة شعرى! وأحوجنى مع

شوقى إلى رقة شعره ، ولجرير فى كل باب من الشعر أبيات سائرة هى الغاية التى يضرب بها المثل ، فيقال إن أغزل شعر قالته العرب هو قوله :

إن العيون التى فى طرفها حور (١) قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

وإن أمدح بيت قوله :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وإن أفخر بيت قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

وإن أهجى بيت مع التصون عن الفحش قوله :

فغض (٢) الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وإن أصدق بيت قوله :

إنى لأرجو منك خيرا عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل

وإن أشد بيت تهكما قوله :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا (٣) أبشر بطول سلامة يا مربع

ويقولون : لعب جرير وجد فى قصيدة يهجو بها الأخطل التغلبى بما لو أراده غيره لامتنع عليه ، ففى لعبه يقول :

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا (٤) بعينك لا يزال معيناً (٥)
غيضن (٦) من عبراتهن (٧) وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وفى جده يقول :

إن الذى حرم المكارم تغلبا جعل الخلافة والنبوة فينا
مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم يا خزر (٨) تغلب من أب كأبينا
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا (٩)

---

(١) الحور شدة سواد العين مع شدة بياضها (٢) اخفض (٣) هو راوية جرير
(٤) الوشل الماء القليل (٥) جاريا (٦) غاض الماء ذهب وغيضن أذهبن
(٧) جمع عبرة وهى الدمعة قبل أن تفيض (٨) الخزر ضيق العيون وصغرها
(٩) خدما

ولما بلغ عبد الملك هذا الشعر قال مازاد ابن المراغة(١) أن جعلني شرطيا(٢) أما لو أنه قال : لو شاء ساقكم إلى قطينا ، لسقتهم إليه كما قال .

ومن جيد شعره قوله من قصيدة يرثى بها امرأته وهى تلك التى ندبت بها نوار امرأة الفرزدق :

لولا الحياء لهاجنى استعبار(٣) ولزرت قبرك والحبيب يزار
ولهت قلبى إذ علتنى كبرة(٤) وذوو التمائم من بنيك صغار
لايلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار
صلى الملائكة الذين تخيروا والطيبون عليك والأبرار
فلقد أراك كسيت أحسن منظر ومع الجمال سكينة ووقار

وقال يهجو تغلب قبيلة الأخطل :

فلو أن تغلب جمعت أحلامها يوم التفاضل لم تزن مثقالا
تلقاهم حلماء عن أعدائهم وعلى الصديق تراهم جهالا
لاتطلبن خؤولة فى تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا

آراء النقاد فى الشعراء الثلاثة

يقول الحذاق : الفحول ثلاثة متشابهون :

زهير والفرزدق ، والنابغة والأخطل ، والأعشى وجرير(٥) .

ويقول جرير :

الفرزدق نبعة الشعر ، والأخطل يجيد مدح الملوك ويصيب صفة الخمر ، وأنا بحرت الشعر بحراً(٦) .

وقيل الشعراء ثلاثة متشابهون :

١ — امرؤ القيس وذو الرمة وابن المعتز ، وهذا قول من ينظر إلى التشبيه .

٢ — أو الأعشى والأخطل وأبو نواس ، وهذا قول من ينظر إلى صفة الخمر .

٣ — أو مهلهل وعمر والعباس بن الأحنف ، وهذا قول من ينظر إلى الأناقة وسهولة الكلام والقدرة على الصنعة والتجويد فى فن واحد(٧) .

---

(١) كلمة لقب بها الفرزدق أم جرير ، والمراغة الأتان (٢) كنركى وجهنى : أعوان الملك
(٣) استعبرت عبرته جرت دموعه (٤) الكبر والضعف
(٥) ٢/٢٩٧ المزهر طبع صبيح (٦) ٢/٢٩٨ المرجع (٧) ٢/٢٩٩ المرجع

وقال مالك بن الأخطل: جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر(١).

ويقول جرير :

أنا مدينة الشعر والفرزدق نبعته(٢) .

ونقد سليمان بن عبدالملك الفرزدق وجريرا والأخطل فى مجلس من مجالسه(٣) .

ويقول الفرزدق فى جرير : ما أحوجه مع عفافه إلى خنوثة شعرى وأحوجنى مع فسوقى إلى رقة شعره(٤) .

وأذن الوليد لجرير والفرزدق والأخطل ، ومنع البعيث الشاعر لأنه ليس كهؤلاء ، ثم استشفع البعيث فدخل ، فأخذ يتقدم أمام الخليفة(٥) .

وكان يونس يقدم الفرزدق ، وكان المفضل يقدمه تقدمة شديدة ، وقال جرير: نبعة الشعر الفرزدق(٦) .

وقال ابن دأب : الفرزدق أشعر عامة وجرير أشعر خاصة .

وقال بشار : لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه ، وكان جرير يحسن ضروباً من الشعر لايحسنها الفرزدق وفضل جريراً عليه(٧) .

وقال العلاء العنبرى :

كان يقال : الأخطل إذا لم يجىء سابقا فهو سكيت ، والفرزدق لايجىء سابقا ولا سكيتا ، فهو بمنزلة المصلى، وجرير يجىء سابقا وسكيتا ومصليا (٧).

وسئل الأخطل عن جرير فقال :

دعوا جريراً أخزاه الله فإنه كان بلاء على من صب عليه (٨)

وقد لج الهجاء بين جرير والفرزدق نحواً من أربعين سنة ، لم يغلب واحد منهما على صاحبه ولم يتهاج شاعران فى الجاهلية والاسلام بمثل ما تهاجيا به(٩) .

وقيل لنصيب : من أشعر الناس ؟ قال : أخو بنى تميم . قيل ثم من ؟ قال : أنا قيل ثم من ؟ قال ابن يسار النسائى .

وكان جرير يشبه بالأعشى(١٠) والفرزدق يشبه بزهير(١١) وكان الأخطل يشبه بالنابغة(١٢) .

---

(١) ٩٧ و١٩٦ / ٢ البيان والتبيين (٢) ٣٨٠/ ٣ العقد (٣) ٨ / ٤ العقد
(٤) ١٠٣ / العقد (٥) ٤٣٦ / ٣ العقد (٦) ١٢١ طبقات الشعراء لابن سلام
(٧) ١٣٩ المرجع (٨) ١٣٩ طبقات الشعراء لابن سلام (٩) ١٤٧ المرجع
(١٠) ١٨٠ الشعر والشعراء لابن قتيبة (١١) ١٨٦ الشعر والشعراء لابن قتيبة
(١٢) ١٨٩ المرجع

ويقول ناقد : اتفق علماء الأدب وأئمة نقد الشعر على أنه لم يوجد فى الشعراء الذين نشئوا فى ملك الاسلام أبلغ من جرير والفرزدق والأخطل ، وانما اختلفوا فى أيهم أشعر ، ولكل هوى وميل فى تقديم صاحبه : فمن كان هواه فى رقة النسيب وجودة الغزل والتشبيب ، وجمال اللفظ ولين الأسلوب ، والتصرف فى أغراض شتى فضل جريرا .. ومن مال إلى إجادة الفخر . وفخامة اللفظ ، ودقة المسلك ، وصلابة الشعر وقوة أسره ، فضل الفرزدق . ومن نظر بعد بلاغة اللفظ ، وحسن الصوغ الى اجادة المدح والأمعان فى الهجاء ، واستهواه وصف الخمر واجتماع الندمان عليها ، حكم للأخطل ، وهناك فريق يدخل فى الموازنة بينهم ماليس من موضوع الأدب ، فأهل الحسب والنسب يقدمون الفرزدق ، وأهل الدين والعفة يقدمون جريراً ، وأدباء المسيحيين يقدمون الأخطل ، ولا عبرة بذلك فى باب صناعة الشعر ، على أن طائفة من أهل النقد المعتد بهم يرون جريراً أشعر الثلاثة : لأنه طرق جميع أبواب الشعر ولم يقصر فى باب ، وان الفرزدق امتاز بالفخر ، والأخطل بالمدح والهجاء

وقيل : كان يقال الاخطل : إذا لم يجىء سابقا فهو سكيت والفرزدق لا يجىء سابقا ولا سكيتا فهو بمنزلة المصلى وجرير يجىء سابقا وسكيتا ومصليا ، قال ابن سلام : وتأويل هذا أن للاخطل خمسا أو ستا أو سبعا طوالا روائع غراجيادا هو بهن سابق وسائر شعره دون أشعارهما فهو فيما بقى بمنزلة السكيت والسكيت آخر الخيل فى الرهان ، ويقال إن الفرزدق دونه فى هذه الروائع وفوقه فى بقية شعره فهو مصلى والمصلى الذى يجىء بعد السابق وقبل السكيت ، وجرير له روائع هو بهن سابق وأوساط هو بهن مصلى وسفسافات هو بهن سكيت .

قال ابن سلام : وأهل البادية بشعر جرير أعجب ، قال : وسألت بشارا عن الثلاثة فقال : لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه ، قلت : لجرير والفرزدق ؟ قال : كان جرير يحسن ضروبا من الشعر لا يحسنها الفرزدق وفضل جريرا عليه قال ولقد ماتت النوار فناح عليها النساء بشعر جرير (١) .

وكان ثعلب يقول : جرير أشعر من الفرزدق ، وكان محمد بن سلام يفضل الفرزدق ، وسئل مسلمة بن عبد الملك عنهما فقال : جرير يهدم والفرزدق يبنى .

وكان البحترى يقول : من أين لجرير معانى الفرزدق وحسن اختراعه ؟ جرير

(١) ١١٥ و ١١٦ الموشح للمرزبانى .

بجيد النسيب ولا يتجاوز هجاء الفرزدق بأربعة أشياء : بالقين ، وقتل الزبير ، وبأخته جعثن ، وامرأته النوار . والفرزدق يهجوه فى كل قصيدة بأنواع هجاء يخترعها ويبدع فيها (١) .

وسئل جرير عنه وعن الفرزدق والأخطل فقال: أما أنا فمدينة الشعر، والفرزدق له سن وفخر ، والأخطل أرمانا للفرائص وأشدنا اجتزاء بالقليل وأنعتنا للخمر والحمر ، وشعر ذى الرمة بعر ظباء ونقط عروس (٢) .

واجتمع (٣) على باب الوليد بن عبد الملك الفرزدق وجرير والأخطل والبعيث والأشهب بن رميلة فدخل عليه داخل فقال : ياأمير المؤمنين، لقد اجتمع على بابك شعراء مااجتمع مثلهم على باب ملك قط. ثم سماهم فأمر بالفرزدق فأدخل أولهم ، فاستنشده وحادثه . ثم أمر بالباقين فأدخلوا ، وأخر البعيث ، فقيل له فى البعيث فقال : إنه ليس كهؤلاء . فقيل له : ماهو بدونهم. فأمر به فأدخل ثم استنشده ، فقال : ياأمير المؤمنين ان من حضرك ظنوا أنك انما قدمتهم على لفضل وجدته عندهم لم تجده عندى . قال : أولست تعلم أنهم أشعر منك ؟ قال كلا والله ، ولأنشدتك من أشعرهم مالو هجاهم أعدى الناس لهم مابلغ منهم مابلغوا من أنفسهم ، أما هذا الشيخ الأحمق — وأشار إلى الفرزدق - فانه قال لعبيد بنى كليب هذا - واشار إلى جرير - :

بأى رشاء ياجرير وماتح تدليت فى حومات تلك القماقم

فجعله تدلى عليه وعلى قومه . وأما عبيد بنى كليب — وأشار إلى جرير — فقال لهذا الشيخ :

لقومى أحمى للحقيقة منكم وأضرب للجبار والنقع ساطع
وأوثق عند المردفات عشية لحاقاً إذا ما جرد السيف لامع

فجعل نساءه سبايا بالغداة قد نكحن ، ووثقن فى عيشتهن باللحاق . وأما هذا ابن النصرانية — يعنى الأخطل — فانه قال :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكى والمعول

---

(١) ١٢٤ الموشح (٢) ١٧١ الموشح للمرزبانى
(٣) ١٦٥ و ١٦٦ الموشح

فاقر بما أقر به وهناً وجبناً وضعفاً . وأما ابن رميلة الضعيف فانه قال :

ولما رأيت القوم ضمت حبالهم ونى ونية شرى وما كان وانيا

فأقر أن شره ونى عنه وقت الحاجة اليه ، فقال له الوليد : لعمرى لقد عبت معيباً ، ثم استنشده وأحسن جائزته .

قال المرزبانى : وذكر الفرزدق فى هذا الحديث غلط ، لأنه ماورد على خليفة قبل سليمان بن عبد الملك

وقال هشام بن عبد الملك لشبة بن عقال ، وعنده جرير والفرزدق والأخطل وهو يومئذ أمير : ألا تخبرنى عن هؤلاء الذين قد مزقوا أعراضهم ، وهتكوا أستارهم ، وأغروا بين عشائرهم ، فى غير خير ولا نفع ، أيهم أشعر ؟

فقال شبة* : أما جرير فيغرف من بحر ، وأما الفرزدق فينحت من صخر ، وأما الاخطل فيجيد المدح والفخر .

فقال هشام : ما فسرت لنا شيئا نحصله ! فقال : ماعندى غير ما قلت !

فقال لخالد (١) بن صفوان : صفهم لنا يابن الأهتم ، فقال : أما أعظمهم فخرا ، وأبعدهم ذكرا ، واحسنهم عذرا ، وأسيرهم مثلا ، وأقلهم غزلا ، وأحلاهم عللا ، الطامى (٢) إذا زخر ، والحامى اذا زأر ، والسامى إذا خطر ، الذى إن هدر (٣) قال ، وإن خطر صال . الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق . وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم فوتاً ، الذى إن هجا وضع (٤) ، وإن مدح رفع ، فالأخطل .

وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأهتكهم لعدوه ستراً ، الأغر الأبلق ، الذى إن طلب لم يسبق ، وإن طلب لم يلحق ، فجرير . وكلهم ذكى الفؤاد ، رفيع العماد ، وارى الزناد .

فقال له مسلمة بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك ياخالد فى الأولين ، ولا رأينا

---

* الأغانى ص ٨١ ج ٨ ، معجم الأدباء ص ٢٥ ج ١١

(١) أحد فصحاء العرب وخطبائهم ، وهو مشهور برواية الأخبار ، وكان يجالس هشام بن عبد الملك ولكنه كان بخيلا ، وتوفى سنة ١٣٥ هـ

(٢) الطامى : من طمى الماء إذا ارتفع وملأ النهر ، وزخر البحر : امتلأ

(٣) هدر البعير : ردد صوته فى حنجرته ، وهدر الحمام : كرر صوته

(٤) خفض

فى الآخرين ، وأشهد أنك أحسنهم وصفا ، وألينهم عطفا ، وأعفهم مقالا وأكرمهم فعالا .

وعلى الجملة فإن النقاد يذهبون إلى أن أشعر الاسلاميين جرير والفرزدق والأخطل ، وأكثرهم على تفضيله عليهما ، وسأذكر لك شيئا من غزله وهجوه تستدل به على منزلة شرفه فى الشعر .. رأت أمه وهى حامل به كأنها ولدت حبلا من شعر أسود فلما سقط جعل ينزو فيقع فى عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثيرة فانتبهت فازعة فأولت الرؤيا فقيل لها تلدين غلاما شاعراً ذا أسر وشدة وشكيمة وبلاء على الناس، فلما ولدته سمته جريراً باسم الحبل الذى رأته ، فهجاه ثمانون شاعراً فغلبهم ... وقال جرير ما عشقت ، ولو عشقت لنسبت نسيبا تسمعه العجوز فتبكى على مافاتها من شبابها .. قالوا وأرق ماجاء فى النسيب قوله :

إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك له وهن أضعف خلق الله أركانا
أتبعتهم مقلة إنسانها غرق هل ماترى تاركا للعين إنسانا؟

ولا نتابعه فما جاء فى شعره من الغزل الرقيق كثير وإن كان فيه بعض تكلف ، إذ لم يعشق، قال الجاحظ: كان الفرزدق مشتهراً بالنساء ومع ذلك فليس له بيت واحد فى النسيب وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط ومع ذلك فهو أغزل الناس شعراً ، وسئل الفرزدق عنه فتنفس حتى كادت حيازيمه تنشق، ثم قال قاتله الله ، فما أحسن ناحيته وأشرد قافيته، والله لو تركوه لأبكى الشابة على أحبابها والعجوز على شبابها ولكنهم هزوه فوجدوه عند الهراش نابحا وعند الجراء قارحا ، ولقد قال بيتا لأن أكون قلته أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وهو :

إذا غضبت على بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

وقال مسعود بن بشر قلت لابن مناذر : من أشعر الناس؟ قال من إذا شئت جد وإذا شئت لعب وإذا شئت أطمعك لعبه وإذا رمته بعد عليك وإذا جد فيما قصد له آيسك من نفسه ، قلت مثل من ؟ قال مثل جرير إذ يقول حين لعب :

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

ثم قال حين جد :

إن الذى حرم المكارم تغلبا جعل الخلافة والنبوة فينا

مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم ... ياخزر تغلب من أب كأبينا؟
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة ... لو شئت ساقكم إلى قطينا

فلما بلغ عبد الملك هذا قال : مازاد ابن المراغة أن جعلنى شرطيا له ، أما إنه لو قال لو شاء ساقكم لسقتهم إليه كما قال.. ونزل الفرزدق حين قدم على الأحوص فقال ماتشتهى؟ قال شواء وطلا وغناء ، قال ذلك لك ومضى به إلى قينة فغنته :

الا حى الديار بسعد إنى ... احب لحب فاطمة الديارا
إذا ماحل أهلك ياسليمى ... بدارة صلصل شحطوا مزارا
اراد الظاعنون ليحزنونى ... فهاجوا صدع قلبى فاستطارا

فقال: ماأرق أشعاركم يا أهل الحجاز، قال: أوتدرى لمن هذا؟ قال لا والله ،قال هو لجرير يهجوك ، قال ويل ابن المراغة ماكان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعرى واحوجنى مع فسوقى إلى رقة شعره ... وفى الفرزدق منها :

وكنت إذا نزلت بدار قوم ... رحلت بخزية وتركت عارا

وقال جرير :

لقد طال كتمانى أمامة حبها ... فهذا أوان الحب تبدو شواكله
وإنى وإن لام العواذل مولع ... بحب الغضى من حب من لا يزايله
ولما استقر الحب ألقت بى العصا ... ومات الهوى لما أصيبت مقاتله
وقلن تروح لايكن لك حاجة ... وقلبك لاتشغل وهن شواغله

وقال أيضا :

ياأخت ناجية السلام عليكم ... قبل الرحيل وقبل لوم العذل
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم ... يوم الفراق فعلت مالم يفعل

وقال أيضا :

بنفسى من تجنبه عزيز ... على ومن زيارته لمام
ومن أمسى وأصبح لا أراه ... ويطرقنى إذا هجع النيام
أتذكر إذ تودعنى سليمى ... بفرع بشامة سقى البشام

وقال أيضا :

لاتكثرن إذا جعلت تلومنى ... لايذهبن بفعلك الإكثار
كانوا الخليط هم الخليط فزايلوا ... ولقد تبدل بالديار ديار
لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ... ليل يكر عليهم ونهار

ومن هجوه فى الراعى :

ففض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وعند ماقال هذا البيت وثب قائما حتى أصاب السقف رأسه ، وقال: أخزيته والله وغصصته وقدمت أخويه عليه ،والله لايفلح بعدها،وكان كما قال ، وما أفلح بعدهاهو ولا نمير .. وقال فى جندل بن الراعى :

أجندل ما تقول بنو نمير إذاما الاير فى است أبيك غابا

وأنشد القصيدة والفرزدق واقف فلما بلغ إلى قوله : ترى برصا بأجمع اسكتيه، وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقته فقال: كعنفقة الفرزدق حين شابا.. فانصرف الفرزدق وهو يقول : اللهم اخزه ولقد علمت حين بدأ البيت أن لا يقول غيرها ولكن طمعت أن لا تأتيه .. وقال فى ابن لجأ :

تعرضت تيم لى عمدا لأشتمها كما تعرض لاست الخارىء الحجر

ياتيم تيم عدى لا أبالكم لايلقينكم فى سوءة عمر

وقال يذكر أمه :

تقول والعبد مسكين يدحرجها رفقا فدا لك أنت الناكح الذكر

وبينا جرير ينشد فى زوجته :

لولا الحياء لعادنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

كانت إذا هجر الضجيع فراشها كتم الحديث وعفت الأسرار

لايلبث القرناء أن يتصدعوا ليل يكر عليهم ونهار

إذ طلع الأحوص فقطع إنشاده ورفع صوته يقول :

عوى الشعراء بعضهم لبعض على فقـــد أصابهم انتقام

إذا أرسلت صاعقة عليهم رأوا أخرى تحرق فاستداموا

فمصطلم المسامع أو خصى وآخر عظم هامته حطام

ثم عاد ، فقيل لم فعلت هذا؟ قال: إنى نهيت الاحوص أن يعين الفرزدق ، وإنى والله يابنى عمرو بن عوف ماتعوذت من شاعر قط ، ولولا حقكم ماتعوذت منه ...

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى

وأوله

الكميت بن زيد الأسدى الشاعر

فهرست الكتاب

